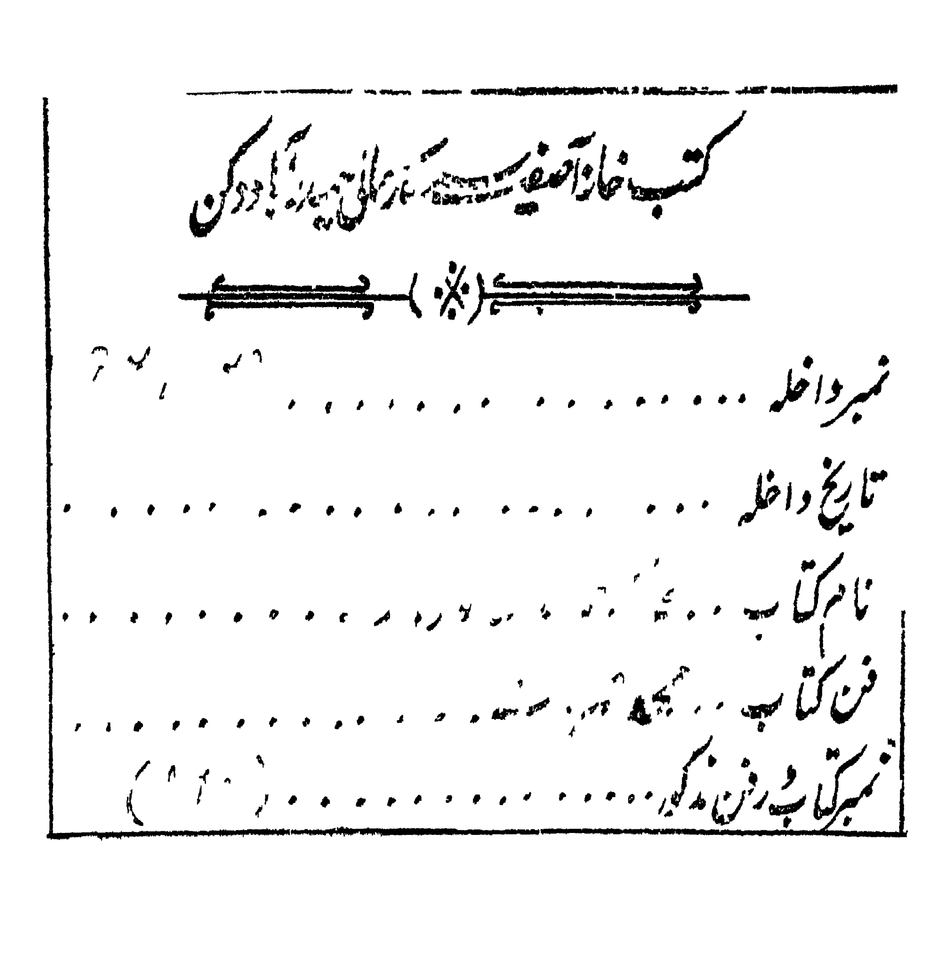
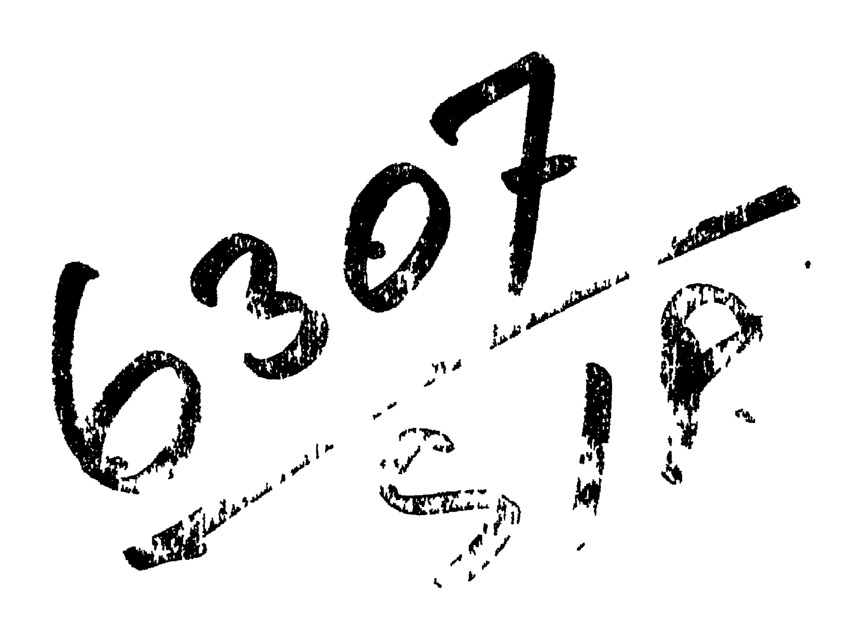




﴿ فهرس كتاب المحاسن والاضداد ﴾

اعلان

يتشرف محلنا الكائن بشارع الحلوجي بمصر بعنوان (محمد أمين الخانجي الكتبي وشركاه) بالاعلان عن الكتب التي وفقهم الله تعالى بطبعها مما لم يسبق لها طبع

كتاب الناسخ والمنسوخ في القرآن الكريم ممـا اجتمع عليه واختلف فيه عن علماء الصحابة والتابعين وفقهاء الامصار وشرح ما ذكروه بيناً وما فيـه من اللغة والنظر تأليف أبى جعفر النحاس المصرى المتوفي سنة ٣٣٨

كتاب شـفاء العليل في مسائل القضاء والقدر والحكمة والتعليل تأليف شيخ الاسلام شمس الدين ابو بكر بن قيم الجوزيه المتوفيسنة ٧٥١ وهذا الكتاب أوسع ماأولف فى هذه المسائل التى يهم طلاب الحقائق الاطلاع عليها

مجموعة الرسائل الكبرى جزآن يحتويان على ٢٩ رسالة فى مواضيع مختلفة كلها من المسائل التى يشترك فيها النقل والعقل من تآليف شيخ الاسلام تقي الدين ابن تيمية الحنبلى المتوفى سنة ٧٢٨

كتاب الدر النضيد من مجموعة الحفيد لشيخ الاسـلام الهروى حفيد السعد التفتازانى المتوفي سنة ٩٠٦ جمع فيه المسائل المهمة من أربعة عشر عـلم من أمهات العلوم الدينية والأدبية والفلسفية

المفصل في علم العربية للعلامة الزمخشرى مع كتاب المفصل شرح شواهد المفصل للسيد محمد بدر الدين النعساني الحلبى شرحا صافياً بالمهم ممـا يتعلق بمسائل الشاهد مع بيان قائله محركا كلماته المهمة بالشكل الكامل

كتاب الظرف والظرفاء أو كتاب (الموشى) لأبي اسحاق بن محمد بن معروف بالوشاء أحد علماء القرن الثالث وممن أخذ الادب عن المبرد صاحب الكامل وقد مثل هذا الكتاب المتصرفين والمتظرفات في القرون الأولى وأوضح سنن الظرف فيه

كتاب المعمرين من العرب وطرف أخبارهم وما قالوه من شعرهم في جوامع كلمهم تأليف الامام ابى حاتم السجستانى المتوفى سنة ٢٣٥ مضبوط بما جاء فيه من

الشعر والحكم بالشكل ومشروحة بعض ألفاظه

كتاب الصناعتين (الكتابة والشعر) أو (النثر والنظم) تأليف أبى هلال العسكرى أحد أعلام أدباء القرن الرابع .. وهو الكتاب الوحيد الخالي من حشو الكلام وتعقيده أوضح فيه طريق تعلم الصناعتين بالأمثلة المختارة وقد طبعناه مضبوطة أبياته الشعرية ومشروحه كلماته اللغوية

تذكرة موضوعات الحديث (أو معلول الحديث ومن اعلّ) تأليف ابي الفضل محمد ابن طاهر المقدسي المحدث المتوفى سنة ٥٠٧ بذكر الحديث المعلول ومن أعل مرتباً على حروف الهجاء

كتاب تعديل أركان الصلاة للامام أحمد بن حنبل مع كتاب احكام تارك الصلاة لشيخ الاسلام ابن قيم الجوزيه بين في الاول كيفية صلاة النبي صلى الله عليه وسلم واصحابه والتابعين لهم وبين في الثانى رخص المتهورين فى أمر الصلاه والرد عليهم ونقول مذاهب ائمة الاسلام فى حكم تارك الصلاة

مراتب المدلسين فى الحديث (أو طبقات المدلسين) للحافظ ابن حجر العسقلانى صاحب فتح البارى مع كتاب عمدة أهل الرسوخ فى الفقه والتحديث بمقدار الناسخ والمنسوخ من الحديث لابى الفرج ابن الجوزى المحدث الكبير

تمييز الطيب من الخبيث فيما يدور على السنة الناس من الحديث تأليف العلامة ابن الديبع اليمني تلميذ الشيخ السخاوى المحدث الكبير اختصر فيه كتاب المقاصد الحسنة فيما يدور من الاحاديث على الالسنة لشيخه السخاوي وتعقبه باحاديث أخر تدور على ألسنة الناس فى مجالسهم ومناظراتهم وبين الصحيح منها وغير الصحيح والموضوع والمعلول بيانا كافيا

كتاب الامالى الصغرى (في الادب) لابى اسحاق الزجاج احد أئمة الادب واللغة فى القرن الثالث وممن يحتج بكلامهم ينتقل فيه المطالع من نادرة الى نادرة ومن مناصرة الى مناظرة واعتناء بشأن الكتاب المذكور كتب عليه شرحا يحل بعض مسائله الغامضة العلامة الادب الراوية الشيخ احمد بن الامين الشنقيطى نزيل القاهرة ...

﴿ ترجمة المؤلف ﴾

هو أبو عثمان عمرو بن بحر بن محبوب الكناني الليثي المعروف بالجاحظ البصري العالم المشهور صاحب التصانيف في كل فن له مقالة في أصول الدين واليه تنسب الفرقة المعروفة بالجاحظية من المعتزلة وكان تلميذ أبي اسحاق ابراهيم بن سيار البلخي المعروف بالنظام المتكلم المشهور وهو خال يموت بن المزرع ومن أحسن تصانيفه وأمتعها هذا الكتاب فلقد جمع فيه كل غريبة وكذلك كتاب البيان والتبيين وهي كثيرة جداً وكان مع فضائله مشوه الخلق وانما قيل له الجاحظ لأن عينيه كانتا جاحظتين والجحوظ النتوء وكان يقال له أيضاً الحدقي لذلك ومن جملة أخباره أنه قال ذكرت للمتوكل لتأديب بعض ولده فلما رآني استبشع منظري فأمر لي بعشرة آلاف درهم وصرفني فخرجت من عنده فلقيت محمد بن ابراهيم وهو يريد الانصراف الى مدينة السلام فعرض عليّ الخروج معه والانحدار في حراقته وكنا بسر من رأى فركبنا في الحراقه فلما انتهينا الى فم نهر القاطول نصب ستارة وأمر بالغناء فاندفعت عوادة فغنت

كل يوم قطيعة وعتاب ... ينقضي دهرنا ونحن غضاب

ليت شعري أنا خصصت بهذا ... دون ذا الخلق أم كذا الأحباب

وسكتت فأمر الطنبورية فغنت

وارحمتا للعاشقين ... ما إن أرى لهم معينا

كم يهجرون ويصرمو ... ن ويقطعون فيصبرونا

قال فقالت لها العوادة فيصنعون ماذا قالت هكذا يصنعون وضربت بيدها الى الستارة فهتكتها وبرزت كأنها فلقة قمر فألقت نفسها في الماء وعلى رأس محمد غلام يضاهيها في الجمال وبيده مذبة فأتى الموضع ونظر اليها وهي تمر بين الماء وأنشد

أنت التي غرقتني ... بعد القضا لو تعلمينا

وألقى نفسه في أثرها فأدار الملاح الحراقة فاذا بهما معتنقين ثم غاصا فلم يريا فاستعظم محمد ذلك

ذلك وهاله أمرهما ثم قال ياعمرو لتحدثني حديثاً يسليني عن فعل هذين والا ألحقتك بهما قال فحضرني حديث يزيد بن عبدالملك وقد قعد للمظالم يوما وعرضت عليه القصص فمرت به قصة فيها ان رأى أمير المؤمنين أن يخرج الي جاريته فلانة حتى تغنيني ثلاثة أصوات فعل فاغتاظ يزيد من ذلك وأمر من يخرج اليه ويأتيه برأسه ثم اتبع الرسول رسولا آخر يأمره أن يدخل اليه الرجل فأدخله فلما وقف بين يديه قال له ماالذي حملك على ماصنعت قال الثقة بحلمك والاتكال على عفوك فأمره بالجلوس حتى لم يبق أحد من بني أمية الا خرج ثم أمر فأخرجت الجارية ومعها عودها فقال لها الفتى غني

أفاطم مهلا بعض هذا التدلل وان كنت قدأزمعت صرمي فاجملي

فغنته فقال له يزيد قل فقال غني

تألق البرق نجدياً فقلت له يا أيها البرق إني عنك مشغول

فغنته فقال له يزيد قل فقال يامولاي تأمر لي برطل شراب فأمر له به فمااستتم شربه حتى وثب وصعد على أعلى قبة ليزيد فرمى نفسه على دماغه فمات فقال يزيد (انا لله وانا اليه راجعون) أتراه الأحمق الجاهل ظن أني أخرج اليه جاريتي وأردها الى ملكي ياغلمان خذوها بيدها واحملوها الى أهله ان كان له أهل والافبيعوها وتصدقوا عنه بثمنها فانطلقوا بها الى أهله فلما توسطت الدار نظرت الى حفيرة في وسط دار يزيد قد أعدت للمطر فجذبت نفسها من أيديهم وأنشدت

من مات عشقاً فليمت هكذا لاخير في عشق بلا موت

فألقت نفسها في الحفيرة على دماغها فماتت فسري عن محمد وأجزل صلتي .. وقال أبو القاسم السيرافي حضرنا مجلس الاستاذ أبي الفضل بن العميد الوزير فجرى ذكر الجاحظ فغض منه بعض الحاضرين وأزرى به وسكت الوزير عنه فلما خرج الرجل قلت له سكت أيها الاستاذ عن هذا الرجل في قوله مع عادتك في الرد على أمثاله فقال لم أجد في مقابلته أبلغ من تركه على جهله ولو واقفته وبينت له لنظر في كتبه وصار بذلك انسانا يا أبا القاسم فكتب الجاحظ تعلم العقل أولا والأدب ثانياً ولم أستصلحه لذلك وكان الجاحظ في أواخر عمره قد أصابه الفالج فكان يطلي نصفه الأيمن

بالصندل والكافور لشدة حرارته والنصف الأيسر لو قرض بالمقارض لما أحس به من خدره وشدة برده وكان يقول في مرضه اصطلحت على جسدي الاضداد ان أكلت باردا أخذ برجلي وان أكلت حارا أخذ رأسي وكان يقول أنا من جانبي الأيسر مفلوج فلو قرض بالمقاريض ماعلمت به ومن جانبي الأيمن منقرس فلو مر به الذباب لألمت وبي حصاة لايسرح لي البول معها وأشد ماعلي ست وتسعون سنة وكان ينشد

أترجو أن تكون وأنت شيخ ... كما قد كنت أيام الشباب

لقد كذبتك نفسك ليس ثوب ... دريس كالجديد من الثياب

وحكى بعض البرامكة قال كنت تقلدت السند فأقمت بها ماشاء الله تعالى ثم اتصل بي أني صرفت عنها وكنت كسبت بها ثلاثين ألف دينار فخشيت أن يفجأني بها الصارف فيسمع بمكان المال فيطمع فيه فصغته عشرة آلاف اهليلجة في كل اهليلجة ثلاثة مثاقيل ولم يمكث الصارف ان أتى فركبت البحر وانحدرت الى البصرة فخبرت أن الجاحظ بها وأنه عليل بالفالج فأحببت أن أراه قبل وفاته فصرت اليه فأفضيت الى باب دار لطيف فقرعته فخرجت الي خادم صفراء فقالت من أنت قلت رجل غريب وأحب أن أسر بالنظر الى الشيخ فبلغته الخادم ماقلت فسمعته يقول قولي له وما تصنع بشق مائل ولعاب سائل ولون حائل فقالت للجارية لابد من الوصول اليه فلما بلغته قال هذا رجل قد اجتاز بالبصرة وسمع بعلتي فقال أحب أن أراه قبل موته فأقول قد رأيت الجاحظ ثم أذن لي فدخلت وسلمت عليه فرد ردا جميلا وقال من تكون أعزك الله فانتسبت له فقال رحم الله تعالى أسلافك وآباءك السمحاء الأجواد فلقد كانت أيامهم رياض الأزمنة ولقد انجبر بهم خلق كثير فسقيا لهم ورعيا فدعوت له وقلت أنا أسأل أن تنشدني شيئا من شعرك فأنشدني

لئن قُدِّمَتْ قبلي رجال فطالما ... مشيت على رسلي فكنت المقدما

ولكن هذا الدهر تأتي صروفه ... فتبرم منقوضا وتنقض مبرما

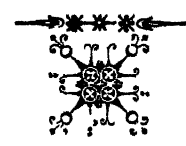
ثم نهضت فلما قربت الدهليز عاد فقال يافتى أرأيت مفلوجا ينفعه الاهليلج قلت لا قال فان الاهليلج الذي معك ينفعني فابعث لي منه قال فسرت وقد حيرني عجبا من وقوعه على

خبرى مع كتمانى له وبعثت له مائة اهليلجة
وقال أبو الحسن البرمكى أنشدنى الجاحظ

وكان لنا أصدقاء مضوا تفانوا جميعاً وما خلدو
تساقوا جميعاً كؤس المنون فمات الصديق ومات العدوا

وكانت وفاة الجاحظ فى شهر المحرم سنة خمس وخمسين ومائتين بالبصرة وقد نيف على تسعين سنة رحمه الله تعالى انتهى مختصراً من فوات الوفيات

كتبه
محمد أمين الخانجي
الكتبي



كتاب

المحاسن والاضداد

تأليف

أبى عثمان عمرو بن بحر الجاحظ البصرى

(إمام أهل الأدب المتوفى سنة ٢٥٥ هـ)

الطبعة الاولى

سنة ١٣٣٤

على نفقة

(أحمد ناجي الجمالى ومحمد أمين الخانجى الكتبي وأخيه بمصر)

عنى بتصحيحه محمد أمين الخانجى الكتبى

قرأه [illegible]

[illegible]

[illegible]



الحمد لله ربّ العالمين وصلى الله على رسوله سيدنا محمد وآله أجمعين

قال أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ ** اني ربما ألفت الكتاب المحكم المتقن في الدين والفقه والرسائل والسيرة والخطب والخراج والأحكام وسائر فنون الحكمة وأنسبه إلى نفسي فيتواطأ على الطعن فيه جماعة من أهل العلم بالحسد المركب فيهم وهم يعرفون براعته ونصاحته وأكثر ما يكون هذا منهم اذا كان الكتاب مؤلفاً لملك معه المقدرة على التقديم والتأخير والحط والرفع والترهيب والترغيب فانهم يهتاجون عند ذلك اهتياج الابل المغتلمة فان أمكنتهم الحيلة في اسقاط ذلك الكتاب عند السيد الذي ألف له فهو الذي قصدوه وأرادوه وان كان السيد المؤلف فيه الكتاب نحريراً نقاباً ونقريساً بايعاً وحاذقاً فطناً وأعجزتهم الحيلة سرقوا معاني ذلك الكتاب وألفوا من أعراضه وحواشيه كتاباً وأهدوه الى ملك آخر ومتوا اليه به وهم قد ذموه وثلبوه لما رأوه منسوباً إليّ وموسوماً بي .. وربما ألفت الكتاب الذي هو دونه في معانيه وألفاظه فأترجمه باسم غيري وأحيله على من تقدمني عصره مثل ابن المقفع والخليل وسلم صاحب بيت الحكمة ويحيى بن خالد والعتابي ومن أشبه هؤلاء من مؤلفي الكتب فيأتيني أولئك القوم بأعيانهم الطاعنون على الكتاب الذي كان أحكم من هذا الكتاب لاستنساخ هذا الكتاب وقراءته عليّ ويكتبونه بخطوطهم ويصيرونه إماماً يقتدون به ويتدارسونه بينهم ويتأدبون به ويستعملون ألفاظه ومعانيه في كتبهم وخطاباتهم ويروونه عني لغيرهم من طلاب ذلك الجنس فتثبت لهم به رياسة يأتم بهم قوم فيه لأنه لم يترجم باسمي ولم ينسب الى تأليفي .. وهذا كتاب وسمته (بالمحاسن

والاضداد) لم أسبق الى نحاته ولم يسألني أحد صنعه ابتدأته بذكر محاسن الكتابة والكتب وختمته في ذكر شيء من محاسن الموت والله يكلاؤه من حاسد اذا حسد

محاسن الكتابة والكتب

كانت العجم تقيّد مآثرها بالبنيان والمدن والحصون مثل بناء أردشير وبناء إصطخر وبناء المدائن والسَّدير والمدن والحصون . ثم ان العرب شاركت العجم في البنيان وتفرّدت بالكتب والأخبار والشعر والآثار فلها من البنيان غمدان وكعبة نجران وقصر مارب وقصر مارد وقصر شعوب والأبلق الفرد وغير ذلك من البنيان . وتصنيف الكتب أشدّ تقييداً للمآثر على ممرّ الأيام والدهور من البنيان لأن البناء لا محالة يدرس وتعفى رسومه والكتاب باق يقع من قرن الى قرن ومن أمة الى أمة فهو أبداً جديد والناظر فيه مستفيد وهو أبلغ في تحصيل المآثر من البنيان والتصاوير وكانت العجم تجعل الكتاب في الصخور ونقشاً في الحجارة وخلقة مركّبة في البنيان وربما كان الكتاب هو الناتئ وربما كان هو المحفور اذا كان ذلك تاريخاً لأمر جسيم أو عهداً لأمر عظيم أو موعظة يرتجى نفعها أو احياء شرف يريدون تخليد ذكره كما كتبوا على قبة غمدان وعلى باب القيروان وعلى باب سمرقند وعلى عمود مارب وعلى ركن المشقر وعلى الأبلق الفرد وعلى باب الرها يعمدون الى المواضع المشهورة والأماكن المذكورة فيضعون الخط في أبعد المواضع من الدثور وأمنعها من الدروس وأحذر أن يراه من مرّ به ولا ينسى على وجه الدهور ولولا الحِكَم المحفوظة والكتب المدونة لبطل أكثر العلم ولغلب سلطان النسيان سلطان الذكر ولما كان للناس مفزع الى موضع استذكار ولو لم يتم ذلك لحرمنا أكثر النفع ولولا ما رسمت لنا الأوائل في كتبها وخلدت من عجيب حكمتها ودونت من أنواع سيرها حتى شاهدنا بها ما غاب عنّا وفتحنا بها كلّ مستغلق كان علينا فجمعنا الى قليلنا كثيرهم وأدركنا ما لم نكن ندركه الا بهم لبخس حظنا منه وأهل العلم والنظر وأصحاب الفكر والعبر والعلماء بمخارج الملل وأرباب النحل وورثة الأنبياء وأعوان الخلفاء يكتبون كتب الظرفاء والملحاء وكتب الملاهي وكتب أعوان الملحاء وكتب أصحاب المراء

والحصومات وكتب السخفاء وحمية الجاهلية ،، ومنهم من يفرط فى العلم أيام حموله وترك ذكره وحداثة سنه . ولولا جياد الكتب وحسانها لما تحركت هِمم هؤلاء لطلب العلم ونازعت الى حب الكتب وانفت من حال الجهل وان يكونوا في غمار الوحش ولدخل عليهم من الضرر والمشقة وسوء الحال ما عسى أن يكون لا يمكن الإخبار عن مقداره إلاّ بالكلام الكثير ،، وسمعت محمد بن الجهم يقول اذا غشيني النعاس فى غير وقت النوم تناولت كتاباً فاجد اهتزازى للفوائد الأريحيه التى تعترينى من سرور الاستنباه وعز التبيّن أشدّ إيقاظاً من نهيق الحمار وهدّة الهدم فاني اذا استحسنت كتاباً واستجدته ورجوت فائدته لم أوثر عليه عوضاً ولم أبغ به بدلا فلا أزال أنظر فيه ساعة بعد ساعة كم بقي من ورقه مخافة استنفاده وانقطاع المادة من قبله . وقال ابن داحة كان عبدالله ابن عبد العزيز بن عبد الله بن عمر بن الخطاب لا يجالس الناس فنزل مقبرة من المقابر وكان لا يزال في يده كتاب يقرؤه فسئل عن ذلك فقال لم أر أوعظ من قبر ولا آنس من كتاب ولا أسلم من الوحدة ،، وأهدى بعض الكتّاب الى صديق له دفتراً وكتب معه هديتي هذه أعزك الله تزكو على الإنفاق وتربو على الكدّ لا تفسدها العوارى ولا تخلقها كثرة التقليب وهي إنس في الليل والنهار والسفر والحضر تصلح للدنيا والآخرة تؤنس فى الخلوة وتمنع من الوحدة مسامر مساعد ومحدّث مطاوع ونديم صدق . وقال بعض الحكماء الكتب بساتين العلماء ،، وقال آخر الكتاب جليس لا مؤونة له . وقال آخر الكتاب جليس بلا مؤنة ،، وقال آخر ،، ذهبت المكارم إلا من الكتب

(قال الجاحظ) .وأنا أحفظ وأقول الكتاب نعم الذخر والعُقْدة والجليس والعمدة ونعم النشرة ونعم النزهة ونعم المشتغل والحرفة ونعم الأنس ساعة الوحدة ونعم المعرفة ببلاد الغربة ونعم القرين والدخيل والزميل ونعم الوزير والنزيل ،، والكتاب وعاء ملئ علما وظرف حشى ظرفا واناء شحن مزاحا إن شئت كان أعيى من باقل وإن شئت كان أبلغ من سحبان وائل وان شئت سرّتك نوادره وشجتك مواعظه ومن لك بواعظ مله وبناسك فتك وناطق أخرس ومن لك بطبيب اعرابىّ ورومىّ هنديّ وفارسىّ يونانىّ ونديم مولد ونجيب ممتع ومن لك بشيء يجمع الأول والآخر والناقص والوافر

والشاهد والغائب والرفيع والوضيع والغثّ والسمين والشكل وخلافه والجنس وضده
٠٠ وبعد فما رأيت بستاناً يحمل في رُدن وروضة تنقل في حجر ينطق عن الموتى ويترجم
عن الأحياء ومن لك بمؤنس لا ينام إلا بنومك ولا ينطق إلا بما تهوى آمن من الأرض
وأكتم للسر من صاحب السر وأحفظ للوديعة من أرباب الوديعة ولا أعلم جاراً أبر
ولا خليطاً أنصف ولا رفيقاً أطوع ولا معلماً أخضع ولا صاحباً أظهر كفاية وعناية ولا
أقلّ إملالاً ولا إبراما ولا أبعد من مراء ولا أترك لشغب ولا أزهد في جدال ولا
أكف عن قتال من كتاب ولا أعمّ بياناً ولا أحسن مواتاة ولا أعجل مكافأة ولا شجرة
أطول عمرا ولا أطيب ثمرا ولا أقرب مجتنى ولا أسرع إدراكا ولا أوجد في كل إبّان من
كتاب ولا أعلم نتاجا في حداثة سنّه وقرب ميلاده ورخص ثمنه وإمكان وجوده يجمع
من السِّيَر العجيبة والعلوم الغريبة وآثار العقول الصحيحة ومحمود الأذهان اللطيفة
ومن الحكم الرفيعة والمذاهب القديمة والتجارب الحكيمة والأخبار عن القرون الماضية
والبلاد النازحة والأمثال السائرة والأمم البائدة ما يجمعه كتاب ٠٠ ومن لك بزائر إن شئت
كانت زيارته غبّاً ووروده خمساً وإن شئت لزمك لزوم ظلّك وكان منك كبعضك
٠٠ والكتاب هو الجليس الذي لا يطريك والصديق الذي لا يغريك والرفيق الذي لا يملّك
والمستمع الذي لا يستزيدك والجار الذي لا يستبطئك والصاحب الذي لا يريد استخراج
ما عندك بالملق ولا يعاملك بالمكر ولا يخدعك بالنفاق ٠٠ والكتاب هو الذي إن نظرت فيه
أطال إمتاعك وشحذ طباعك وبسط لسانك وجوّد بيانك وفخّم ألفاظك ونجّح نفسك
وعمّر صدرك ومنحك تعظيم العوامّ وصداقة الملوك يطيعك بالليل طاعته بالنهار وفي
السفر طاعته في الحضر وهو المعلّم إن افتقرت إليه لم يحقرك وإن قطعت عنه المادة
لم يقطع عنك الفائدة وإن عزلت لم يدع طاعتك وإن هبّت ريح أعدائك لم ينقلب عليك
ومتى كنت منه متعلقاً بسبب أدنى حبل لم تضطرك معه وحشة الوحدة إلى جليس السوء
وإنّ أمثل ما يقطع به الفراغ نهارهم وأصحاب الكفاية ساعات ليلهم نظر في كتب لا يزال
لهم فيه ازدياد في تجربة وعقل ومروءة وصون عرض وإصلاح دين وتثمير مال وربّ
صنيعة وابتداء إنعام ٠٠ ولو لم يكن من فضله عليك وإحسانه إليك إلا منعه لك من الجلوس

على بابك والسطر الى المارّة بك مع ما في ذلك من التعرض للحقوق التي تلزم ومن فضول النظر وملابسة صغار الناس ومن حضور ألفاظهم الساقطة ومعانيهم الفاسدة وأخلاقهم الرديّة وجهالاتهم المذمومة لكان في ذلك السلامة والغنيمة واحراز الأصل مع استفادة الفرع ولو لم يكن في ذلك الاّ أنه يشغلك عن سخف المُنَى واعتياد الراحة وعن اللعب وكل ما تشتهيه لقد كان له في ذلك على صاحبه أسبغ النعم وأعظم المنّة ٠٠ وجملة الكتاب وان كثر ورقه فليس مما يملّ لأنه وان كان كتاباً واحداً فانه كتبٌ كثيرة في خطابه والعلم بالشريعة والأحكام والمعرفة بالسياسة والتدبير ،، وقال مصعب بن الزبير ٠٠ ان الناس يتحدّثون بأحسن ما يحفظون ويحفظون أحسن ما يكتبون ويكتبون أحسن ما يسمعون فاذا أخذت الأدب فخذه من أفواه الرجال فانك لا ترى ولا تسمع الاّ مختارا ولؤلؤاً منظوما ،، وقال لقمان لابنه ٠٠ يا بنيّ نافس في طلب العلم فانه ميراث غير مسلوب وقرين غير مغلوب ونفيس حظّ من الناس وفي الناس مطلوب ،، وقال الزهري الأدب ذَكَر لا يحبه الاّ الذكور من الرجال ولا يبغضه الاّ مؤنثهم ،، وقال اذا سمعت أدباً فاكتبه ولو في حائط ، وقال منصور بن المهديّ للمأمون ٠٠ أيحسن بنا طلب العلم والأدب قال والله لأن أموت طالباً للأدب خير لي من أن أعيش قانعاً بالجهل قال فالى متى يحسن بي ذلك قال ما حسنت الحياة بك

﴿ صفة ﴾

الحديث المرفوع رحم الله عبداً أصلح من لسانه ، وكان الوليد بن عبد الملك لَحّانة فدخل عليه اعرابيّ يوما فقال انصفني من ختني يا أمير المؤمنين فقال ومن ختنك قال رجل من الحيّ لا أعرف اسمه فقال عمر بن عبد العزيز ان أمير المؤمنين يقول لك من ختنك فقال هو ذا بالباب فقال الوليد لعمر ما هذا قال النحو الذي كنت أخبرتك عنه قال لاجرم فاني لا أصلي بالناس حتى أتعلمه قال وسمع اعرابيّ مؤذّناً يقول ٠٠ أشهد أن محمداً رسولَ الله فقال يفعل ماذا قال وقال رجل لزياد ٠٠ أيها الأمير ان أبينا هلك وان أخينا غصبنا على ميراثنا من أبانا فقال زياد ما ضيّعت من نفسك أكثر مما

ضاع من ميراث أبيك فلا رحم الله أباك حيث ترك ابنا مثلك ،، وقال مولى لزياد : أيها الأمير احذوا لنا حمار وحش ، فقال . ما تقول ، فقال : احذوا لنا إيراً ، فقال زيادة : الأول خير من الثاني ،، قال واختصم رجلان الى عمر بن عبد العزيز فجعلا يلحنان فقال الحاجب . قما فقد أوذيتما أمير المؤمنين ، فقال عمر للحاجب : أنت والله أشد إيذاء منهما ، قال وقال بشر المريسي وكان كثير اللحن : قضى لكم الامير على أحسن الوجوه وأهنؤها ، فقال القاسم التمار : هذا على قوله

إنَّ سُلَيمى واللهِ يكلؤُها ضنَّت بشيءٍ ما كان يرزؤُها

فكان احتجاج القاسم أطيب من لحن بشر ،، قال وكان زياد النبطي شديد اللكنة وكان نحويا فدعى غلامه ثلاثاً فلما أجابه قال : من لدن دعوتك الى أن جبتني ما كنت تصنع ، يريد دعوتك وجئتني وتصنع ،، ومرّ ماسرجويه الطبيب بعباد بن مسلم فقال: يا ماسرجويه إني لأجد في حلقي بححاً ، قال : هو من عمل بلغم . فلما جاوزه قال : تراني لا أحسن أن أقول بلغم ولكنه قال بالعربية فأجبته بمثلها

محاسن المخاطبات

حكوا عن ابن القِرِّيَّة ،، انه دخل على عبد الملك بن مروان فبينا هو عنده إذ دخل بنو عبد الملك عليه فقال من هؤلاء الفتية يا أمير المؤمنين ، قال ولد أمير المؤمنين ، قال . بارك الله لك فيهم كما بارك لابيك فيك وبارك لهم فيك كما بارك لك في أبيك ، قال فشحن فاه دراً ،، قال وقال عمارة بن حمزة لابي العباس وقد أمر له بجوهر نفيس : وصلك الله يا أمير المؤمنين وبرّك فوالله لئن أردنا شكرك على انعامك لتقصرنّ شكرنا عن نعمتك كما قصر الله بنا عن منزلتك ، قال ودخل اسحاق بن ابراهيم الموصلي على الرشيد فقال مالك ، قال

سَوَامي سَوَامُ المُكثرين تَجمُّلاً ومالي كما قد تعلمين قليلُ

وآمرةٍ بالبُخلِ قلتُ لها اقصري فذلكَ شيءٌ ما إليهِ سَبيلُ

وكيفَ أخافُ الفقرَ أو أُحرَمُ الغِنا ورأيُ أميرِ المؤمنينَ جميلُ
أرى الناسَ خُلاَّنَ الجوادِ ولا أرى بخيلاً لهُ في العالمين خليلُ

فقال الرشيد : هذا والله الشعر الذى صحت معانيه وقويت أركانه ومبانيه ولذ على أفواه القائلين واسماع السامعين ياغلام احمل اليه خمسين الف درهم ، قال اسحاق ياأمير المؤمنين كيف أقبل صلتك وقد مدحت شعرى بأكبر مما مدحتك به ، قال الاصمعي فعلمت انه أصيد للدراهم مني ، قال ودخل المأمون ذات يوم الديوان فنظر الى غلام جميل على أذنه قلم فقال من أنت ، قال أنا الناشئ في دولتك المتقلب فى نعمتك المؤمل لخدمتك الحسن بن رجاء فقال المأمون : بالاحسان فى البديهة تتفاضل العقول يرفع عن مرتبة الديوان الى مراتب الخاصة ويُعطى مائة ألف درهم تقوية له ،، قال ،، ووصف يحيي بن خالد الفضل بن سهل وهو غلام على المجوسية للرشيد وذكر أدبه وحسن معرفته فعمل على ضمه الى المأمون فقال ليحيى يوماً أدخل إليّ هذا الغلام المجوسي حتى أنظر اليه فاوصله فلما مثل بين يديه ووقف تحيّر فاراد الكلام فأُرتج عليه فأدركته كبوة فنظر الرشيد الى يحيي نظرة منكرة لما كان تقدّم من تقريظه اياه فانبعث الفضل بن سهل فقال ياأمير المؤمنين ان من أبين الدلائل على فراهة المملوك شدة افراط هيبته لسيده ، فقال له الرشيد أحسنت والله لئن كان سكوتك لتقول هذا انه لحسن ولئن كان شيئاً أدركك عند انقطاعك انه لأحسن وأحسن ثم جعل لا يسأله عن شيء إلّا رآه فيه مقدّماً فضمّه الى المأمون ،، قال وقال الفضل بن سهل للمأمون وقد سأله حاجة لبعض أهل بيوتات دهاقين سمرقند كان وعده تعجيل انفاذها فأخر ذلك هب لوعدك تذكّراً من نفسك وهَبْ لسائلك حلاوة نعمتك واجعل ميلك الى ذلك في الكرم حثاً على اصطفاء شكر اخلافه من اشرف ملوك الملوك بحقائق الكرم والاس[illegible] الجود ، [illegible] قد جعلت نيلك [illegible] سؤالي عن [illegible] رى فيهم وآخذك فى التقصير [illegible]

[illegible] من غير استئمار ومعاودة في اخراج الصكاك من أحصر الاموال متناولا قال [illegible] لا تجدى معرفتى بما يجب لامير المؤمنين الهاء به مما يدعم له منهم حسن الثناء ويستمد

بدعائهم طول البقاء .. وقال الفضل بن سهل للمأمون .. يا أمير المؤمنين اجعل نعمتك صائنة لوجوه خدمك عن اراقة مائها في عصاصة السؤال فقال والله لا كان ذلك الا كذلك . قال ودخل العتّابي على المأمون فقال .. خبّرت بوفاتك فغمّني ثم جاءتني وفادتك فسرّتني فقال يا أمير المؤمنين كيف أمدحك أم بما ذا أصفك ولا دين الا بك ولا دنيا الا معك قال سلني ما بدالك قال يدك بالعطية أطلق من لساني بالمسئلة .. قال وقدم السعدي ابو وجزة على المهلّب بن أبي صفرة فقال .. أصلح الله الأمير اني قد قطعت اليك الدهناء وضربت اليك آباط الابل من يثرب قال فهل أتيتنا بوسيلة أو عشيرة أو قرابة قال لا ولكني رأيتك لحاجتي أهلا فان قمت بها فأهل ذلك وان يحل دونها حائل لم أذم يومك ولم أيأس من غدك فقال المهلّب يعطى ما في بيت المال فوجد مائة ألف درهم فدفعت اليه فأخذها .. وقال

يا مَنْ على الجُودِ صاغَ اللهُ راحتَهُ ... فليسَ يُحسِنُ غيرَ البَذْلِ والجُودِ
عَمّتْ عطاياكَ مَنْ بالشَّرْقِ قاطبةً ... فأنتَ والجودُ منحوتانِ مِنْ عُودِ

وقد يجب على العاقل الراغب في الادب أن يحفظ هذه المخاطبات ويدمن قراءتها .. وقد قال الأصمعي

أمَا لوْ أعى كلّ ما أسمعُ ... وأحفظُ مِن ذاكَ ما أجمعُ
ولمْ أستفدْ غيرَ ما قدْ جمعتُ ... لقيلَ أنا العالمُ المقنعُ
ولكنّ نفسي إلى كلِّ شيْءٍ ... منَ العلمِ تسمعُهُ تنزعُ
فلا أنا أحفظُ ما قد جمعتُ ... ولا أنا منْ جمعهِ أشبعُ
وأقعدُ للجهلِ في مجلس ... وعلمي في الكتبِ مستودعُ
ومنْ يكُ في علمهِ هكذا ... يكنْ دهرهُ القهقرى يرجعُ
يضيعه من المال ما قد جمعت ... وعلمك في الكتب مستودع
إذا لم تكنْ حافظاً واعياً ... فجمعكَ للكتبِ لا ينفعُ

وقال بعضهم .. الحفظ مع الاقلال أمكن وهو مع الاكثار أبعد وتعيير الطبائع زمن رطوبة الغصن أقبل .. وفيها قال الشاعر

أتاني هواها قبل أن أعرف الهوى فصادف قلباً خالياً فتمكنا

وقيل .. العلم في الصغر كالنقش في الحجر والعلم في الكبر كالعلامة على المدر .. فسمع ذلك الأحنف فقال الكبير أكثر عقلا ولكنه أكثر شغلا .. كما قال

وإنَّ مَنْ أدَّبْتَهُ في الصبَى كالعودِ يُسقى الماءَ في غرْسهِ

حتَّى تَرَاهُ مُورِقاً ناضِرًا بعد الذِي أبصرْتَ من يُبْسهِ

والصبيّ عن الصبي أفهم وهو له آلف واليه أنزع .. وكذلك العالم عن العالم والجاهل عن الجاهل .. وقال الله تعالى (ولو جعلناه ملكا لجعلناه رجلا) لأن الانسان عن الانسان أفهم وطباعه بطباعه آنس

﴿ نبذة ﴾

قال . دخل ابو علقمة النحوى على أعين الطبيب فقال .. انى أكلت من لحوم الجوازئ وطسئتُ طسأةً فأصابنى وجع بين الوابلة الى دأية العنق فلم يزل يربو وينمو حتى خالط الشراسيف فهل عندك دواء .. قال نعم خذ خوفقا وسرفقا وزرقفا فاغسله واشربه بماء فقال لا أدرى ما تقول قال ولا أنا دريت ما قلت .. قال وقال يوما آخر انى أجد معمعة في قلبى وقرقرة في صدرى فقال له أما المعمعة فلا أعرفها وأما القرقرة فهى ضراط غير نضيج .. قال وأتى رجل الهيثم بن العريان بغريم له قد مطله حقه فقال أصلح الله الأمير ان لى على هذا حقا قد غلبنى عليه فقال له الآخر اصلحك الله ان هذا باعني سمكا واستثنيته حولا وشرطت عليه أن أعطيه مياومة فهو لا يلقانى في اقم الاقتضاني دهماً فقال له الهيثم أمن بني أمية أنت قال لا قال أفمن بنى هاشم أنت قال لا قال أفمن أكفائهم من العرب قال لا قال وبلى عليك انزعوا ثيابه فلما أرادوا أن ينزعوا ثيابه قال أصلحك الله ان إزارى مرعبل قال دعوه فلو ترك الغريب فى موضع لتركه في هذا

الموضع •• قال ومرّ ابو علقمة ببعض الطرق فهاجت به مِرَّة فوثب عليه قوم فحملوا يعصرون ابهامه ثم يؤذّنون في أذنه فأفاق من أيديهم فقال ما لكم تتكأكأون عليّ تكأكؤكم على ذي جنة افرنقعوا عني فقال رجل منهم دعوه فان شيطانه يتكلم بالهندية •• قال وقال لحجّام يحجمه اشدد قصب الملازم وارهف ظبة المشارط وخفّف الوضع وعجّل النزع وليكن شرطك وَخزاً ومصّك نهزاً ولا تكرهن أبياً ولا تردّن أتياً فوضع الحجّام محاجمه في جونته وانصرف

محاسن المكاتبات

قال كتب العتبي لعروة بن الزبير •• قد أذنب ذنباً الى الوليد بن عبدالملك وليس يزل عنه سيء فاكتب لي اليه فكتب اليه •• لو لم يكن اكتب من قديم حرمته ما يُعمَرُ له عظيم جريرته لوجب أن لا تحرمه التفيّؤ بظلّ عفوك الذي تأمله القلوب ولا تعلّق به الذنوب وقد استشفع بي اليك فوثقت له منك بعفو لا يخالطه سخط فحقّق أمله وصدّق ثقتي بك تجد الشكر وافياً بالنعمة •• فكتب اليه الوليد •• قد شكرت رغبته اليك وعفوت عنه لمعوله عليك وله عندي ما يحب فلا تقطع كتبك عني في أمثاله وفي سائر أمورك •• وكتب عبد الله بن معاوية بن عبد الله بن جعفر الى بعض حوانه •• أما بعد فقد عاقني الشك عن عزيمة الرأي ابتدأتني بلطف من غير خبرة ثم عقبتني جفاء من غير ذنب فأطمعني أوّلك في إخائك وأيأسني آخرك من وفائك فلا أنا في غير الرجاء مجمع لك إطّراحاً ولا في غد انتظاره منك على ثقة فسبحان من لو شاء كشف إيضاح الرأي فيك فقمنا على إئتلاف أو افترقنا على اختلاف •• قال وسخط مسلمة بن عبد الملك على العريان بن الهيثم وعزله عن شرطة ••• [illegible] ... [illegible]

فكتب اليه •• ان من حفظ •• [illegible] دوي [illegible]

صفح القادر عن [illegible] ومن [illegible] [illegible]

أودع [illegible] [illegible] من [illegible]

وليته ثم عزلته وحليته وأنا شفيعه فأحب أن تحمل له من قلبك نصيبه ولا تخرجه من حسن رأيك فتضيع ما أودعته وتنوي[1] ما أفدته .. فهو عنه ورده الى عمله .. قال وغضب سليمان بن عبد الملك على ابن عُبيد مولاه فشكا الى سعيد بن المسيّب ذلك فكتب اليه .. أما بعد فان أمير المؤمنين في الموضع الذي يرتفع قدره عما تقتضيه رعيته وفي عفو أمير المؤمنين سعة للمسيئين .. ورضي عنه .. قال وطلب العتّابي من رجل حاجة فقضى له بعضها ومطله ببعض فكتب اليه .. أما بعد فقد تركتني منتظراً لوعدك متحيراً لرفدك وصاحب الحاجة محتاج الى نَعَمْ هنيئة أو لا مُريحة والعذر الجميل أحسن من المطل الطويل .. وقد قلت بيتي شعر

بَسطتَ لِساني ثمّ أوثقتَ نِصفَهُ	فنصفُ لِساني بامتِداحِكَ مُطلَقُ
فإنْ أنتَ لمْ تنجزْ عِداتي تركْتَني	وباقي لسانِ الشكرِ باليأسِ موثَقُ

قال .. وكتب عمرو بن مسعدة الى المأمون في رجل من بني ضبّة استشفع له بالزيادة في منزلته وجعل كتابه تعريضاً .. أما بعد فقد استشفع بي فلان يا أمير المؤمنين لتطوّلك عليّ في إلحاقه بنظرائه من الخاصة فيما يرتزقون به وأعلمته ان أمير المؤمنين لم يجعلني في مراتب المستشفعين وفي ابتدائه بذلك تعدّي طاعته والسلام فكتب اليه المأمون قد عرفنا تصريحك له وتعريضك لنفسك وأجبناك اليهما ووقّفناك عليهما قال وكتب عمرو بن مسعدة الى المأمون كتابا يستعطفه على الجند كتابي الى أمير المؤمنين ومَنْ قبلي من أجناده وقوّاده في الطاعة والانقياد على أحسن ما تكون عليه طاعة جند تأخّرت أرزاقهم واختلّت أحوالهم فقال المأمون والله لأقضين حق هذا الكلام وأمر باعطائهم لثمانية أشهر قال وقدم رجل من أبناء دهاقين قريش على المأمون لعدة وعدها سلفت منه فطال على الرجل انتظار خروج أمر المأمون فقال لعمرو بن مسعدة توصل في رقعة مني الى أمير المؤمنين تكون أنت الذي تكتبها تكون لك عليّ نعمتان وكتب ان رأى أمير المؤمنين أن يطلق أسر عبده من ربقة المطل بقضاء حاجته وياذن له في

(١) ـــ .. ادا ـ

الانصراف الي بلده فعل إن شاء الله · فلما قرأ المأمون الرقعة دعا عمراً فجعل يعجبه من حسن لفظها وايجاز المراد فقال عمرو فما نتيجتها يا أمير المؤمنين قال الكتاب له في هذا الوقت بما وعدناه لئلا يتأخر فضل استحساننا كلامه وبجائزة مائة ألف درهم صلة عن دناءة المطل وسماحة الاعمال ففُعِل ذلك له ·· وحدثنا اسماعيل بن أبي شاكر قال · لما أصاب أهل مكة السيل الذي شارف الحجر ومات تحته خلق كثير كتب عبيد الله بن الحسن العلوىّ وهو والي الحرمين الى المأمون · ان أهل حرم الله وجيران بيته والاّف مسجده وعمرة بلاده قد استجاروا بعزّ معروفك من سيل تراكمت أجريائه في هدم البنيان وقتل الرجال والنسوان واجتياح الأصول وجرف الأثقال حتى ما ترك طارفا ولا تالداً للراجع اليهما في مطعم ولا ملبس فقد شغلهم طلب الغداء عن الاستراحه الي البكاء على الأمهات والأولاد والآباء والاجداد فأجرهم يا أمير المؤمنين بعطفك عليهم واحسانك اليهم تجد الله مكافئك عنهم ومثيبك عن الشكر منهم قال فوجه اليهم المأمون بالأموال الكثيرة ··وكتب الى عبيد الله أما بعد فقد وصلت شكيتك لأهل حرم الله امير المؤمنين فبكاهم بقلب رحمته وانجدهم بسيب نعمته وهو متبع ما أسلف اليهم بما يخلفه عليهم عاجلا وآجلا ان أذن الله في تثبيت عزمه على صحة نيته ·· قال فصار كتابه هذا آنس لأهل مكة من الأموال التى أنفذها اليهم قال وكتب جعفر بن محمد بن الاشعث الى يحيى بن خالد يستعفيه من العمل شكرى لك على ما أريد الخروج منه شكر من سأل الدخول فيه قال وكتب على بن هشام الى اسحاق بن ابراهيم الموصلى ما أدرى كيف أصنع أغيب فأشتاق وألتقي ولا أشتفى ثم يُجْدِث لي اللقاء الذى طلبت منه الشفاء نوعا من الحرقة للوعة الفرقة قال وكتب معقل الى أبى دلف فلان جميل الحال عند الكرام فان لم ترتبطه بفضلك عليه فعل غيرك ·· وكتب أبو هاشم الجرى الى بعض الامراء عرضى من الامير معمور ولصبر على الحرمان معجز وكتب آخر الي صديق له أما بعد فقد أصبح لنا من فضل الله ما لا نحصيه مع كثرة ما نعصيه وما ندرى ما نشكر أجميل ما نشر أم كثير ما ستر أم عظيم ما أبلى أم كثير ما عفى غير أنه يلزمنا في كل الامور شكره ويجب علينا حمده فسئل الله في حسن الائه كشكرك على حسن آلائه

﴿ ضــدّه ﴾

(قال الجاحظ) كتب ابن المراكبي الى بعض ملوك بغداد . جعلتُ فداك برحمته .. قال وقرأت على عنوان كتاب لابى الحسن الشمّري .. للموت لما قبله .. وقرأت أيضاً على عنوان كتاب .. الى الذي كتبَ إليّ

محاسن الجواب

قال دخل رجل على كسرى ابرويز فشكى اليه عاملا غصبه على ضيعة له .. فقال له كسرى منذ كم هي في يدك قال منذ أربعين سنة قال فأنت تأكلها أربعين سنة ماعليك أن يأكل عاملي منها سنة واحدة فقال وما كان على الملك أن يأكل بهرام جور الملك سنة واحدة فقال ادفعوا في قفاه فأخرجوه فلما خرج أمكنته التفاتة فقال دخلت بمظلمة وخرجت بشتين فقال كسرى ردوه وأمر برد ضيعته وصيّره في خاصته .. ويقال ان سعيد بن مرّة الكندي حين أتى معاوية .. قال له أنت سعيد قال أمير المؤمنين سعيد وأنا ابن مرّة .. قال ودخل السيد بن أنس الازدي على المأمون .. فقال أنت السيد فقال أنت السيد يا أمير المؤمنين وأنا ابن أنس .. قال وقيل للعباس بن عبد المطلب أنت أكبر أم رسول الله صلى الله عليه وسلم قال هو عليه الصلاة والسلام أكبر مني وأنا وُلِدْتُ قبله . قال وقال الحجّاج المهلّب أنا أطول أم أنت قال الامــير أطول وأنا أبسط قامة منه .. قيل ووقف المهدي على امرأة من بني ثُعل فقال لها ممن العجوز قالت من طيء قال ما منع طيئاً أن يكون فيها آخر مثل حاتم قالت الذي منع العرب أن يكون فيهــا آخر مثلك فعجب بقولها ووصلها قيل ولما استوثق أمر العراق لعبد الله بن الزبير وجّه مصعب اليه وفداً فلما قدموا عليه قال لهم وددت أن لي بكل خمسة منكم رجلا من أهل الشام فقال رجل من أهل العراق يا أمير المؤمنين عَلِقناك وعَلِقتَ بأهل الشام وعَلِق أهل الشام بآل مروان فما أعرف لنا مثلا إلا .. قول الاعشى

عُلِّقْتُها عَرَضاً وعُلِّقَتْ رَجلاً غَيْرِي وعُلِّقَ أُخرى غيرَها الرَّجلُ

فما وجدنا جوابا أحسن من هذا . قال وقال مسلمة بن عبد الملك . ما شيء يؤتى العبد بعد الايمان بالله تعالى أحب إليّ من جواب حاضر فان الجواب اذا انعقب لم يكن شيئا

﴿ ضدّه ﴾

قال اجتمع عند رسول الله صلى الله عليه وسلم الزبرقان بن بدر وعمرو بن الاهتم فذكر عمرو الزبرقان قال بأبى أنت وأمي يا رسول الله انه لمطعام جواد الكف مطاع في أدانيه شديد العارضة مانع لما وراء ظهره .. فقال الزبرقان بأبى أنت وأمى يا رسول الله انه ليعرف منّى أكثر من هذا ولكنه يحسدنى . فقال عمرو والله يا نبى الله ان هذا لزَمِرُ المروءة ضيّق العَطَنِ لئيم العمّ أحمق الخال فرأى الكراهية في وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم لما اختلف قوله فقال .. يا رسول الله ما كذبت فى الأولى ولقد صدقت فى الأخرى ولكنى رضيت فقلت أحسن ما علمت وسخطت فقلت أسوأ ما أعلم .. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم إن من البيان لسحرا وإن من الشعر لحكما وذكروا ان الوليد بن عقبة قال لعقيل بن أبى طالب . غلبك عليّ على الثروة والعدد .. قال وسبقني وإياك الى الجنة قال الوليد أما والله إن شدقيك متضمخان من دم عثمان .. قال عقيل مالك ولقريش وانما أنت فيهم كمنيح الميسر فقال الوليد والله اني لأرى لو أن أهل الارض اشتركوا فى قتله لوردوا صَعُوداً فقال له عقيل كلاّ أما ترغب عن صحبة أبيك .. قال وقال رجل من قريش لخالد بن صفوان ما اسمك قال خالد بن صفوان بن الاهتم قال ان اسمك لكذب ما أنت بخالد وان أباك لصفوان وهو حجر وان جدك لأهتم والصحيح خير من الأهتم قال له خالد من أي قريش أنت قال من عبد الدار بن قصيّ بن كلاب قال لقد هشمتك هاشم وأمتك أمية وجمحت بك جمح وخزمتك مخزوم وأقصتك قصيّ فجعلتك عبد دارها تفتح اذا دخلوا وتغلق اذا خرجوا .. قيل ومرّ الفرزدق فرأى جامعه ابنه شعر فقال يا أبا فراس من الغال

هُوَ القَيْنُ وابنُ القَيْنِ لا قَيْنَ مِثْلُهُ لِفَطْحِ المَسَاحِي أو لِجَدْلِ الأَدَاهِمِ

قال الفرزدق الذي يقول

هُوَ اللِّصُّ وابْنُ اللِّصِّ لا لِصَّ مِثْلُهُ لِنَقْبِ جِدَارٍ أو لِطَرِّ الدَّرَاهِمِ

محاسن حفظ اللسان

قال أكثم بن صيفي مقتل الرجل بين فكيه ــ يعني لسانه ــ وقال .. رب قول أشدّ من صول وقال لكل ساقطة لاقطة .. وقال المهلب لبنيه .. اتقوا زلّة اللسان فاني وجدت الرجل يعثر قدمه فيقوم من عثرته ويزلّ لسانه فيكون فيه هلاكه .. قال يونس بن عبيد .. ليست خلة من خلال الخير تكون في الرجل هي أحرى أن تكون جامعة لأنواع الخير كلها من حفظ اللسان .. وقال قسامة بن زهير يا معشر الناس ان كلامكم أكثر من صمتكم فاستعينوا على الكلام بالصمت وعلى الصواب بالفكر .. وكان يقال ينبغي للعاقل أن يحفظ لسانه كما يحفظ موضع قدمه ومن لم يحفظ لسانه فقد سلّطه على هلاكه .. وقال الشاعر

عَلَيْكَ حِفْظَ اللِّسانِ مُجْتَهِدًا فإِنَّ حَلَّ الهَلاكِ في زَلَلِهِ

غيره

وجرحُ السَّيفِ تَأْسُوهُ فيَبْرَأْ وجرحُ الدَّهرِ ما جَرَحَ اللِّسانُ

جِراحاتُ الطِّعانِ لها الْتِئامٌ ولا يَلْتَامُ ما جَرَحَ اللِّسانُ

غيره

إِحفَظْ لِسانَكَ لا تقولُ فتُبْتَلَى إنَّ البَلاءَ مُوَكَّلٌ بالمَنْطِقِ

غيره

لعمركَ ما شَيْءٌ علمت مَكانَهُ أَحَقُّ بسجنٍ مِنْ لِسانٍ مُذَلَّلِ

عَلَى فِيكَ مِمَّا لَيْسَ يَعْنِيكَ قَوْلُهُ بِقُفْلٍ شَدِيدٍ حَيْثُ مَا كُنْتَ فَاقْفِلِ

قيل .. تكلم أربعة من الملوك بأربع كلمات كأنما رميت عن قوس واحد ،، قال كسري .. أنا على ردّ ما لم أقل أقدر مني على ردّ ما قلت ،، وقال ملك الهند .. اذا تكلمت بكلمة ملكتني وإن كنت أملكها ،، وقال قيصر .. لا أندم على ما لم أقل وقد ندمت على ما قلت ،، وقال ملك الصين .. عاقبة ما قد جرى به القول أشدّ من الندم على ترك القول ،، وقال بعضهم .. من حصافة الانسان أن يكون الاستماع أحب اليه من النطق اذا وجد من يكفيه فانه لن يُعدم الصمت والاستماع سلامة وزيادة في العلم ،، وقال بعض الحكماء .. من قدر على أن يقول فيحسن فانه قادر على أن يصمت فيحسن . وقال بعضهم .. كان ابن عبيدة الريحاني المتكلم الفصيح صاحب التصانيف يقول .. الصمت أمان من تحريف اللفظ وعصمة من زيغ المنطق وسلامة من فضول القول ،، وقال أبو عبيد الله كاتب المهدى .. كن على التماس الحظ بالسكوت أحرص منك على التماسه بالكلام ،، وكان يقال .. من سكت فسلم كان كمن قال فغنم ،، وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم .. ان الله تعالى يكره الانبعاق فى الكلام يرحم الله امرأ أوجز في كلامه واقتصر على حاجته . قيل وكلم رجل سقراط عدقتله بكلام أطاله فقال .. أنساني اول كلامك طول عهده فارق آخره وهي لتفاوته ولما تقدّم ليقتل بكت امرأته فقال .. لها ما يبكيك قالت تقتل ظلماً قال وكنت تحبين أن أقتل حقاً أو أقتل ظالماً .. وشتم رجل المهلب فلم يجبه فقيل له حلمت عنه فقال ما أعرف مساويه وكرهت أن أبهته بما ليس فيه ،، وقال سلمة بن القاسم عن الزبير قال .. حُمِلْتُ الى المتوكل وأدخلت عليه فقال يا أبا عبد الله الزم أبا عبد الله — يعني المعتزّ — حتى تعلمه من فقه المدينيين فأدخلت حجرة فاذا أنا بالمعتزّ قد أتى في رجله نعل من ذهب وقد عثر به فسال دمه فجعل يغسل الدم .. ويقول

يُصَابُ الفَتَى مِنْ عَثْرَةٍ بِلِسَانِهِ وَلَيْسَ يُصَابُ المَرْءُ مِنْ عَثْرَةِ الرِّجْلِ
فَعَثْرَتُهُ مِنْ فِيهِ تَرْمِي بِرَأْسِهِ وَعَثْرَتُهُ بِالرِّجْلِ تَبْرَا عَلَى مَهْلِ

فقلت فى نفسى صممتُ الى من أريد أن أتعلم منه

﴿ ضدّه ﴾

سئل بعض الحكماء عن المنطق فقال ٠٠ انك تمدح الصمت بالمنطق ولا تمدح المنطق بالصمت وما عُبّر به عن شيء فهو أفضل منه ،، وسئل آخر عنهما فقال ٠٠ أحرى الله المساكتة ما أفسدها للسان وأحلها للعيّ ووالله للمماراة فى استخراج حق أهدم للعي من النار في يابس العرفج فقيل له قد عرفت ما فى المماراة من الذم فقال ما فيها أقل ضرراً من السكتة التى تورث عللا وتولد داء أيسره العيّ ،، وقال بعض الحكماء ٠٠ اللسان عضو فان مرّنته مرن وان تركته حرُن ،، وممن أفرط فى قوله فاستقيل بالحلم ،، ماحكى عن شهرام المروزي فانه جرى بينه وبين أبى مسلم صاحب الدولة كلام فما زال أبو مسلم يحاوره الى أن قال له شهرام يا لَقْطَة فصمت ابو مسلم وندم شهرام على ما سبق به لسانه وأقبل معتذراً خاضعاً ومتنصلا فلما رأى ذلك أبو مسلم قال لسان سبق ووهم أخطأ وانما الغضب شيطان والذنب لى لأنى جرّأتك على نفسى بطول احتمالى منك فان كنت معتمداً للذنب فقد شركتك فيه وان كنت مغلوبا فالعذر يسعك وقد غفرنا لك على كل حال قال شهرام أيها الملك عفو مثلك لا يكون غَروراً قال أجل قال وان عظيم ذنبي لم يدع قلبي يسكن ولجّ في الاعتذار فقال أبو مسلم يا عجبا كنت تسيء وأنا أحسن فاذ أحسنتُ أسأتَ

محاسن كتمان السر

قال كان المنصور يقول ٠٠ الملك يحتمل كل شيء من اصحابه الا ثلاثاً إفشاء السر والتعرّض للحرم والقدح فى الملك ،، وكان يقول سرّك من دمك فانظر من تملّكه ٠ وكان يقول سرّك لا تطلع عليه غيرك وإن من أنفذ البصائر كتمان السرّ حتى يبرم المبروم ٠٠ وقيل لأبى مسلم بأي شيء ادركت هذا الامر قال ارتديت بالكتمان واتّزرت

بالحزم وحالفت الصبر وساعدت المقادير فأدركت طلبتي وحرت بعيتي ٠٠ وأنشد في ذلك

أَدْرَكْتُ بالحَزْمِ والكتمانِ ماعجزتْ عَنْهُ مُلوكُ بَنِي مَرْوانَ إذْ حَشَدُوا

ما زِلتُ أَسعَى عليهمْ في دِيارِهِمِ والقَوْمُ في مُلكِهِمْ بالشامِ قدْ رَقَدُوا

حتَّى ضرَبْتُهُمْ بالسَّيْفِ فانتَبَهوا مِنْ نَوْمَةٍ لمْ يَنَمْها قَبْلَهُمْ أَحَدُ

ومَنْ رَعَى غنماً في أرضِ مَسْبَعَةٍ ونامَ عَنْها تَوَلَّى رَعْيَها الأَسَدُ

قال ،، وقال عبد الملك بن مروان للشعبي لما دخل عليه ،، جنبني خصالاً أربعاً لا تطريني في وجهي ولا تجربن عليّ كذبة ولا تغتابن عندي احداً ولا تفشين لي سراً ٠٠ وقال النبي صلى الله عليه وسلم ، استعينوا على إنجاح حوائجكم بكتمان السر فان كلّ ذي نعمة محسود وانشد اليزيدي في ذلك

النَّجْمُ أَقْرَبُ مِنْ سِرٍّ إذا اشتَمَلَتْ مِنِّي على السِّرِّ أَضْلاعٌ وأَحْشاءُ

غيره

ونفسَكَ فاحفَظْها ولا تُفْشِ للعِدَى مِنَ السِّرِّ ما يَطوِي عليهِ ضميرُها

فما يَحفَظُ المَكتُومَ مِن سِرِّ أَهْلِهِ إذا عُقَدُ الأَسْرارِ ضاعَ كَثيرُها

مِنَ القَوْمِ إلاَّ ذُو عَفافٍ يُعِينُهُ على ذلكَ مِنْهُ صِدْقُ نفسٍ وخِيرُها

قال معاوية بن ابي سفيان ، أعنت على عليّ بن أبي طالب بأربع خصال كان رجلاً ظُهَرَةً عُلَنَةً لا يكتم سراً وكنت كتوماً لسرى وكان لا يسعى حتى تفاجئه الامر مفاجأة وكنت أبادر الى ذلك وكان في أخبث جند وأشدّهم خلافاً وكنت في أطوع جند وأقلهم خلافاً وكنت أحب الى قريش منه فنلت ما شئت والله من جامع إلي ومفرق عنه ٠٠ وكان يقال ، لكاتم سرّه من كتمانه إحدى فضيلتين الظفر بحاجته والسلامة من شره فمن أحسن فليحمد الله وله المنة عليه ومن أساء فليستغفر الله ٠٠ وقال بعضهم كتمانك سرّك يعقبك السلامة وإفشاؤك سرك يعقبك الندامة والصبر على كتمان السرّ أيسر من الندم على افشائه وقال بعضهم ما أقبح بالانسان أن يخاف على ما في يده من اللصوص

فيحصيه ويزكّي عدوه من نفسه باظهاره ما في قلبه من سرّ نفسه وسرّ اخيه ومن عجز عن تقويم امره فلا يَلُومَنَّ إلا نفسه اذلم يستقم له •• وقال معاوية ما افشيت سرّي الى احد الا أعقبني طول الندم وشدّة الأسف ولا اودعته جوانح صدري فحكمته بين اضلاعي إلا أكسبني مجداً وذكراً وسناء ورفعة فقيل ولا ابن العاص قال ولا ابن العاص • وكان يقول •• ما كنت كاتمه من عدوّك فلا تظهر عليه صديقك •• وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم من كتم سره كان الخيرة في يده ومن عرض نفسه للتهمة فلا يلومن من أساء به الظن وضع أخيك على أحسنه ولا تظنن بكلمة خرجت منه سوء ما كنت واجداً لها في الخير مذهباً وما كافأت من عصى الله فيك بأفضل من أن تطيع الله جل اسمه فيه وعليك باخوان الصدق فانهم زينة عند الرخاء وعصمة عند البلاء •• وحدث ابراهيم بن عيسى قال .. ذاكرت المنصور ذات يوم في أبي مسلم وصونه السر وكتمه حتى فعل مافعل .. فأنشد

تقسّمني أمرانِ لم أفتتحهما | بحزمٍ ولم تعرِكْهما لي الكراكرُ
وما ساوَرَ الأحشاءَ مثلُ دفينةٍ | من الهمّ ردّتها إليكَ المعاذرُ
وقد علمتْ أفناءُ عدنانَ أنّني | على مثلِها مِقدامةٌ متجاسرُ

وقال آخر

صُنِ السرَّ بالكتمانِ يرضِك غِبُّهُ | فقد يظهرُ السرَّ المضيعُ فيندمُ
ولا تفشينْ سرًّا إلى غيرِ أهلِهِ | فيظهرَ خرقُ الشرّ من حيثُ يُكتمُ
وما زلتُ في الكتمانِ حتّى كأنّني | برجعِ جوابِ السائلي عنهُ أعجمُ
لِأسلمَ من قولِ الوشاةِ وتسلمي | سلمتِ وهلْ حيٌّ على الدهرِ يسلمُ

وقال آخر

أمنّي تخافُ انتشارَ الحديث | وحظّيَ في سترِهِ أوفرُ

ولوْ لمْ أَصُنْهُ لِبُقْيا عَلَيْكَ نَظَرْتُ لِنَفْسي كَما تَنْظُرُ

وقال أبو نواس

لا تفشِ أسرارَكَ لِلناسِ وداوِ أحزانَكَ بالكاسِ

فإنَّ إبليسَ على ما بهِ أرأفُ بالنَّاسِ مِنَ النَّاسِ

وقال المبرد . أحسن ما سمعت في حفظ اللسان والسر ما روي لأمير المؤمنين علي بن أبي طالب كرم الله وجهه

لَعَمْرُكَ إنَّ وُشاةَ الرِّجا لِ لا يَتْرُكونَ أديماً صَحيحا

فلا تُبْدِ سِرَّكَ إلاَّ إليْكَ فإنَّ لِكُلِّ نَصيحٍ نَصيحا

وقال العتبي

ولي صاحبٌ سِرِّي المُكتَّمُ عِندَهُ مَخاريقُ نيرانٍ بليلٍ تُحَرَّقُ

عَدَوْتُ على أسرارِهِ فكَسَوْتُها ثِياباً مِنَ الكِتمانِ ما تتحرَّقُ

فمن كانتِ الأَسرارُ تطفو بصدْرِهِ فأسرارُ صَدْري بالأحاديثِ تَغْرَقُ

فلا تُودِعِنَّ الدَّهرَ سِرَّكَ أحمقاً فإنَّكَ إنْ أودَعْتَهُ منهُ أحْمَقُ

وحَسْبُكَ في سَتْرِ الأحاديثِ واعِظاً مِنَ القَوْلِ ما قالَ الأديبُ المُوَفَّقُ

إذا ضاقَ صدْرُ المرءِ عن سرِّ نفسه فصَدْرُ الذي يُستَودَعُ السرَّ أضيَقُ

وقال آخر

لا يكتمُ السرَّ إلاَّ كلُّ ذي خطَرٍ والسِّرُّ عند كرامِ الناسِ مكتومُ

والسرُّ عندي في بيتٍ له غلَقٌ قد ضاعَ مفتاحه والبابُ مردومُ

قيل دخل أبو العتاهية على المهدي وقد ذاع شعره في عتبة فقال ما أحسنت في حبك ولا أجملت في إذاعة سرّك فقال

مَنْ كانَ يَزْعُمُ أَنْ سيكتُمُ حُبَّهُ　　أَو يَستطيعُ السِّترَ فهو كَذُوبُ
الحُبُّ أغلبُ للرِّجالِ بقهرِهِ　　مِنْ أنْ يُرَى للسِّرِّ فيه نَصيبُ
وإذا بَدَا سِرُّ اللَّبِيبِ فإِنَّهُ　　لمْ يَبْدُ إلاَّ والفَتى مغلوبُ
إِنِّي لأَحْسُدُ ذاهوىً مُسْتَحفِظاً　　لمْ تَتَّهِمْهُ أعْيُنٌ وقُلوبُ

فاستحسن المهدى شعره وقال .. قد عذرناك على إذاعة سرك ووصلناك على حسن شعرك ان كتمان السر أحسن من إذاعته ٠٠ وقال زياد لكل مستشير ثقة وان الناس قد ابتدعت بهم خصلتان اذاعة السر وترك النصيحة وليس للسر موضع إلا أحد رجلين إما آخري يرجو ثواب الله أو دنياوي له شرف في نفسه وعقل يصون به حسبه وهما معدومان في هذا الدهر ٠٠ وقال المهلب ٠٠ ما ضاقت صدور الرجال عن شئ كما تضيق عن السر ٠٠ كما قال الشاعر

ولرُبَّما كتمَ الوقورُ فصرَّحتْ　　حَرَ كاتُهُ للناسِ عنْ كِتمانِهِ
ولرُبما رُزِقَ الفتى بسكوتِهِ　　ولرُبَّما حُرِمَ الفتى ببيانِهِ

وقال آخر

إذا أنتَ لم تحفظْ لنفسكَ سِرَّها　　فسرُّكَ عِندَ النَّاسِ أفشى وأضيعُ

وقال آخر

لساني كَتومٌ لأَسْرارِكم　　ودَمعي نَمومٌ لِسرِّي مُذيعُ
فلولا الدُّموعُ كتمتُ الهَوى　　ولولا الهَوى لمْ تكنْ لي دُموعُ

محاسن المشورة

يقال إذا استخار الرجل ربه واستشار نصيحه واجتهد فقد قضى ما عليه ويقضى

الله في أمره ما يحب .. وقال آخر حسن المشورة من المشير قضاء حق النعمة .. وقيل اذا استشرتَ فانصح وإذا قدرت فاصفح .. وقيل من وعظ أخاه سراً زانه ومن وعظه جهراً شانه .. وقال آخر الاعتصام بالمشورة نجاة .. وقال آخر نصف عقلك مع أخيك فاستشره .. وقال آخر اذا أراد الله لعبد هلاكا أهلكه برأيه .. وقال آخر المشورة تقوّم اعوجاج الرأي .. وقال آخر إيّاك ومشورة النساء فان رأيهنّ الى أفن وعزمهنّ الى وهن

﴿ ضدّه ﴾

قال بعض أهل العلم لو لم يكن في المشورة الا استضعاف صاحبك لك وظهور فقرك اليه لوجب اطّراح ما تفيده المشورة والقاء ما يكسبه الامتنان وما استشرت أحداً إلا كنت عند نفسي ضعيفاً وكان عندي قوياً وتصاغرتُ له ودخلته العزّة فايّاك والمشورة وان ضاقت بك المذاهب واختلفت عليك المسالك وأدّاك الاستبهام الى الخطأ الفادح فان صاحبها أبداً مستذلّ مستضعف وعليك بالاستبداد فان صاحبه أبداً جليل في العيون مهيب في الصدور ولن تزال كذلك ما استغنيت عن ذوى العقول فاذا افتقرت اليها حقرتك العيون ورجفت بك أركانك وتضعضع بنيانك وفسد تدبيرك واستحقرك الصغير واستخف بك الكبير وعُرِفتَ بالحاجة اليهم وقيل نعم المستشار العلم ونعم الوزير العقل . وممن اقتصر على دون المشورة الشعبي فانه خرج مع ابن الأشعث فقُدم به على الحجاج ولقيه يزيد بن أبى مسلم كاتب الحجاج فقال له أشر عليّ فقال لا أدرى بما أشير ولكن اعتذر بما قدرت عليه وأشار بذلك عليه كافة أصحابه . قال الشعبي فلما دخلت خالفت مشورتهم ورأيت والله غير الذى قالوا فسلمت عليه بالإمرة ثم قلت أيّد الله الأمير ان الناس قد امروني ان اعتذر بغير ما يعلم الله انه الحق وايم الله أن لا أقول في مقامي هذا إلا حق قد جهدنا وحرّضنا فما كنا بالأقوياء الفجرة ولا الأتقياء البررة ولقد نصرك الله علينا وظفرك بنا فان سطوت فبذنوبنا وان عفوت فبحلمك والحجة لك علينا فقال الحجاج أنت والله أحب الي قولا ممن يدخل علينا

وسيفه يقطر من دمائنا ويقول والله ما فعلت ولا شهدت أنت آمن يا شعبى فقلت أيها الأمير اكتحلت والله بعدك السهر واستحلست الخوف وقطعت صالح الاخوان ولم أجد من الأمير خلفاً .. قال صدقت وانصرفت

محاسن الشكر

قال بعض الحكماء .. ضن بشكرك عمن لا يستحقه واستر ماء وجهك بالقناعة .. وقال الفضل بن سهل من أحب الازدياد من النعم فليشكر ومن أحب المنزلة فليكف ومن أحب بقاء عزه فليسقط دالّته ومكره .. ومن ذلك قول رجل لرجل شكره فى معروف

لقدْ ثبتتْ في القلبِ منكَ مودَّةٌ كما ثبتتْ فى الرَّاحتينِ الأَصابعُ

قال .. واصطنع رجل رجلا فسأله يوماً أتحبنى يا فلان قال نعم أحبك حباً لو كان فوقك لأظلك أو كان تحتك لأقلك .. وقال كسرى أنو شروان المنعم أفضل من الشاكر لأنه جعل له السبيل الى الشكر .. واختصر حبيب بن أوس هذا في مصراع واحد فقال

أَهانَ علَيْنا أَنْ نقُولَ و نَفْعَلاَ

الباهلى عن ابى فروة قال مكتوب فى التوراة اشكر من انعم عليك وانعم على من شكرك فانه لا زوال للنعم اذا شكرت ولا اقامة لها اذا كفرت والشكر زيادة فى النعم وامان من الغير .. وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم .. خمس تعاجل صاحبهن بالعقوبة البغي والغدر وعقوق الوالدين وقطيعة الرحم ومعروف لا يشكر .. وانشد الحطيئة عمر وكعب الأحبار عنده

مَنْ يفعَلِ الخيرَ لا يعدَمْ جوازِيَهُ لا يذهبُ العُرْفُ بينَ اللهِ والنَّاسِ

فقال كعب ،، يا أمير المؤمنين من هذا الذى قال هذا فانه مكتوب فى التوراة فقال عمر كيف ذلك قال في التوراة مكتوب •• من يصنع الخير لا يضيع عندي لا يذهب العرف بيني وبين عبدى •• وقيل لرسول الله صلى الله عليه وسلم أليس قد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر فما هذا الاجتهاد فقال ،، أفلا أكون عبداً شكوراً •• وفي الحديث ان رجلا قال فى الصلاة خلف رسول الله صلى الله عليه وسلم ،، اللهم ربنا لك الحمد حمداً مباركا طيبا زكياً فلما انصرف صلى الله عليه وسلم قال أيكم صاحب الكلمة قال أحدهم أنا يا رسول الله فقال لقد رأيت سبعة وثلاثين ملكا يبتدرون أيهم يكتبها أولا •• وقيل نسيان النعمة أول درجات الكفر ،، وقال أمير المؤمنين على رضي الله عنه المعروف يكفّر من كفَره لأنه يشكرك عليه أشكر الشاكرين .

وقد قيل فى ذلك

يدُ المَعْرُوفِ غُنْمٌ حيثُ كانتْ تَحَمَّلَها كَفُورٌ أمْ شَكُورُ

فعِنْدَ الشّاكِرِينَ لها جَزَاءٌ وعِنْدَ اللهِ ما كَفَرَ الكَفُورُ

. وقال بعض الحكماء ما أنعم الله على عبد نعمة فشكر عليها إلا ترك حسابه عليها . وقال بعض الحكماء عند الراجي عن شكر النعم تحلّ عظائم النقم وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم كثيراً ما يقول لعائشة ما فعل بيتك فتنشده

يَجْزِيكَ أو يُثْنِي عليكَ وإنَّ مَنْ أثنى عليكَ بما فَعلْتَ كمَنْ جَزَى

فيقول صلى الله عليه وسلم صدق القائل يا عائشة إن الله إذا أجرى على يد رجل خيراً فلم يشكره فليس لله بشاكر وقيل لذى الرمة لِمَ خصصت بلال بن أبى بردة بمدحك قال •• لأنه وطّأ مضجعي وأكرم مجلسي وأحسن صلتي فحق لكثير معروفه عندي أن يستولي على شكرى ومنهم من يقدّم ترك مصابه الشكر ويانسه الى مكارم الاخلاق من ذلك ما قاله بزرجمهر من انتصر بمعروفه شكرك عجل لمكافأة وقال بعض الحكماء إن الكفر يقطع مادة الانعام فكذلك الاستطالة بالصنيعة تمحق الأجر . وقال علىّ بن عبيدة من أمكارم الظاهرة وسنن النفس السريعة ترك طلب الشكر

على الاحسان ورفع الهمة عن طلب المكافأة واستكثار القليل من الشكر واستقلال الكثير مما يبدل من نفسه ‥ وفي فصل من كتاب ولست أقابل أياديك ولا استديم احسانك إلا بالشكر الذي جعله الله للنعم حارساً وللحق مؤدّياً وللمزيد سبباً

﴿ ضدّه ﴾

قال بعض الحكماء ‥ المعروف الى الكرام يعقب خيراً والى اللئام يعقب شراً ومثّل ذلك مثل المطر يشرب منه الصدف فيعقب لؤلؤا ويشرب منه الأفاعي فيعقب سُمًّا ‥ وقال سفيان وجدنا أصل كل عداوة اصطناع المعروف الي اللئام ‥ وقال أثارَ جماعة من الأعراب ضبعاً فدخلت خباء شيخ منهم فقالوا أخرجها فقال ما كنت لأفعل وقد استجارت بي فانصرفوا وقد كانت هزيلا فأحضر لها لقاحاً وجعل سقيها حتى عاشت فنام الشيخ ذات يوم فوثبت عليه فقتلته ‥ فقال شاعرهم في ذلك

ومَنْ يَصنعِ المعرُوفَ معَ غيرِ أهلِهِ ... يُلاقِ الذي لاقى مُجيرُ أُمِّ عامرِ

أقامَ لها لمَّا أناخت ببابهِ ... لِتَسْمنَ ألبانَ اللِّقاحِ الدَّرائرِ

فأسمَنَها حتَّى إذا ما تَمكَّنَتْ ... فَرتْهُ بأنيابٍ لها وأظافرِ

فقُلْ لذوِي المعْرُوفِ هذا جَزاءُ مَنْ ... يجُودُ بإحسانٍ إلى غيرِ شاكرِ

قيل ‥ وأصاب إعرابي جرو ذئب فاحتمله الى خبائه وقرّب له شاة فلم يزل يمتصّ من لبنها حتى سمن وكبر ثم شدّ على الشاة فقتلها ‥ فقال الاعرابي يذكر ذلك

عَدَتْ عَلى شُوَيهَتِي وَنَشأْتَ عِنْدِي ... فمَنْ أدْراكَ أنَّ أباكَ ذِيبُ

فَجعتَ نُسَيَّةً وصِغارَ قومٍ ... بشاتِهِمُ وأنتَ لها رَبيبُ

إذا كانَ الطِّباعُ طِباعَ سوْءٍ ... فليْسَ بنافعٍ أدَبُ الأدِيبِ

وفي المثل ‥ سَمِّنْ كلبك يأكُلْكَ ‥ وأنشد

هم سَمَّنوا كلباً ليأكلَ بعضهم ... ولو عَمِلوا بالحزمِ ما سَمَّنوا كلبا

وقال آخر

وإني وقيساً كالمسمِّنِ كلبهُ ... فخدَّشَهُ أنيابُهُ وأظافرُه

ويضرب المثل بسِنِمَّار .. وكان بنى للنعمان بن المنذر الخورنق فأعجبه وكره أن يبنى لغيره مثله فرمى به من أعلاه فمات .. فقيل فيه

جزَينا بنى سعدٍ بحُسنِ بلائهم ... جزاءَ سِنِمَّارٍ وما كانَ ذا ذنبِ

وقال بشّار (١)

أُثني عليكَ ولى حالٌ تُكذّبُني ... فيما أقولُ فأستحيي مِنَ النَّاسِ

قد قلتُ إنَّ أبا حفصٍ لأكرمُ مَن ... يَمْشي فخاصَمَني فى ذاكَ إفلاسِي

حتَّى إذا قيلَ ما أعطاكَ من صفدٍ ... طأطأتُ مِنْ سوءِ حالى عندَها راسي

ولأبى الهول

كأني إذْ مدَحتُكَ يا ابنَ معنٍ ... رآني النَّاسُ في رمضانَ أزنى

فإنْ أكثرتُ عنكَ بغيرِ شيءٍ ... فلا تفرحْ كذلك كانَ ظنّي

وقال آخر

لحى اللهُ قوماً أعجبتهمْ مدائحي ... فقالوا مقالاً فى ملامٍ وفي عتبِ

أبا حازمٍ تمدحُ فقلتُ معذِراً ... هوى امرأً أحرزتُ سيمي فى كلبِ

وقال آخر

عثمانُ يعلمُ أنَّ الحمدَ ذو ثمنٍ ... لكنّهُ يشتهي حمداً بمجانِ

والناسُ أكيسُ مِن أنْ يمدحوا رجلاً ... حتَّى يروا عندَهُ آثارَ إحسانِ

---

(١) ـ المشهور أن الأبيات لأبي العتاهية وهو ... [illegible] ابن العلاء وابن ... [illegible] في [illegible]

وقال آخر

يحبُّ المديحَ أبو خالدٍ ويغضبُ من صلةِ المادحِ
كبكرٍ تحبُّ لذيذَ النكاحِ وتجزعُ من صولةِ الناكحِ

وقال آخر

ولو كان يستغني عن الشكر سيّدٌ لعزّةِ ملكٍ أو علوِّ مكانِ
لما أمرَ اللهُ العبادَ بشكرِهِ فقالَ اشكروني أيُّها الثقلانِ

محاسن الصدق

قال بعض الحكماء .. عليك بالصدق فما السيف القاطع فى كف الرجل الشجاع بأعزّ من الصدق والصدق عزّ وإن كان فيه ما تكره والكذب ذل وإن كان فيه ما تحبّ ومن عُرِف بالكذب اتُّهم في الصدق .. وقيل الصدق ميزان الله الذي يدور عليه العدل والكذب مكيال الشيطان الذى يدور عليه الجور .. وقال ابن السماك ما أحسبنى أوجر على ترك الكذب لأنى أتركه أنفة .. وقال آخر لو لم يترك العاقل الكذب إلا مروءة لكان بذلك حقيقاً فكيف وفيه المأثم والعار .. وقال الشعبى عليك بالصدق حيث ترى انه يضرك فانه ينفعك واجتنب الكذب حيث ترى انه ينفعك فانه يضرك .. وقال بعضهم الصدق عزّ والكذب خضوع .. ومُدِح قوم بالصدق منهم ابو ذرّ رضى الله عنه فان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « ما أظلت الخضراء ولا أقلت الغبراء ولا طلعت الشمس على ذى لهجة أصدق من أبى ذرّ »، ومنهم العباس بن عبد المطلب رضى الله عنه فانه روي انه اطلع على رسول الله صلى الله عليه وسلم وعنده جبريل فقال له جبريل هذا عمّك العبّاس قال نعم قال ان الله تعالى يأمرك أن تقرأ عليه السلام وتعلمه ان اسمه عبد الله الصادق وان له شفاعة يوم القيامه فأخبره رسول الله صلى الله عليه وسلم بذلك فتبسم فقال ان شئت أخبرتك مما به تبسمت وان شئت أن تقول

فقل فقال بل تعلمني يارسول الله فقال .. لأنك لم تخلف عيبا في جاهلية ولا اسلام برّة ولا فاجرة ولم تقبل لسائل لا .. قال والذي بعثك بالحق نبياً ما تبسمت إلا لذلك ..
ويروى ان رجلا أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال .. انى استسرّ بخلال الزنا والسرقة وشرب الخمر والكذب فأيهن أحببتَ تركته .. قال دع الكذب فمضى الرجل فهمّ بالزنا فقال يسألني رسول الله صلى الله عليه وسلم فان جحدت نقضت ما جعلته له وان أقررت حُدِدْت فلم يزن فهمّ بالسرقة وشرب الخمر ففكر في ذلك فرجع الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له قد تركتهن أجمع .. فأمّا من رُخِّصَ له في الكذب فيروى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال .. لا يصلح الكذب إلا في ثلاث كذب الرجل لأهله ليرضيها وكذب في إصلاح ما بين الناس وكذب في حرب .. وروي عن المغيرة بن ابراهيم انه قال .. لم يرخّص لأحد في الكذب إلا للحجاج ابن عِلاط فانه لما فُتحت خيبر قال يارسول الله ان لي عند امرأة من قريش وديعة فأذن لي يا رسول الله أن أكذب عليك كذبة لعلي أستلّ وديعتي فرخّص له في ذلك فقدم مكة فأخبرهم انه ترك رسول الله صلى الله عليه وسلم أسيراً في أيديهم يأتمرون فيه فقائل يقول يقتل وقائل يقول لا بل يبعث به الي قومه فتكون مِنّةً فجعل المشركون يتباشرون بذلك ويسيئون العبّاس عمّ رسول الله صلى الله عليه وسلم والعبّاس يريهم التجمل وأخذ الرجل وديعته فاستقبله العباس وقال ويحك ما الذي أخبَرْت به فأعلمه السبب ثم أخبره ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد فتح خيبر ونكح صفية بنت حيي ابن أخطب وقتل زوجها وأتاها .. ثم قال اكتم عليّ اليوم وغداً حتى أمضي ففعل ذلك فلمّا مضى يومان أخبرهم العباس بالذي أخبره فقالوا من أخبرك بهذا قال من أخبركم بضدّه

﴿ ضدّه ﴾

قيل .. وجد في بعض كتب الهند ليس لكذوب مروءة ولا لضجور رياسة ولا لملول وفاء ولا لبخيل صديق .. وقال قتيبة بن مسلم لا تصادق الحوج من كذوب

فانه يقربها وإن كانت بعيدة ويبعدها وإن كانت قريبة ولا الى رجل قد جعل المسألة مأكلة فانه يقدم حاجته قبلها ويجعل حاجتك وقاية لها ولا إلى أحمق فانه يريد نفعك فيضرك ‥ وقيل أمران لا ينفكان من كذب كثرة المواعيد وشدة الاعتذار ‥ وقيل كفاك موبخاً على الكذب علمك بأنك كاذب ‥ وقال رجل لأبي حنيفة ما كذبت قط قال أما هذه فواحدة ‥ وفي المثل هو أكذب من أخيذ السند ،، وذلك انه يؤخذ الخسيس منهم فيزعم انه ابن الملك ‥ وكذلك يقال أكذب من سيّاح خراسان ،، لأنهم يختارون في كل بلد ويكذبون للسؤال والمسألة ‥ ويقال هو أكذب من الشيخ الغريب ،، وذلك انه يتزوج في الغربة وهو ابن سبعين سنة فيزعم انه ابن أربعين ‥ ويقال هو أكذب من مسيلمة وبه يضرب المثل ‥ ومما قيل في ذلك من الشعر

حَسْبُ الكَذُوبِ مِنَ البَلِيَّـ * ـةِ بَعْضُ ما يُحْكَى عليهِ
ما إِنْ سَمِعْتُ بِكِذْبَةٍ مِنْ غيرِه نُسِبَتْ إليهِ

وقال آخر

لقدْ أَخْلَفْتَنِي وحَلَفْتَ حتَّى إخالُكَ قدْ كَذَبْتَ وإِنْ صَدَقْتَا
أَلا لا تَحْلِفَنَّ على كَلامٍ فأَكْذَبُ ما تَكونُ إِذا حَلَفْتَا

وقال آخر

قدْ كُنْتُ أُنْجِزُ دهراً ما وَعَدْتُ إلى أنْ أتْلَفَ الوَعْدُ ما جَمَّعْتُ مِنْ نَشَبِ
فإنْ أكُنْ صِرْتُ في وَعْدِي أخا كَذِبٍ فَنُصْرَةُ الصِّدْقِ أَفْضَتْ بِي إلى الكَذِبِ

قال الأصمعي — قال الخليل بن سهل ،، يا أبا سعيد أعلمت أنّ طول رمح رستم كان سبعين ذراعا من حديد مُصْمَت في غلظ الراقود فقلت هاهنا اعرابي له معرفة فاذهب بنا اليه نحدّثه بهذا فذهبت به الى الاعرابيّ نحدّثه فقال الاعرابي ،، قدسمعت بذلك وبلغنا أن رستم هذا كان هو واسفنديار أتيا لقمان بن عاد بالبادية فوجداه نائما

ورأســه فى حجر أمه فقالت لها ما شأنكما فقالا بلغنا شدة هذا الرجل فأتيناه فانتبه فزعا من كلامهما فصححهما فألقاهما الى أصبهان فقبرهما اليوم بها .. فقال الخليل فتحك الله ما أكذبك قال يا ابن أخي ما يأتما شيئاً إلا وهو دون الراقود .. قيل وقدم بعض العمال من عمل فدعا قوماً الى طعامه وجعل يحدثهم بالكذب فقال بعضهم .. نحن كما قال الله عز وجل (سَمَّاعونَ للكَذِبِ أكَّالُونَ للسُّحْتِ) .. قيل وكان رجال من أهل المدينة من بين فقيه وراوية وشاعر يأتون بغداد فيرجعون بحظوة وحال حسنة فاجتمع عدة منهم فقالوا لصديق لهم لم يكن عنده شيء من الأدب .. لو أتيت العراق فلعلك أن تصيب شيئاً .. قال أنتم أصحــاب آداب تلتمسون بها .. فقالوا نحن نحتال لك فأخرجوه فلما قدم بغداد طلب الاتصال بعلي بن يقطين وشكا اليه الحاجة فقال ماعندك من الأدب فقال ليس عندي من الأدب شيء غير انى أكذب الكذبة وأحيل الى من يسمعها اني صادق وكان طريفاً مليحاً فأعجب به وعرض عليه مالا فأبى أن يقبله وقال ما أريد منك الا أن تسهل أذني وتدني مجلسي قال ذلك لك وكان من أقرب الناس اليــه مجلساً حتى عُرِف بذلك .. وكان المهدي قد غضب على رجل من القُوَّاد واستصفى ماله وكان يختلف الي علي بن يقطين رجاء أن يكلم له المهدى وكان يرى قرب المديني ومكانه من علي فأتى المديني القائدَ عشياً فقال ما البشرى قال لك البشرى وحكمك قال أرسلني علي بن يقطين اليك وهو يقرؤك السلام ويقول قــد كلمت أمير المؤمنين في أمرك ورضي عنك وأمر برد مالك وضياعك ويأمرك بالعدو اليه لتغدوا معه الي أمير المؤمنين متشكراً فدعا له الرجل بألف دينار وكسوة وحُملانٍ وغدا على علي مع جماعة من وجوه العسكر متشكراً فقال له علي وما ذاك قال أخبرني أبو فلان ــ وهو الي جنبه ــ كلامك أمير المؤمنين في أمري ورضاه عني فالتفت الي المديني وقال ما هذا فقال أصلحك الله هذا بعض ذلك المتاع بسرناه فضحك علي وقال عليَّ بدابتي وركب الي المهدي وحدثه الحديث فضحك المهدي وقال إنا قد رضينا عن الرجــل ورددنا عليه ماله وأجرى على المديني رزقا واسعاً واستوصى به خيراً ثم وصله .. وكان يعرف بكذاب أمير المؤمنين

محاسن العفو

قيل .. أسر مصعب بن الزبير رجلا من أصحاب المختار فأمر بضرب عنقه فقال .. أيها الأمير ما أقبح بك أن أقوم يوم القيامة الى صورتك هذه الحسنة فاتعلق باطرافك وأقول رب سل مصعباً فيمَ قتلني فقال أطلقوه .. فقال أيها الأمير اجعل ما وهبت لي من عمري في خفض عيش . فقال اعطوه مائة ألف درهم . قال بأبي أنت وأمي اشهدك أن لابن قيس الرُّقيّات منها خمسين ألفاً قال لِمَ قال لقوله فيك

إنَّما مُصْعَبٌ شِهابٌ مِنَ اللَّــهِ تَجلَّتْ عَنْ وَجْهِهِ الظَّلْماءُ

مُلْــكُهُ مُلْكُ رَأْفةٍ لَيسَ فيهِ جَبَرُوتٌ ولاَ لَهُ كِبرياءُ

فضحك مصعب وقال . لقد تلطّفت وإنَّ فيك لموضعاً للصنيعة وأمر له بالمائة ألف ولابن قيس الرُّقيات بخمسين ألف درهم قيل وأمر الرشيد يحيى بن خالد بحبس رجل جنى جناية فحبسه ثم سأل عنه الرشيد فقيل هو كثير الصلاة والدعاء فقال للموكل به عرّض له بان تكلمني وتسألني اطلاقه فقال له الموكل ذلك فقال قل لأمير المؤمنين إن كل يوم يمضي من نعمتك ينقص من محنتي والأمر قريب والموعد الصراط والحاكم الله فخرّ الرشيد مغشياً عليه ثم أفاق وأمر باطلاقه وقيل ظفر المأمون برجل كان يطلبه فلما دخل عليه قال يا عدو الله انت الذي تفسد في الأرض بغير الحق يا غلام خذه اليك فاسقه كأس المنية فقال يا أمير المؤمنين ان رأيت ان تبقيني حتى أؤيدك بمال قال لاسبيل الى ذلك فقال يا امير المؤمنين فدعني انشدك ابياتا قال هات فانشده

زَعَموا بأنَّ البازَ علقَ مرَّةً عُصْفُورُ بَرٍّ ساقَهُ المَقْدُورُ

فتَكلَّمَ العصفورُ تحتَ جَناحِهِ والبازُ منقضٌّ عليهِ يَطيرُ

ما بي لمَا يغنى لِمثلِكَ شَبعَةً ولَئنْ أُكِلتُ فإنَّني لَحقِيرُ

فتبسَّمَ البازُ المدِلُّ بنفسهِ كَرَماً وأطلقَ ذلكَ العُصْفُورُ

فقال له المأمون ،، أحسنت ماجرى ذلك على لسانك إلا لبقيــة بقيت من عمرك فأطلقه وخلع عليه ووصله •• وعن بعضهم ان والياً أتي برجل جنى جناية فأمر بضربه فلما مُدّ قال ،، بحق رأس أمك الا ما عفوت عني ،، قال أوجع فقال ،، بحق خدّيها ونحرها قال أضرب قال بحق ثدييها قال أضرب قال بحق سرّتها قال ويلكم دعوه لايحدر قليلا •• وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال ، إن الرجل اذا ظُلم فلم ينتصر ولم يجد من ينصره ورفع طرفه الي السماء ودعا قال الله له لبيك عبدي انصرك عاجلا وآجلا .. وقال صلى الله عليه وسلم في قولهم ، انصر أخاك ظالماً أو مظلوماً ،، وقد سئل عن ذلك فقيـل ،، أنصره مظلوماً فكيف أنصره ظالماً فقال ،، تمنعه من الظلم فذلك نصرك اياه وقال فُضيل بن عياض بكى أبي فقلت ما يبكيك فقال ،، أبكي على ظالمي ومن أحد مالي أرحمه غـداً اذا وقف بين يدي الله عزّ وجلّ وسأله فلا تكون له حجّة ..وقال الحسن البصري أيها المتصدّق على السائل يرحمه ارحم أولا من ظلمت .. وروى عن عبد الله بن سلام قال ، قرأت في بعض الكتب قال الله عزّ وجلّ إذا عصانى من يعرفني سلّطت عليه من لا يعرفني .. قال خالد بن صفوان إياكم ومجانيق الضعفاء ــ يعني الدعاء ــ

﴿ ضــده ﴾

قيل ،، لما قالت التغلبية للجحّاف بن حكيم السلمي في وقعته بالبشر قوّض الله عمادك وأطال سُهادك وأقلّ رقادك والله ان قتلت إلا نساء أسافلهن دُمِيّ وأعاليهن ثُدِيّ ،، فقال لمن حوله لولا أن تلد مثلها لخلّيت سبيلها فبلغ ذلك الحسن البصري فقال ،، أمّا الجحّاف فجذوة من نار جهنم .. قال وما بي زياد ساء البصرة أمر أصحابه أن يسمعوا من أفواه الناس فأتيَ برجل تلا آية ﴿ أتبنون بكلّ ريع آية تعبثون وتتخذون مصانع لعلّكم تخلدون ﴾ قال وما دعاك الى هذا قال آية من كتاب الله عزّ وجلّ خطرت على بالي فتلوتها قال والله لأعملن فيك بالآية الثانية ﴿ وإذا بطشتم بطشتم

يَجبَّارِين) ثم أمر به فبني عليه ركن من أركان القصر .. قال وبعث زياد الى رجل من بني تميم فقال أخبروني بصلحاء كل ناحية فأخبروه فاختار منهم رجالاً فضمنهم الطريق ..وقال لو ضاع بيني وبين خراسان حبل لعلمت من لقطه. وكان يدفن الناس أحياء وينزع أضلاع اللصوص .. قال وقال عبد الملك للحجاج كيف تسير في الناس قال .. انظر الى عجوز أدركت زياداً فاسئلها عن سيرته فاعمل بها .. فأخذ والله سنته حتى ما ترك منها شيئاً .. وذكروا أن الحجاج لما أتى المدينة أرسل الى الحسن بن الحسن رضي الله عنه فقال هاتِ سيف رسول الله صلى الله عليه وسلم ودرعه قال لا أفعل قال فجاء الحجاج بالسيف والسوط فقال والله لأضربنك بهذا السوط حتى أقطعه ثم لأضربنك بهذا السيف حتى تبرد أو تأتيني بهما فقال الناس يا ابا محمد لا تعرض لهذا الجبار قال فجاء الحسن بسيف رسول الله صلى الله عليه وسلم ودرعه فوضعهما بين يدي الحجاج فأرسل الحجاج الى رجل من بني أبي رافع مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له هل تعرف سيف رسول الله صلى الله عليه وسلم قال نعم فخلطه بين أسيافه ثم قال اخرجه ثم جاء بالدرع فنظر اليها ثم قال هناك علامة كانت على الفضل بن العباس يوم اليرموك فطُعِن بحربة فخرقت الدرع فعرفناها فوجد الدرع على ما قال فقال الحجاج اما والله لو لم تجئني به وجئت بغيره لضربت به رأسك .. وذكروا ان الحجاج قال ذات ليلة لحرسه .. أعُسُس فسك فمن وجدته فجئني به فلما اصبح أتاه بثلاثة فقال .. اصلح الله الأمير ما وجدت الا هؤلاء الثلاثة .. فقال الحجاج لواحد منهم ما كان سبب خروجك بالليل وقد نادى المنادي أن لا يخرج أحد بالليل قال . أصلح الله الأمير كنت سكران فعلى السكر خرجت ولا أعقل .. ففكر ساعة ثم قال .. سكران عليه سكره خلوا عنه لا يعودنّ .. ثم قال للآخر فانت ما سبب خروجك قال . أصلح الله الأمير كنت مع قوم في مجلس يسمرون فوقعت بينهم عربدة فخفت على نفسي فخرجت . ففكر الحجاج ساعة فقال رجل أحب السلامة خلوا عنه .. ثم قال للآخر ما كان سبب خروجك فقال . لي والدة عجوز وأنا رجل حمال فرجعت الى بيتي فقالت والدتي ما ذقت الي هذا الوقت طعاماً ولا ذواقا فرجعت أتمس لها ذلك فأخذني العسس ففكر ساعة ثم قال .. يا غلام أضرب

عنقه فاذا رأسه بين رجليه

محاسن الصبر على الحبس

قال الكسروي •• وقّع كسرى بن هرمز الى بعض المحبّسين من صبر على النازلة كان كمن لم تنزل به ومن طوّل في الحبل كان فيه عطبه ومن أكل بلا مقدار تلفت نفسه •• قيل ودخل ابن الزيّات على الافشين وهو محبوس •• فقال يخاطبه

إصبرْ لها صبرَ أقوامٍ نفوسهمُ ... لا تستريحُ إلى عقلٍ ولا قوَدِ

وقال الافشين •• من صحب الزمان لم ينج من خيره أو شره ووجد الكرامة والهوان •• ثم قال

لم ينجُ من خيرِها أو شرِّها أحدٌ ... فاذكرْ شوائبَها إن كنتَ من أحدِ

خاضتْ بك المنيّةُ الحمقاءُ غمرتَها ... فملأتْ أمواجُها ترميكَ بالزبدِ

ولعليّ بن الجهم لما حبسه المتوكل

قالتْ حُبستَ فقلتُ ليس بضائري ... حبسي وأيُّ مهنّدٍ لا يُغمدُ

أوَما رأيتِ الليثَ يألفُ غيلَهُ ... كِبْراً وأوباشُ السباعِ تردّدُ

والنارُ في أحجارِها مخبوءةٌ ... لا تصطلي إن لم تثرْها الأزندُ

والبدرُ يدركُهُ الظلامُ فتنجلي ... أيامُهُ وكأنّهُ متجدّدُ

والزاعبيّةُ لا يُقيمُ كعوبَها ... إلاّ الثقافُ وجذوةٌ تتوقّدُ

غِيَرُ الليالي بادئاتٌ عُوَّدٌ ... والمالُ عاريةٌ يُعادُ وينفدُ

لا يؤيسنّكَ من تفرّجِ كربةٍ ... خطبٌ أتاكَ بهِ الزمانُ الأنكدُ

فلكلِّ حالٍ معقبٌ ولربّما ... أجلى لكَ المكروهُ عمّا تحمدُ

كم من عليلٍ قد تخطاهُ الردى | فنجا ومات طبيبهُ والعوَّدُ
صبراً فإنَّ اليومَ يعقبهُ غدٌ | ويدُ الخلافةِ لا تُطاولها يدُ
والحبسُ ما لم تغشهُ لدنيةٍ | شنعاءَ نعمَ المنزلُ المتوردُ
لو لم يكن في الحبسِ إلاَّ أنهُ | لا يستذلُّكَ بالحجابِ الأعبدُ
بيتٌ يجدّدُ للكريمِ كرامةً | ويزارُ فيهِ ولا يزورُ ويحمدُ
أبلغ أميرَ المؤمنينَ ودونهُ | خوفُ العدى ومخاوفٌ لا تنفدُ
أنتم بنو عمِّ النبيِّ محمدٍ | أولى بما شرعَ النبيُّ محمدُ
ما كانَ من حسنٍ فأنتم أهلهُ | كرمت مغارسكم وطابَ المحتدُ
أمن السويةِ يا ابن عمِّ محمدٍ | خصمٌ تقربهُ وآخرُ يبعدُ
يا أحمدَ بنَ أبي دؤادٍ إنما | تُدعى لكلِّ كريهةٍ يا أحمدُ
إنَّ الذينَ سعوا إليكَ بباطلٍ | أعداءُ نعمتكَ التي لا تجحدُ
شهدوا وغبنا عنهم فتحكموا | فينا وليسَ كغائبٍ من يشهدُ
لو يجمعُ الخصماءَ عندكَ منزلٌ | يوماً لبانَ لكَ الطريقُ الأرشدُ
والشمسُ لولا أنها محجوبةٌ | عن ناظريكَ لما أضاءَ الفرقدُ

﴿ ضده ﴾

•• أنشدنا بعضهم بن محمد الكاتب لنفسه لما حبسه احمد بن عبد العزيز بن أبي دلف قوله

قالت حبست فقلت خطبٌ أنكدُ | أنحى عليَّ به الزمانُ المرصدُ

لوْ كُنتُ حُرًّا كانَ سَرْبي مُطلَقاً ... ما كُنتُ أُحبَسُ عَنوةً وأُقيَّدُ

لوْ كُنتُ كالسَّيفِ المُهنَّدِ لم يكُنْ ... وَقتَ الكَريهةِ والشَّدائدِ يُغمَدُ

لوْ كُنتُ كالليثِ الهَصورِ لَمَا رَعَتْ ... فِيَّ الذِّئابُ وجَذْوَتي تَتَوَقَّدُ

مَنْ قالَ إنَّ الحَبْسَ بَيتُ كَرامةٍ ... فمُكاشِرٌ في قَولِهِ مُتجلِّدُ

ما الحَبسُ إلاَّ بَيتُ كُلِّ مَهانةٍ ... ومَذلَّةٍ ومكارِهٍ لا تَنفَدُ

إن زارَني فيهِ العَدُوُّ فشامتٌ ... يُبدي التَّوجُّعَ تارةً ويُفنِّدُ

أو زارني فيهِ المُحِبُّ فموجَعٌ ... يُذري الدُّموعَ بزفرةٍ تتردَّدُ

يكفيكَ أنَّ الحَبسَ بَيتٌ لا يُرَى ... أحدٌ عليهِ منَ الخلائقِ يَحسُدُ

تَمضي الليالي لا أذوقُ لِرَقدةٍ ... طعماً وكيفَ يذوقُ مَنْ لا يَرقُدُ

في مُطبَقٍ فيهِ النَّهارُ مُشاكِلٌ ... لِلَّيلِ والظُّلماتُ فيهِ سَرمَدُ

فإلى مَتَى هذا الشَّقاءُ مؤكَّدٌ ... وإلى مَتَى هذا البلاءُ مُجدَّدُ

مالي مُجيرٌ غيرُ سيِّديَ الذي ... ما زالَ يكفيني فعمَّ السيِّد

عذبَ حشاشةَ مهجتي من قبلِ ... من سيفه وصنيعِ لا تجحد

عشرين حولاً عشتُ تحتَ جناحِهِ ... عيشَ الملوكِ وحالتي تتزيَّدُ

فحلا العدوُّ بموضعي من قلبه ... فحشاهُ جمراً نارُه تتوقَّد

فأمرَ لعبدهِ دَسَّهُ مطولاً ... فأحمد مات سجيةً لا تعهد

واذكرْ خصائصَ خدمتي ومقاومي ... أيامَ كُنتَ جميعَ أمري تحمد

•• وقال عبد الله بن معاوية بن عبد الله بن جعفر بن أبي طالب رضي الله عنهم

خرجنا من الدنيا ونحن من اهلها فلسنا من الأموات فيها ولا الأحيا
إذا دخل السجان يوماً لحاجة عجبنا وقلنا جاء هذا من الدنيا
ونفرح بالرؤيا فجل حديثنا إذا نحن اصبحنا الحديث عن الرؤيا
فإن حسنت كانت بطيئاً مجيئها وإن قبحت لم تنتظر واتت سعيا

وقال آخر

ألا أحدٌ يدعو لأهل محلّة مقيمين في الدنيا وقد فارقوا الدنيا
كأنهم لم يعرفوا غير دارهم ولم يعرفوا غير الشدائد والبلوى

وقال ابن المعتز

تعلمت في السجن نسج التكك وكنت امرأً قبل حبسي ملك
وقيدت بعد ركوب الجياد وما ذاك إلا بدور الفلك
ألم تبصر الطير في جوّها تكاد تلاصق ذات الحبك
إذا أبصرته خطوب الزمان أوقعنه في حبال الشرك
فهذاك من حالق قد يصاد ومن قعر بحر يصاد السمك

•• ووجد في البيت الذي قتل فيه مكتوب بخطه على الأرض

يا نفس صبراً لعل الخير عقباك خانتك بعد طول الأمن دنياك
مرت بنا سحراً طير فقلت لها طوباك يا ليتني إياك طوباك

وقال اعرابي

ولما دخلت السجن كبّر أهله وقالوا أبو ليلى الغداة حزين
وفي الباب مكتوب على صفحاته بأنك تنزو ثم سوف تلين

وفى الحديث المرفوع ،، ان يوسف عليه السلام شكى الي الله تعالى طول الحبس فأوحى اليه أنت حبست نفسك حين قلت ﴿ رَبِّ السِّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِي إِلَيْهِ ﴾ ولو قلت العافية أحب إليّ لعوفيت •• قال وكتب يوسف عليه السلام على باب السجن •• هذه منازل البلوى وقبور الأحياء وشماتة الأعداء وتجربة الأصدقاء

محاسن المودة

قال بعض الحكماء ،، ليس للانسان نعم الا عودات الاخوان •• وقال آخر الازدياد من الاخوان زيادة فى الآجال وتوفير لحسن الحال •• وقيل عاشروا الناس معاشرة ان عشتم حنوا اليكم وإن متم بكوا عليكم •• وقال

قد يمكث الناس حيناً ليس بينهم ... ودٌّ فيزرعه التسليم واللطفُ
يسلى الشقيقين طول النأي بينهما ... وتلتقي شعب شتّى فتأتلفُ

وقال علىّ بن أبى طالب رضى الله عنه لابنه الحسين ،، ابذل لصديقك كل المودة ولا تطمئن اليه كل الطمأنينة واعطه كل المواساة ولا تفش اليه كل الأسرار •• وقال العباس بن جرير المودة تعاطف القلوب وائتلاف الأرواح وأنس النفوس ووحشة الاشخاص عند تنائي اللقاء وظهور السرور بكثرة التزاور وعلى حسب مشاكلة الجواهر يكون الاتفاق في الخصال •• وقال بعضهم من لم يواخ من الاخوان الا من لا عيب فيه قل صديقه ومن لم يرض من صديقه الا بايثاره إياه على نفسه دام سخطه ومن عتب على غير ذنب كثر عدوّه •• وكان يقال أعجز الناس من فرط في طلب الاخوان وقال الشاعر فى مثله

لعمرك ما مال الفتى بذخيرةٍ ... ولكن إخوان الثقات الذخائرُ

﴿ ضده ﴾

قال المأمون ، الاخوان ثلاث طبقات طبقة كالغداء لا يستغنى عنه وطبقة كالدواء يحتاج اليه أحياناً وطبقة كالداء الذى لا يحتاج اليـه ،، وكتب بعض الكتّاب ان فلاناً أولاني جميلاً من البشر مقروناً بلطيف من الخطاب في بسط وجه ولين كنف فلما كشفه الامتحان بيسير الحاجة كان كالتابوت المطليّ عليه بالذهب المملوء بالعذرة أعجبك حسنه ما دام مطبقاً فلما فتح آذاك نتنه فلا أبعد الله غيره ،، ومما قيل فى ذلك

وَاللّٰهِ لَوْ كَرِهَتْ كَفِّي مُنَادَمَتِي ... لَقُلْتُ لِلْكَفِّ بِينِي إِذْ كَرِهْتِينِي

وقال آخر

وَلَوْ أَنِّي تُخَالِفُنِي شِمَالِي ... لَمَا أَتْبَعْتُهَا أَبَدًا يَمِينِي

إِذًا لَقَطَعْتُهَا وَلَقُلْتُ بِينِي ... كَذَلِكَ احْتَوِي مَنْ يَحْتَوِينِي

وقال آخر

مَنْ لَمْ يُرِدْكَ فَلَا تُرِدْهُ ... لِيَكُنْ كَمَنْ لَمْ تَسْتَفِدْهُ

بَاعِدْ أَخَاكَ بِبُعْدِهِ ... فَإِذَا نَأَى شِبْرًا فَزِدْهُ

وقال آخر

تَوَدُّ عَدُوِّي ثُمَّ تَزْعُمُ أَنَّنِي ... أَوَدُّكَ إِنَّ الرَّأْيَ مِنْكَ لَعَازِبُ

وَلَيْسَ أَخِي مَنْ وَدَّنِي رَأْيَ عَيْنِهِ ... وَلَكِنْ أَخِي مَنْ وَدَّنِي وَهُوَ غَائِبُ

وقال آخر

إِنَّ اخْتِيَارَكَ لَا عَنْ خِبْرَةٍ سَلَفَتْ ... إِلَّا الرَّجَاءَ وَمِمَّا يُخْطِئُ النَّظَرُ

كَالْمُسْتَغِيثِ بِبَعْضِ السُّحْبِ يَحْسَبُهُ ... حَرًّا يُبَادِرُهُ إِذْ بَلَّهُ الْمَطَرُ

قال آخر

وصاحبٍ كانَ لي وكُنتُ لهُ ... أَشفقُ مِنْ والدٍ على وَلَدِ

وكانَ لي مؤْنِساً وكُنتُ لهُ ... ليْستْ بنا وَحشةٌ إلى أحدِ

كُنّا كساقٍ مشتْ بِها قدمٌ ... أو كذِراعٍ نِيطتْ إلى عضُدِ

حتّى إذا أمكنَ الحوادِثُ مِنْ ... خطّي وحلّ الزّمانُ مِنْ عقدِي

إزورَّ عنّي وكانَ ينظُرُ مِنْ ... عَيني ويَرمي بساعِدِي ويَدِي

حتّى إذا استرفدتْ يدِي يدَهُ ... كُنتُ كمُسترفِدٍ يدَ الأسدِ

وقال آخر

فيا عجباً لِمَنْ ربّيتُ طِفلاً ... أُلقّمهُ بأطرافِ البنانِ

أُعلّمهُ الرِّمايةَ كلَّ يومٍ ... فلمّا اُستدَّ ساعِدُه رَماني

أُعلّمهُ الفتوّةَ كُلَّ حينٍ ... فلمّا طرَّ شارِبُهُ جفاني

أُعلّمهُ الرِّوايةَ كلَّ وقتٍ ... فلمّا صارَ شاعِرَها هَجاني

محاسن الولايات

سئل عمّار بن ياسر رضي الله عنه عن الولاية فقال هي حلوة الرضاعِ مرة الفطام .. وذكروا أنه كان سبب عزل الحجاج بن يوسف عن المدينة وقد وَفد من أهل المدينة منهم عيسى بن طلحة بن عبيد الله على عبد الملك بن مروان فأثنوا على الحجاج وعيسى ساكت فلما قاموا ثبت عيسى حتى خلا له وجه عبد الملك فأتاه فجلس بين يديه فقال يا أمير المؤمنين من أنا قال عيسى بن طلحة بن عبيد الله قال فمن أنت قال عبد الملك بن مروان قال أفجهلتنا أو تغيرت بعدنا قال وما ذاك قال ولّيت علينا

الحجاج بن يوسف يسير بالباطل ويحملنا على أن نثني عليه بغير الحق والله لئن أعدته علينا لمعصيتك وإن قاتلتنا وعلينا وأسأت الينا قطعت أرحامنا ولئن قويبا عليك لنغصبنك ملكك فقال له عبد الملك انصرف والزم بيتك ولا تذكرن من هذا شيئاً قال فقام الى منزله وأصبح الحجاج غادياً الى عيسى بن طلحة فقال جزاك الله عني خيراً بأمير المؤمنين خيراً فقد أبدلني بكم خيراً وأبدلكم بي غيري وولاني العراق ،، وعن معمر بن وهيب قال ،، كان عبد الملك عند ما استعفى أهل العراق من الحجاج قال لهم اختاروا أي هذين شئتم ـ يعني أخاه محمد بن مروان وابنه عبد الله بن عبد الملك ـ مكان الحجاج فكتب اليه الحجاج ،، يا أمير المؤمنين ان أهل العراق استعفوا عثمان بن عفان من سعيد بن العاص فاعفاهم منه فساروا اليه من قابل وقتلوه ، فقال صدق ورب الكعبة وكتب الى محمد وعبد الله بالسمع والطاعة له

﴿ ضده ﴾

كتب ،، عبد الصمد بن المعذّل الى صديق له ولّي الساطات فأظهر تيهاً

لَعَمري لقد أظهرتَ تيهاً كأنما ... تولّيتَ للفضلِ بن مروان عُكبرا

دَعِ الكبرَ واستبقِ التواضعَ إنّهُ ... قبيحٌ بوالي النفطِ أن يتكبّرا

لحفظِ عيونِ النفطِ أحدثتَ نخوةً ... فكيفَ به لو كانَ مسكاً وعنبرا

وقال ابن المعتز

كمْ تائهٍ بولايةٍ ... وبعزلهِ يعدُو البريدْ

سُكرُ الولايةِ طيّبٌ ... وخمارُهُ صعبٌ شديدْ

وقال لبيد

لا تفرحنّ فكلّ والٍ يعزلُ ... وكما عزلتَ فعن قريبٍ تقتَلُ

وكذا الزمانُ بما يَسُرُّكَ تارةً ... وبما يَسوءُكَ تارةً يتنقّلُ

محاسن الصحبة

قيل . قال علقمة بن لبيد لابنه . يا بُنيّ ان نازعتك نفسك الى الرجال يوماً لحاجتك اليهم فاصحب من إن صحبته زانك وان تخففت له صانك وان نزلت بك مؤونة مانك وان قلت صدّق قولك وان صلت شدّد صولك اصحب من اذا مددت اليه يدك لفضل مدّها وان رأى منك حسنة عدّها وان بدت منك ثلمة سدّها واصحب من لا تأتيك منه البوائق ولا تختلف عليك منه الطرائق ولا يخذلك عند الحقائق .. وقال آخر اصحب من حوّلك نفسه وملّكك خدمته وتخيرك لزمانه فقد وجب عليك حقه وذمامه .. وكان يقال من قبل صلتك فقد باعك مروءته وأذلّ لقدرك عزه .. وقال بعضهم لصاحبه انا أطوع لك من اليد وادل من النعل وقال بعضهم اذا رأيت كلباً ترك صاحبه وتبعك فارجمه فانه تاركك كما ترك صاحبه . وقال ابن أبي دواد لرجل انقطع الى محمد بن عبد الملك الزيات . فاحترق مع صاحبه فقال لا ينفعني الاحسان الى فقال يا هذا ان لسان حالك يكذب لسان مقالك

﴿ ضدّه ﴾

قيل . كان يوسف بن عمر الثقفي متولي العراقين لهشام بن عبد الملك وكان مذموماً في عمله جائراً في الحقوق فوزن يوسف بن عمر درهماً فنقص حبة فكتب الى دور الضرب بالعراق فضرب اهلها مائة .. الف وحبس في مسجد الكوفة فتكلم انسان مجنون فقال يا أهل الكوفة انكم لن تنجوا منه حتى يجيء من يضرب عنقه فضربت عنقه .. قال وقال لهمام بن يحيى وكان عاملاً له يا فاسق خربت مهرجانقذق قال اني لم أكن عليها انما كنت على ماه دينار وعمرت البلاد فتعددت عليه من .

فقال هملم قد أخبرتك اني كنت على ماه دينار وتقول حرّت مهرجانقدق فلم يزل يعذبه حتى مات .. قال وقال لكاتبه وقد احتبس عن ديوانه يوما .. ما حبسك قال اشتكيت ضرسي قال تشتكي ضرسك وتقعد عن الديوان ودعا الحجام وأمره أن يقلع ضرسين من أضراسه .. وعن المدائني قال .. حدثني رضيع كان ليوسف بن عمر من بني عبس قال كنت لا أحجب عنه وعن خدمته فدعا ذات يوم بجوار له ثلاث ودعا بخصي له يقال له حُدَيج فقرّب اليه واحدة فقال لها اني أريد الشخوص أفأحلمك أو أشخصك معي فقالت صحبة الأمير أحبّ إليّ ولكني أحسب ان مقامي وتخلفي أعون وأحبّ على قلبه فقال أحببت التخلف للفجور يا حديج أضرب فضربها حتى أوجعها ثم أمره أن يأتيه بالثانية وقد رأت مالقيت صاحبتها فقال لها انى أريد الشخوص أفأحلمك أم أخرجك فقالت ما أعدل بصحبة الأمير شيئاً بل تخرجني قال أحببت الجماع ماتريدين أن يفوتك ليلة يا حديج أضرب فضربها حتى أوجعها ثم أمره أن يأتيه بالثالثة وقد رأت مالقيت المتقدمتان فقال لها انى أريد الشخوص أفأحلمك أم أخرجك قالت الامير أعلم لينظر أحبّ الأمرين عليه فليفعله قال اختارى لنفسك قالت ماعندى اختيار فليختر الامير قال قد فرغت من كل عمل فلم يبق لي الا أن اختار لك أوجعها يا حديج فضربها حتى أوجعها قال الرجل فكأنما أوجعني من شدة غيظي عليه فولّت الجارية فتبعها الخادم فلما بعدت قالت الخيرة والله فى فراقك ماتقرّ عين أحد بصحبتك فلم يفهم يوسف كلامها فقال ما تقول يا حديج قال قالت كذا وكذا فقال يا ابن الخبيثة من أمرك أن تعلمني يا غلام خذ السوط من يده فأوجع رأسه فمازال يضربه حتى اشتفى فتعرّف من الغلام الآخر كم ضربت قال لا أدرى قال يا عدوّ الله أتخرج حاصلى من بيت مالي من غير حساب اقتلوه فقتلوه [1]

---

(١) ـ هكذا فى الأصل سنده فى يوسف بن عمر ولعلها من أخبار الحجاج كما فى غير هذا الكتاب

محاسن التطير

عن عكرمة قال ،، كنّا جلوساً عند ابن العبّاس وابن عمر فطار غراب يصيح فقال رجل من القوم خير خير فقال ابن العباس لا خير ولا شر ٠٠ والذى حضرنا من الشعر فى مثله لأبى الشيص

مافرّقَ الأحبابَ بعـــدَ اللهِ إلاّ الإبلْ
والناسُ يلحونَ غرا ـبَ البينِ لمّا جهلوا
وما على ظهرِ غرا ـبِ البينِ تُطوى الرّحلْ
ولا إذا صاحَ غرا ـبٌ فى الدّيارِ احتملوا
وما غرابُ البينِ إ ـلاّ ناقةٌ أو جملْ

وقال آخر

أترحلُ عمّن أنتَ صبٌّ بمثلهِ ... وتلحى غرابَ البينِ إنّكَ تظلمُ
أقمْ وغرابُ البينِ غيرُ مفرّقٍ ... ولا شئَ إلاّ عن امضاءِ حكمِ

وقال آخر

غلطَ الذينَ رأيتهم بجهالةٍ ... يلحون كلهم غراباً ينعق
ما الذنبُ إلاّ للجمال فإنها ... مما يشتّت شملهمْ ويفرّق
إنّ الغرابَ بيمنهِ تدنو النوى ... وتشتّتُ الشملَ الجميعَ الأينق

وقال آخر

لا تعلمُ المرءُ ليلةً ما يصبحهُ ... [illegible]
والفالُ والزجرُ والكهانُ كلهمُ ... [illegible]

﴿ ضدّه ﴾

يُحكي عن النعمان بن المنذر ،، انه خرج متصيّدًا ومعه عديّ بن زيد العبّادي فمرّ بآرام ــ وهي القبور ــ فقال عدي ،، أبيت اللعن أتدرى ماتقول هذه الآرام قال لا قال انها ،، تقول

أيها الرّكبُ المُخفّو نَ على الأرضِ تمرّونَ

لكما كُنتم فكُنّا وكما كُنّا تكونونَ

فقال أعِد فأعادها فترك صيده ورجع كئيباً ٠٠ وخرج معه مرّة أخرى فوقف على آرام بظهر الحيرة فقال عديّ ،، أبيت اللعن أتدري ماتقول هذه الآرام قال لا قال انها تقول

رُبَّ رَكْبٍ قدْ أناخوا عِندَنا يَشرَبونَ الخمرَ بالماءِ الزُّلال

ثمَّ أضحوا عَصفَ الدّهرُ بهم وكذاكَ الدّهرُ حالاً بعدَ حال

فانصرف وترك صيده ٠٠ قال ولما خرج خالد بن الوليد الى أهل الردّة انتهى الى حيّ من بني تغلب فاغار عليهم وقتلهم ،، وكان رجل منهم جالساً على شراب له وهو يغنّى بهذا البيت

ألا عَلّلاني قبلَ جيشِ أبي بكرِ لعلَّ منايانا قريبٌ وما ندري

فوقف عليه رجل من أصحاب خالد فضرب عنقه فاذا رأسه في الجفنة التي كان يشرب بها ٠٠ وهذا كقولهم

إنَّ البلاءَ موَكَّلٌ بالمَنطقِ

محاسن الوفاء

قيل في المثل ،، أوفى من فُكيهة ،، وهي امرأة من بني قيس بن ثعلبة كان من وفائها ان السُّليك بن سَلَكة غزا بكر بن وائل فلم يجد غفلة يلتمسها فخرج جماعة من بكر فوجدوا أثر قدم على الماء فقالوا . ان هذا الأثر لأثر قدم ورد الماء فقعدوا له فلما وافا حملوا عليه فعدا حتى ولج قبة فُكيهة فاستجار بها فادخلته تحت درعها فانتزعوا خمارها فنادت إخوتها فجاؤا عشرة فمنعوهم منها ،، قال وكان سليك يقول ،، كأني أجد خشونة شعر استها على ظهري حين أدخلتني تحت درعها ،، وقال

لَعَمْرُ أبيكَ والأَنباءُ تَنمي   لَنِعْمَ الجارُ أُختُ بني عَوَارا
منَ الخَفِرَاتِ لم تفضحْ أخاها   ولم ترفعْ لوالدِها شَنَارا
عَنَيْتُ بهِ فُكَيْهَةَ حينَ قامتْ   لِنَصْلِ السيفِ فانتزَعوا الخِمارا

ويقال أيضاً ،، هو أوفى من ام جميل ،، وهي من رهط ابن ابي بردة من دوس وكان من وفائها ان هشام بن الوليد بن المغيرة المخزومي قتل رجلا من الأزد فبلغ ذلك قومه بالسراة فوثبوا على ضرار بن الخطاب الفهري ليقتلوه فعدا حتى دخل بيت ام جميل وعاذ بها فقامت في وجوههم ودعت قومها فمنعوه لها فلما ولي عمر بن الخطاب ظن انه اخوه فأتته بالمدينة فلما انتسبت له عرف القصة فقال لست أخيه الا في الاسلام وهو غازٍ وقد عرفنا منّتك عليه وأعطاها على انها ابنة سبيل ،، ويقال أوفى من السموءل بن عاديا ، وكان من وفائه ان امرأ القيس بن حجر لما اراد الخروج الى قيصر استودع السموءل دروعا له فلما مات امرؤ القيس غزاه ملك من ملوك الشام فتحرز منه السموءل فأخذ الملك ابنا له خارج الحصن وصاح به يا سموءل هذا ابنك في يدي وقد علمت ان امرأ القيس ابن عمي وأنا احق بميراثه فان دفعت الي الدروع والا ذبحت ابنك فقال . أجّلني فأجّله فجمع اهل بيته فشاورهم فكلهم اشار ان يدفع الدروع وان يستنقذ ابنه فلما اصبح اشرف عليه وقال ليس الى دفع الدروع سبيل فاصنع

مااٴت صانع فدمع الملك اٴسه وهو يبظر اليه وكان يهوديا وانصرف الملك ووافى السموءل بالدروع الموسم فدفعها الى ورثة امرئ القيس ٠٠ وقال في دلك

وَفيتُ بأَدْرُعِ الكِنْدِيِّ إِنّي ... إِذا ما خانَ أَقوامٌ وَفيتُ

وقالوا عندَهُ كَنزٌ رَغيبٌ ... فلا وأَبيكَ أَغدُرُ ما مَشيتُ

بَنى لي عادِيا حِصنًا حَصينًا ... وبِئرًا كُلَّما شِئتُ اسْتَقيتُ

وفي دلك يقول الأعشى

كُنْ كالسَّمَوْءَلِ إِذْ طافَ الهُمامُ بِهِ ... في جَحفَلٍ كَسَوادِ اللَّيلِ جَرّارِ

بالأَبلقِ الفَردِ مِنْ تيماءَ منزِلُهُ ... حِصنٌ حَصينٌ وجارٌ غيرُ غَدّارِ

خَيَّرَهُ خُطَّتَيْ خَسفٍ فقالَ لهُ ... مَهْما تقولُنْ فإِني سامِعٌ حارِ

فقال ثُكلٌ وغدرٌ أَنتَ بينَهُما ... فاختَرْ فما فيهِما حَظٌّ لِمُختارِ

فشَكَّ غيرَ طَويلٍ ثمَّ قالَ لهُ ... أُقتُلْ أَسيرَكَ إِني مانِعٌ جاري

ويقال ٠٠ أوفى من الحارث بن عبّاد . وكان من وفائه انه أسر عديّ بن ربيعة ولم يعرفه فقال له دلّني على عديّ بن ربيعة ولك الأمان فقال أنا آمن ان دللتك عليه قال نعم . قال فأنا عديّ بن ربيعة فخلاّه ٠٠ وفي دلك يقول الشاعر

لهفَ نفسي على عَدِيٍّ ولم أَعـ ... رِفْ عَدِيًّا إِذ أَمكَنَتْني اليَدانِ

ويقال ٠٠ هو أوفى من عوف بن مُحَلِّم . وكان من وفائه ان مروان القرظ غزا بكر بن وائل فقصّوا جيشه وأسره رجل منهم وهو لا يعرفه فأتى به أمه فقالت : انك لتختال بأسيرك كأنك جئت بمروان القرظ فقال مروان وما ترجين من مروان قالت عظم فدائه قال وكم ترجين من فدائه قالت مائة بعير قال . لك دلك على أن تؤدّيني الى خماعة بنت عوف بن محلم قالت ومن لي بالمائة فأخذ عوداً من الأرض فقال هذا لك فمضت به الى ابن عوف فاستجار بخماعة ابنته فبعثت به الى عوف ثم

ان عمرو بن هند بعث الي عوف أن يأتيه بمروان وكان واجداً عليه في شيء فقال عوف لرسوله ٠ ان جماعة ابتي قد أجارته ، فقال ،، ان الملك قد آلى أن يعفو عنه أو يضع كمه في كمه ، فقال عوف ،، يفعل ذلك على أن تكون كفي بين أيديهما ، فأجابه عمرو الي ذلك . فجاء عوف بمروان فأدخله عليه فوضع يده في يده ووضع يده بين أيديهما فعفى عنه ،، ومنهم الطائي صاحب النعمان بن المنذر ،، وكان من وفائه ان النعمان ركب في يوم بؤسه وكان له يومان يوم بؤس ويوم نعيم لم يلقه أحد في يوم بؤسه إلا قتله ولا في يوم نعيمه إلا أحياه وحباه وأعطاه فاستقبله في يوم بؤسه اعرابي من طيء فقال ، حيا الله الملك ان لي صبية صغاراً لم أوص بهم أحداً فان رأى الملك أن يأذن لي في اتيانهم وأعطيه عهد الله أن أرجع اليه اذا أوصيت بهم حتى أضع يدي في يده فرق له النعمان وقال له لا إلا أن يضمنك رجل ممن معنا فان لم تأت قتلناه ، وكان مع النعمان شريك بن عمرو بن شراحيل فنظر اليه الطائي وقال

يا شريكَ بنَ عَمْرِو هلْ منَ الموْتِ مَحالَهْ

يا أخا كلِّ مُضافٍ يا أخا مَنْ لا أخا لَهْ

يا أخا النعمانِ فُكَّ اليَـــوْمَ عَنْ شيخٍ غُلالَهْ

[illegible] سِيْنانَ تمسِ [illegible] أصلحَ [illegible]

فقال شريك هو عليَّ أصلح الله الملك فمضى الطائي وأجل له أجلاً يأتي فيه فلما كان ذلك اليوم أحضر النعمان شريكاً وجعل [illegible] [illegible] [illegible] يوم قد ولى و شريك يقول ليس لك عليَّ سبيل حتى يأتي [illegible] أقبل شخص و النعمان ينظر الي شريك فقال شريك ليس لك عليَّ [illegible] حتى يدنو الشخص فعله [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] وهو [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] وأطلقه [illegible] رفع يوم بؤسه وأنشد [illegible]

ولقدْ دَعَتْني للخِلاَفِ عَشيرَتي ... فأَبيتُ عِندَ تَجَهُّمِ الأَقوالِ
إني امرؤٌ منّي الوَفاء خَليقةٌ ... وفِعالُ كلِّ مُهذَّبٍ بَذّالِ

فقال النعمان · ما حملك على الوفاء قال . ديني قال · وما دينك قال · النصرانية قال اعرضها عليّ فعرضها عليه فتنصر النعمان

﴿ ضدّه ﴾

قيل كتب صاحب بريد همدان الى المأمون وهو بخراسان يعلمه ان كاتب صاحب البريد المعزول أخبره ان صاحبه وصاحب الخراج كانا تواطئا على اخراج مائتي ألف درهم من بيت المال واقتسماها بينهما ، فوقّع المأمون إنّا نرى قبول السعاية شراً من السعاية لأن السعاية دلالة والقبول اجازة وليس من دل على شيء كمن قبله وأجازه فانف الساعي عن ذلك وقال يا أمير المؤمنين رضي الله عنك المعذرة فان الساعي وان كان في سعايته صادقاً لقد كان في صدقه لئيما اذ لم يحفظ الحرمة ولم يف لصاحبه ،،
قال ودخل رجل على سليمان بن عبد الملك فقال يا أمير المؤمنين عندي نصيحة قال وما نصيحتك هذه ، قال فلان كان عاملا ليزيد بن معاوية وعبد الملك والوليد فخانهم فيما تولاه ثم اقتطع أموالا كثيرة جليلة فمر باستخراجها منه . قال أنت شر منه وأخون حيث اطلعت على امره وأظهرته ولولا اني أنظر النصاح لعاقبتك ولكن اختر مني خصلة من ثلاث . قال اعرضهن يا أمير المؤمنين قال ان شئت فتشنا عما ذكرت فان كنت صادقا مقتناك وان كنت كاذباً عاقبناك وان استقلت أقلناك فاستقاله الرجل

محاسن السخاء

روي عن نافع قال ، لقي يحيى بن زكرياء عليه السلام ابليس لعنه الله فقال

أخبرني بأحب الناس اليك وأبغضهم اليك • قال ،، أحبهم إليّ كل مؤمن بخيل وأبغضهم إليّ كل منافق سخي • قال : وبم ذلك • قال . لأن السخاء خلق الله الأعظم فأخشى أن يطلع عليه في بعض سخائه فيغفر له •• وقال النبيّ صلى الله عليه وسلم : السخيّ قريب من الله قريب من الناس بعيد من النار والبخيل بعيد من الله بعيد من الجنة قريب من النار ولجاهل سخي أحب الى الله عز وجلّ من عابد بخيل وأدوأ الداء البخل •• وقال صلى الله عليه وسلم ما أشرقت شمس إلا ومعها ملكان يناديان يُسمعان الخلائق غير الجن والانس وهما الثقلان اللهم عجل لمنفق خلفاً ولممسك تلفاً وملكان يناديان أيها الناس هلموا الى ربكم فان ما قلّ وكفى خير مما كثر وألهى •• وعن الشعبيّ قال ، قالت أم البنين ابنة عبد العزيز أخت عمر بن عبد العزيز وكانت تحت الوليد بن عبد الملك ، لو كان البخل قميصاً ما لبسته أو طريقاً ما سلكتها وكانت تعتق فى كل يوم رقبة وتحمل على فرس فى سبيل الله وكانت تقول ، البخل كل البخل من بخل على نفسه بالجنة •• وقيل اعتقت هند بنت عبد المطلب فى يوم واحد أربعين رقبة •• وقال بعض الحكماء ثواب الجود خلف ومحبة ومكافأة وثواب البخل حرمان واتلاف ومذمة •• وقال النبيّ صلى الله عليه وسلم لعليّ بن أبي طالب رضى الله عنه ياعليّ كن شجاعاً فان الله يحب الشجاع وكن سخياً فان الله يحب السخيّ وكن غيوراً فان الله يحب الغيور وان امرؤ سألك حاجة ليس لها بأهل فكن أنت أهلاً لها وقال النبيّ صلى الله عليه وسلم السخاء شجرة في الجنة من أخذ منها بغصن مدّته الى الجنة ،، وقال عبد العزيز بن مروان لو لم يدخل على البخلاء فى لؤمهم الا سوء ظنهم بالله عز وجلّ لكان عظيما وقال صلى الله عليه وسلم تجافوا عن ذنب السخيّ فان الله آخذ بيده كلما عثر وقال بهرام جور من أحب أن يعرف فضل الجود على سائر الاشياء فلينظر الى ما جاد الله به على خلق من مواهب الخير [illegible]
[illegible] وقال [illegible] خلق [illegible]
[illegible]
[illegible]

معروفاً حسياً وأظهره ليتطوّل به على المنعم عليه فقد نبذ الدين وراء ظهره واستوجب أن لا نعده من الابرار ولا نذكره في الأتقياء والصالحين .. قيل : وسئل الاسكندر ما أكثر ما شيدت به ملكك ، قال : ابتداري الي اصطناع الرجال والاحسان اليهم .. قال : وكتب ارسطاطاليس في رسالته الي الاسكندر . واعلم ان الايام تأتي على كل شيء فتخلقه وتخلق آثاره وتميت الافعال إلا ما رسخ في قلوب الناس فاودع قلوبهم محبة آبدة تبقى بها حسن ذكرك وكريم فعالك وشرف آثارك .. قال ولما قُدِّم بزرجمهر الي القتل قيل له انك في آخر وقت من أوقات الدنيا وأول وقت من اوقات الآخرة فتكلم بكلام تذكر به . فقال أي شيء أقول الكلام كثير ولكن ان أمكنك أن تكون حديثاً حسناً فافعل .. قيل وتنازع رجلان احدهما من أبناء العجم والآخر اعرابي في الضيافة فقال الاعرابي . نحن أقرى للضيف قال وكيف ذلك ، قال لأن أحدنا ربما لا يملك إلا بعيراً فاذا حلّ به ضيف نحره له ، فقال له الاعجمي فنحن احسن مذهباً في القرى منكم ، قال وما ذاك . قال نحن نسمي الضيف مهمان ومعناه انه اكبر من في المنزل واملكنا به ، وقال بعض الحكماء نام الجود من قام بالمجهود .. وقيل الجواد من لم يضن بالموجود .. وقال المأمون الجود بذل الموجود والبخل سوء الظن بالمعبود .. قيل وشكا رجل الي إياس بن معاوية كثرة ما يهب ويصل الناس وينفق . قال ان النفقة داعية الرزق وكان جالساً على باب فقال للرجل اغلق هذا الباب فأغلقه فقال هل تدخل فيه الريح قال لا . قال فافتحه ففتحه فجعلت الريح تخترق في البيت فقال هكذا الرزق اغلقت فلم تدخل الريح فكذلك اذا امسكت لم يأتك الرزق قيل ووصل المأمون محمد بن عبّاد المهلّبي بمائة الف دينار ففرّقها على اخوانه فبلغ ذلك المأمون فقال يا أبا عبد الله ان بيوت الأموال لا تقوم بهذا . فقال يا أمير المؤمنين البخل بالموجود سوء الظن بالمعبود وعن أمية بن يزيد الأموي قال كنا عند عبد الرحمن بن يزيد بن معاوية فجاءه رجل من أهل بيته فسأله المعونة على تزويج فقال له قولا ضعيفاً فيه وعد وقلة اطماع . فلما قام من عنده ... صاحب ... عطيه ... واستكثرناها وقلنا كميت

وردت عليه رداً طمعاً أنك تعطيه شيئاً قليلاً فإذا أنت أعطيته أكثر مما أمل . فقال :
انى أحب أن يكون فعلي أحسن من قولي .. وبحاتم يضرب المثل في السخاء .
فحدّثنا عن بعض حالات حاتم قيل : كان حاتم جواداً شاعراً وكان حيثما نزل عُرف
منزله وكان ظَفِراً إذا قاتل غلب وإذا غنم نهب وإذا سئل وهب وإذا ضرب بالقداح
سبق وإذا أسر أطلق . وكان أقسم أن لا يقتل واحد أمه .. قيل : ولما بلغ حاتماً
قول المتلمّس الضبعي

قَلِيلُ المـالِ تُصلِحهُ فيبقى   ولا يبقى الكثيرُ على الفَسادِ
وحِفظُ المالِ أيسَرُ من بغاهُ   وضَرْبٍ في البلادِ بغيرِ زادِ

فقال . ماله قطع الله لسانه يحرض الناس على البخل أفلا قال

فلا الجودُ يُفني المالَ قبلَ فنائهِ   ولا البخلُ في مالِ الشَّحيحِ يزيدُ
فلا تلتمسْ رِزقاً بعيشٍ مقتَّرٍ   لكلِّ غدٍ رزقٌ يعودُ جديدُ
ألمْ ترَ أنَّ الرِّزقَ غادٍ ورائحٌ   وأنَّ الذي أعطاكَ سوفَ يُعيدُ

قيل .. ونزل على حاتم ضيف ولم يحضره القرى فنحر ناقة الضيف وعشّاه وغدّاه
وقال [illegible] عشرون
[illegible] من قومه
من [illegible] فيه [illegible] بعد العشرة [illegible] وحكوا عن
حاتم أنه خرج في الشهر الحرام [illegible]
[illegible] قال [illegible] في [illegible] ولا معي شيء [illegible]
[illegible] إلى [illegible] فيه [illegible]
حاتم [illegible] أقيم مكانه في قيد [illegible]
وما [illegible] حاتم [illegible] في [illegible] قومه [illegible]
[illegible]

وسألته القرى فلم يفعل وجعل يضرب القبر برجله ويقول

عَجّلْ أَبا سَفّانة قِرَاكا　　فسوف أُنبي سائلي ثناكا

فقال بعضهم مالك تنادي رمّة وباتوا مكانهم فقام صاحب القول من نومه مذعوراً فقال · يا قوم عليكم مطاياكم فان حاتماً اتاني فانشدني

أَبا الخيبريّ وأنت امرؤٌ　　ظلومُ العشيرةِ شتّامُها

فماذا أَردت إلى رمّةٍ　　بدوّيّةٍ صخبتْ هامُها

تُبَغّي أَذاها وإعسارها　　وحولك طيٌّ وأنعامُها

وإنّا لنُشبع أَضيافنا　　من الكوم بالسيف نعتامُها

وقيل في المثل هو اجود من كعب بن مامة وكان من إياد وبلغ من جوده انه خرج في ركب فيهم رجل من بني النمر بن قاسط في شهر ناجر والجأهم العطش فضلوا فتصافنوا ماءهم فجعل النمري يشرب نصيبه فاذا اراد كعب ان يشرب نصيبه قال آثر اخاك النمري فيؤثره حتى اضرّ به العطش فلما راى ذلك استحث ناقته وبادر حتى رفعت له اعلام الماء وقيل له رد كعب فانك ورّاد فمات قبل ان يرد ونجا رفيقه ·· ومن قول ابي تمام

هوَ البحرُ من أيِّ النواحي أتيتَهُ　　فلجّتُهُ المعروفُ والجودُ ساحلُه

كريمٌ إذا ماجئتَ للعُرفِ طالباً　　حباكَ بما تحوي عليهِ أناملُه

فلوْ لم يكن في كفّهِ غيرُ نفسه　　لجادَ بها فليتّقِ اللهَ سائلُه

وللبحتري

لو أنّ كفّك لم تجد لمؤمّلٍ　　لكفاهُ عاجلُ وجهكَ المتهلّلِ

ولو أنّ مجدكَ لم يكن متقادماً　　أغناكَ آخر سوددٍ عن أوّلِ

ولبكر بن النطاح في أبي دلف

نَطَلٌ بصدرِ حُسامهِ وسِنانهِ ... أَجلاَنِ منْ صدَرٍ ومنْ إيرَادِ

وَرِثَ المكارِمَ وابتناها قاسِمٌ ... بصفائحٍ وأَسِنَّةٍ وجيادِ

يا عِصمةَ العرَبِ التي لولَمْ تكُنْ ... حيًّا إذًا كانتْ بغيرِ عِمادِ

إنَّ العيونَ إذا رأَتكَ حِدادُها ... رَجعتْ مِنَ الإجلالِ غيرَ حِدادِ

وإذا رَميتَ الثغرَ منكَ بعزمةٍ ... فتّحْتَ منهُ مواضعَ الأَسْدادِ

وكأَنَّ رُمحَكَ منقعٌ في عُصفرٍ ... وكأَنَّ سيفَكَ سُلَّ من فرصادِ

لوْصالَ منْ غضبٍ أَبودُلَفٍ على ... بيضِ السُّيوفِ لذُبْنَ في الأَغمادِ

أَورَى وبوَّرَ للعداوةِ والهوَى ... نارينِ نارَ دَمٍ ونارَ زِنادِ

قال أبو هفّان أنشدت هذه الأبيات عبد العزيز بن أبي دلف فسُرَّ من رأى • فقال هل سمعت بمثل هذه الأبيات • قلت لا • قال ولغيره في أبي دلف

ولوْ يَحُورُ لَقالَ النَّاسُ كلُّهُمُ ... لوْلاأَبو دُلَفٍ ماأَورَقَ الشَّجَرُ

قال ابن يحيي النديم دعاني المتوكل ذات يوم وهو مخمور فقال أنشدني قول عمارة في أهل بغداد • فأنشدته

مَنْ يَشتَرِي منّي ملُوكَ مُخرَّمٍ ... أَبِعْ حسَنًا وابنَيْ هشامٍ بدرهمِ

وأُعطِي رجاءً بعدَ ذاكَ زِيادَةً ... وأَمنحُ دينارًا بغيرِ تَندُّمِ

فإنْ طلبوا منّي الزِّيادةَ زِدتُهمْ ... أَبا دُلَفٍ والمستطيلَ بنَ أَكثَمِ

فقال المتوكل وأي علي بن نوبان عن حبيب يرحمه بسهم نوبه هذين قط • فهل عندك من المدح في أبي دلف القاسم بن عيسى شيء • قال نعم يا أمير المؤمنين قول الاعرابي الذي يقول فيه

أبا دُلَف إنّ السّماحة لم تزلْ — مُغلّلةً تشكو إلى الله غلّها
فبشّرها ربي بميلاد قاسمٍ — فأرسل جبريلاً إليها فحلّها

وقال غيره

حرٌّ إذا جئته يوماً لتسألَهُ — أعطاك ما ملكت كفّاه واعتذرا
يخفي صنائعَهُ والله يظهرُها — إنّ الجميلَ إذا أخفيتَهُ ظهرا

وقال آخر

فتىً عاهدَ الرّحمنَ في بذلِ مالهِ — فليسَ تراهُ الدّهرَ إلاّ على العهدِ
فتىً قصُرتْ آمالُهُ عن فعالهِ — وليس على الحرّ الكريمِ سوى الجهدِ

وقال آخر

إذا ما أتاهُ السّائلون توقّدتْ — عليهِ مصابيحُ الطّلاقةِ والبشرِ
لهُ في ذرى المعروفِ نُعمى كأنّها — مواقعُ ماءِ المزْنِ في البلدِ القفرِ

وقال آخر

عادَ السّرورُ إليكَ في الأعيادِ — وسعدتَ من دُنياكَ بالإسعادِ
رفقاً بعبدٍ حانَ ما أوليْتَهُ — رفقاً فقدْ أثقلْتَهُ بأيادي
ملأ النفوسَ مهابةً ومحبّةً — بدرٌ بدا متعمّماً بسوادِ
ما إن أرى لكَ مشبهاً فيمن أرى — إنّ الكرامَ قليلةُ الأندادِ

وقال في ... دو ...

بدا حين أثرى بإخوانهِ — فقلّلَ عنهمْ شباةَ العدمْ
وحذّرهُ الحزمُ صرفَ الزمان — فبادرَ قبلَ انتقالِ النّعمْ

فليسَ وإنْ بَخِلَ الباخلو ... ن يقرعُ سِناً له مِنْ ندَم
ولاينكتُ الأرضَ عندَ السؤالِ ... ليمنعَ سؤّاله عنْ نعمْ
ولكنْ يُرَى مُشرقاً وجههُ ... ليرغمَ في مالِه مَنْ رَغمْ

ويروى في الحديث انه لا يجتمع الشح والايمان في قلب عبد صالح أبداً ..
ويقولون الشحيح أعذر من الظالم أقسم الله بعزته لا يساكنه بخيل في جنته ..
وقال النبي صلى الله عليه وسلم من فتح له باب من الخير فلينتهزه فانه لايدرى متى يغلق
عنه .. وقال الشاعر في ذلك

ليسَ في كلِّ ساعةٍ وأوانِ ... تتهيّا صَنائعُ الإحسانِ
فإذا أمكنتْ تقدّمتْ فيها ... حذراً مِنْ تعذّرِ الإمكانِ

وذكر عبد الله بن جعفر بن أبي طالب رضى الله عنه ان أمير المؤمنين علياً
صلوات الله عليه بعثه الى حكيم بن حزام بن خويلد يسأله مالاً فانطلق به الى منزله
فوجد في الطريق صوفاً فأخذه ومرّ بقطعة كساء فأخذها فلما صار الى المنزل أعطاه
طرف الصوف فجعل يفتله حتى صيره خيطاً ثم دعا بمخرزة فخرقه فرقعها بالكساء وخيّطها
بالخيط وصرّ فيها ثلاثين ألف درهم فحملت معه .. قال وأتى قوم قيس بن سعد بن
عبادة الانصارى رحمه الله يسألونه في حمالة فصادفوه في حائط له يتتبع ما سقط من
التمر فيعزل جيّده ورديئه على حدة فهموا بأن يرجعوا ثمه وقالوا ما نظن عنده
خيراً ثم كلموه وأعطاهم فقال رجل من القوم لقد رأيناك تصنع شيئاً لا يشبه فعالك
فسل وما ذاك فأخبروه فقال ان لدى رأيتم يؤول الى جمع ... فمهما
قيل الذود الى الذود إبل .. وأنشد

رُبَّ كبيرٍ هاجهُ صغيرُ ... وفي البحورِ تغرقُ البحورُ

وقال آخر

قد يلحقُ الصغيرُ بالجليلِ ... وإنما القرمُ من الأفيلِ

وسحقُ النَّخلِ منَ الصَّسيلِ

قال . وأتى رحل طلحة بن عبيد الله فسأله حمالة فرآه يهنأ بعيراً له فقال يا غلام احرح اليــه بدرة فقصها وقال : أردت أن أنصرف حين رأيتك تهنأ البعير فقال . إنا لا نضيع الصغير ولا يتعاظمنا الكبير

—★★★★★★★—

مساوى البخل

المثل السائر فى البخل هو أبخل من مادر • وهو رحل من بنى هلال بن عامر بلغ من بخله انه كان يسقى ابله فبقي في أسفل الحوض ماء قليل فسلح فيه ومدر الحوض به فسمي مادراً •• وذكروا ان بنى هلال وبني فزارة تنافروا الى أنس بن مــدرك وتراضوا به • فقالت بنو هلال يا بنى فزارة اكلتم اير الحمــار فقالت بنو فزارة لم نعرفه • وكان سبب ذلك ان ثلاثة اصطحبوا فزاريّ وثعلبيّ وكلابي فصادفوا حمــار وحش ومضى الفزاري فى بعض حوائجه فطبخا وأكلا وخبآ للفزارى إير الحمار فلما رجع قالا قد خبأنا لك حقك فكل • فأقبل يأكل ولا يسيغه • فجعلا يضحكان ففطن وأخذ السيف وقام اليهما وقال لتأكلان منه أولاً قتلتكما فامتنعا فضرب أحدهما فقتله وتناوله الآخر فاكل منه ، فقال فيهم الشاعر

نَشَدْتُكَ يافزارَ وأنتَ شيخٌ إذا خيّرتَ تُخطئُ فى الخِيارِ

اَصَـنْحانيَـةٌ أُدِمَت بسمنٍ أَحَبُّ إليك أم إيرُ الحمارِ

بلى إيرُ الحِمارِ وخصيتَـاهُ أَحَبُّ إلي فزارَةَ مِنْ فَزارِي

فقالت بنو فزارة منكم يا بني هلال من سقى ابله فلما رويت سلح في الحوض ومدره بخلا فنفّرهم أنس بن مدرك على الهلاليين فاخذ الفزاريون منهم مائة بعير وكانوا تراهنوا عليها ، وفي بني هلال يقول الشاعر

لقد جلّلت خزياً هلالُ بنُ عامرٍ بني عامرٍ طرّاً بسلحة مادرِ

فأفٍّ لكم لا تذكروا الفخر بعدها بني عامرٍ أنتم شرار العشائرِ

وفي المثل .. هو أبخل من أبي حباحب . وهو رجل في الجاهلية بلغ من بخله انه كان يسرج السراج فاذا أراد أحد أن يأخذ منه أطفاه . فضرب به المثل .. ومنهم صاحب مجيبح بن سالمة اليربوعي فانه ذكر أن مجيحاً اليربوعي خرج يوماً يتصيّد فعرض له حمار وحش فاتبعه حتى دفع الى أكمة فاذا هو برجل أعمى أسود قاعد في أطمار بين يديه ذهب وفضة ودرّ وياقوت فدنا منه فتناول بعضها ولم يستطع أن يحرك يده حتى ألقاه فقال . يا هذا ما هذا الذي بين يديك وكيف يستطاع أخذه وهل هولك أم لغيرك فاني أعجب مما أرى اجواد انت فتجود لنا ام بخيل فاعذرك فقال الأعمى اطلب رجلا فقد منذ سنين وهو سعد بن خشرم بن شماس فأتني به نعطك ما تشاء . فانطلق مجيح مسرعا قد استطير فؤاده حتى وصل الى قومه ودخل خباءه ووضع رأسه فنام لما به من الغم لا يدري مَن سعد بن خشرم فاتاه آت في منامه فقال له يا مجيح ان سعد بن خشرم في حي بني محلم من ولد ذهل بن شيبان ، فسأل عن بني محلم ثم سأل عن خشرم بن شماس فاذا هو شيخ قاعد على باب خبائه فحياه مجيح فردّ عليه السلام فقال له مجيح من انت ، قال انا خشرم بن شماس ، قال له فاين ولدك سعد قد خرج في طلب مجيح اليربوعي وذلك ان آتياً أتاه في منامه فخبره ان مالا له في وادي بني يربوع لا يعلم به الا مجيح اليربوعي ، فضرب مجيح فرسه ومضى وهو يقول

أيطلبني من قد عناني طلابه فياليتني ادركت سعد بن خشرم

أيت ي.ز.وع معي اقاء، وحسب لسكى أقدت حتى محم

واما دا من محته سساله عد ه مجيح م ر كـ هـ ـ ـ ـ ى ى

روع قال ا ـ ـ وهل بدل عن مجيح وب ـ مجيح وحده حـ ث . ـ

المال على الحبر كما عاله ـ ـ ـ ول من قلم ـ ـ ـ حتى ا ـ ـ كان ـ ـ ـ

الرجل الأعمى عنهما وترك المال فاخذه سعد كله . فقال نجيح : ياسعد قاسمني . فقال له اطوعني وعن مالي كشحاً . وأبى أن يعطيه شيئاً فانتضى نجيح سيفه فحمل يضربه حتى برد فلما وقع قتيلا تحوّل الرجل الحافظ للمال سعلاة فاسرع في أكل سعد وعاد المال الي مكانه فلما رأى نجيح ذلك ولّى هارباً الى قومه .. قيل . وكان ابو عدس بخيلا وكان اذا وقع الدرهم فى يده نقره باصبعه ثم يقول . كم من مدينة قددخلتها ويد قد وقعت فيها فالآن استقرّ بك القرار واطمأنت بك الدار ثم يرمي به فى صندوقه فيكون آخر العهد به .. قيل ونظر سليمان بن مزاحم الى درهم فقال فى شق . لا إله إلا الله . وفي شق محمد رسول الله ما ينبغي أن تكون إلا معاذة وقذفه فى صندوقه .. وذكروا انه كان بالري عامل على الخراج يقال له المسيّب فاتاه شاعر يمتدحه فلم يعطه شيئاً ثم سعل سعلة فضرط .. فقال الشاعر

أَتيتُ المُسيّبَ فى حاجةٍ فما زال يسعلُ حتى ضرطْ

فقال غلطنا حسابَ الخراجِ فقلتُ من الضرطِ جاء الغلطْ

فما زالوا يقولون ذلك حتى هرب منها من غير عزل .. قال وكتب ارسطاطاليس الى رجل شيء فلم يفعل فكتب اليه ان كنت أردت فلم تقدر فمعذور وان كنت قدرت ولم ترد فسيأتيك يوم تريد فيه فلا تقدر .. قال وسمع ابو الاسود الدؤلي رجلا يقول من يعشّي الجائع . فعشّاه ثم قام الرجل ليخرج فقال هيهات تخرج فتؤذي الناس كما آذيتني . ووضع رجله في الأدهم حتى أصبح . قال وكان رجل يأتي ابن المقفع فيلح عليه ويسأله أن يتغدّى عنده ويقول لعلك تظن انى أتكلف لك شيئاً والله لا اقدّم لك إلا ما عندي فلما أتاه لم يجد فى بيته إلا كسراً يابسة وملح جريش . وجاء سائل الي الباب فقال له وسّع الله عليك . فلم يذهب فقال والله لئن خرجت اليك لأدقّنّ رأسك فقال ابن المقفع للسائل ويحك لو عرفت من صدق وعيده ما أعرف من صدق وعده لم ترد كلمة ولم تقم طرفة عين قال وكتب ابراهيم بن سيّابة الي صديق له كثير المال يستسلفه فكتب اليه العيال كثير والدخل قليل والمال مكذوب عليه

فكتب اليه ان كنت كاذباً جعلك الله صادقاً وان كنت صادقاً جعلك الله معذوراً

.. وكتب آخر الى آخر يصف رجلا . أما بعد فانك كنتت تسأل عن فلان كأنك همت به أو حدثتك نفسك بالقدوم اليه فلا تفعل فان حسن الظن به لا يقع في الوهم الا بخذلان الله والطمع فيما عنده لا يخطر على القلب إلا بسوء التوكل على الله والرجاء وبما في يده لا ينبغي الا بعد اليأس من رحمة الله انه يرى الايثار الذي يرضى به التبذير الذي يعاقب عليه والاقتصاد الذي أمر به الاسراف الذي يعاقب عليه وان بني اسرائيل لم يستبدلوا العدس والبصل بالمنّ والسلوى إلّا لفضل أخلاقهم وقديم علمهم وان الصنيعة مرفوعة والصلة موضوعة والهبة مكروهة والصدقة منحوسة والتوسّع ضلالة والجود فسوق والسخاء من همزات الشياطين وان مواساة الرجال من الذنوب الموبقة والافضال عليهم من احدى الكبائر وأيم الله انه يقول ان الله لا يغفر أن يؤثر المرء في خصاصة على نفسه ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء ومن آثر على نفسه فقد ضلّ ضلالاً بعيداً كأنه لم يسمع بالمعروف إلا في الجاهلية الذين قطع الله أدبارهم ونهى المسلمين عن اتباع آثارهم وان الرحمة لم تأخذ أهل مدين إلّا لسخاء كان فيهم ولا أهلكت الريح عاداً إلا لتوسّع كان منهم فهو يخشى العقاب على الانفاق ويرجو الثواب على الاقتار ويعدّ نفسه خاسراً ويعدها الفقر ويأمرها بالبخل خيفة أن تمرّ به قوارع الدهر وان يصيبه ما أصاب القرون الأولى فاقم رحمك الله مكانك واصطبر على عسرك عسى الله أن يبدلنا وإيّاك خيراً منه زكاة وأقرب رحما .. ولبعض الكتّاب أما بعد فان كثير المواعيد من غير نجح عار على المطلوب اليه وقلتها مع نجح الحاجة مكرمة من صاحبها وقد رددتنا في حاجتنا هذه في كثرة مواعيدك من غير نجح لها حتى كأنا قد رضينا بالتعلل لها دون النجاح كقول القائل

لاتجعلنا ككمون بمزرعة إن فاته الماء أروته المواعيد

وكتب آخر ما رأيت من عيب قولك مرّة سوء فعالك ولا مثل ... وجهت حالته طول تكيد ولا مثل قرب ... ...

وكأنه ريبك فيهم بالخديعة لتدرك منهم فرصة الهلكة ٠٠ وقد قيل : وعد الكريم نقد وتعجيل ووعد اللئيم مطل وتأجيل ٠٠ وقال بعضهم وعدتنا مواعيد عرقوب ومطالتنا مطل نعاس الكلب وغررتنا غرور السراب ومنّيتنا أمانيّ الكمّون ٠٠ ولبعضهم . أمّا بعد فلا تدعي معلماً بوعدك فالغدر الجميل أحسن من المطل الطويل فان كنت تريد الانعام فانجح وان تعذّرت الحاجة فاوضح واعلمني ذلك لأصرف وجه الطلب الى غيرك ٠٠ وذكروا ان فتى من مراد كان يختلف الى عمرو بن العاص فقال له ذات يوم ألك امرأة ٠ قال لا ٠ قال فتزوّج وعليّ المهر ٠ فرجع الى أمه فأخبرها الخبر فقالت

إذا حدَّثتكَ النفسُ انَّكَ قادِرٌ على ما حوَت أيدي الرِّجالِ فكذِّبِ

فتزوّج وأتى عمرو بن العاص فاعتلّ عليه ولم يجز وعده فشكى ذلك الى أمه فقالت

لا تغضبنَّ على امرىءٍ في مالهِ وعلى كرائمِ حرِّ مالكَ فاغضبِ

ووصف اعرابي رجلا فقال له بشر مطمع ومطل مؤيس وكنتُ منه أبداً بين الطمع واليأس لا بذل سريع ولا مطل مريح ٠٠ وقال اعرابي أنا من فلان في أماني تهبط العصم وحلف يذكر العدم ولست بالحريص الذي اذا وعده الكذوب علق نفسه لديه وأتعب راحلته اليه ٠٠ وذكر اعرابي رجلا فقال له مواعيد عواقبها المطل وثمارها الخلف ومحصولها اليأس ٠ ويقال سرعة اليأس أحد النجحين ٠٠ وقال بعضهم مواعيد فلان مواعيد عرقوب ولمع الآل وبرق الخُلَّب وأمانيّ الكمّون ونار الحباحب وصلف تحت الراعدة ٠٠ ومما قيل في ذلك

أروحُ وأغدُو نحوكُم في حوائجي فأصبحُ منها غدوة كالذي أُمسي

وقد كنتُ أرجو للصّديق شفاعتي فقد صرتُ أرضى أن أُشفّعَ في نفسي

ولأبي نواس

وعدتني وعدك حتّى إذا أطمعتني في كنزِ قارونِ

جئت من الليل بمسألة تعسلُ ما فاتَ بصابونِ

ولأبي تمام

يَحتاجُ مَن يرتجي نوالكمُ ... إلى ثلاثٍ من غيرِ تكذيبِ
كنوزِ قارونَ أن تكون له ... وعمرِ نوحٍ وصبرِ أيوبِ

وقال آخر

إني رأيتُ من المكارمِ حسبكمُ ... أن تلبسوا خزَّ الثيابِ وتشبعوا

وقال حسان بن ثابت

إني لأعجبُ من قولٍ غررتَ به ... حلوٍ يمدُّ اليه السمعُ والبصرُ
لو تسمعُ العصمُ من صمِّ الجبالِ به ... ظلَّت من الراسياتِ العصمُ تنحدِرِ
كالخمرِ والشهدِ يجري فوق ظاهرهِ ... وما لباطنهِ طعمٌ ولا خبرُ
وكالسراب شبيهاً بالغديرِ وإن ... تبغ السرابَ فلا عينٌ ولا أثرْ
لا يشتُّ العشبُ عن برقٍ وراعدةٍ ... غرَّاء ليس لها سيلٌ ولا مطرْ

وقال آخر

رأيتُ أبا عثمان يبذلُ عرضهُ ... وخبزُ أبي عثمان في أحرزِ الحرزِ
يحنُّ الى جاراتهِ بعد شبعهِ ... وجاراتهُ غرثى تحنُّ إلى الخبز

وقال آخر

ما كنتُ أحسبُ أنَّ الخبزَ فاكهةٌ ... حتى نزلتُ على أوفى بنِ منصورِ
الحابسُ الروثَ في أعفاج بغلتهِ ... خوفاً على الحبِّ من لقطِ العصافيرِ

وقال آخر

نوالك دونهُ خرطُ القتادِ ... وخبزك كالثريا في البعادِ
ترى الإصلاحَ صومكَ لا لنسكٍ ... وكسرُ الخبزِ من عملِ الفسادِ

أَرَى عُمْرَ الرَّغيفِ يطولُ حدًّا　　لَدَيْكَ كأَنَّهُ مِنْ قَوْمِ عادِ

وقال آخر

اللُؤْمُ منكَ على الطَّعامِ طِباعُ　　وعيالُ بيتِكَ ما حَيِيتَ جياعُ
وإذا يمرُّ بباب دارك سائلٌ　　حَمَلَتْ عليه نَوائِحٌ وسِباعُ
وعلى رَغيفك حيَّةٌ مسمومةٌ　　وعلى خِوانك عقربٌ وشجاعُ

وقال آخر

يا تاركَ البيتِ علي الضيفِ　　وهارِبًا عنهُ مِنَ الخَوْفِ
ضيفُك قد جاءَ بخبزٍ له　　فارْجِعْ وكُنْ ضيفًا علي الضَّيفِ
إذا شتهى الضيفُ طَبيخَ الشتّا　　أتاهُ بالشَّهْوَةِ في الصَّيفِ
وإنْ دنا المِسكينُ مِن بابهِ　　شدَّ على المِسكينِ بالسَّيفِ

وقال آخر

أَرى ضيفكَ بالدّارِ　　وكَرْبُ الجوعِ يَغْشاهُ
علي خُبْزِك مكتوبٌ　　سَيَكْفيكَهُمُ اللهُ

وقال آخر

لأبي نوحٍ رغيفٌ　　أَبدًا في خِدْرِ دايه
أبدًا يَنْسَجهُ الدَّهْـــرُ بكُمٍّ ووقايه
وإذا كان سِرٍّ　　حَطَّ فيهِ لعِنايه
فسيكفيكهمُ اللـــه إلى آخرِ الآيه

وقال آخر

الخبزُ يبطي حين يدعو به ... كأنّهُ يقدمُ من قافِ

ويمدحُ الملحَ لأصحابه ... يقولُ هذا ملحُ سيرافِ

سيّانِ أكلُ الخبزِ في دارهِ ... وقلعُ عينيهِ بخطّافِ

وقال آخر

فتىً لا يغارُ على عرسهِ ... ولكن يغارُ على خبزهِ

فمنهُ يدُ الجودِ مقبوضةٌ ... وكفُّ السماحةِ في عجزهِ

وقال آخر

يصونونَ أثوابهم في التخوتِ ... وأرواحهم بذلةٌ في السككْ

يحمونَ من رامَ رغفانهم ... ويدنونَ من رامَ حلَّ التككْ

وقال آخر

أمّا الرّغيفُ على الخوا ... ن فمن حماماتِ الحرمْ

ما إن يجسُّ ولا يمـ ... ـسّ ولا يذاقُ ولا يشمْ

فتراهُ أخضرَ يابساً ... بالي النقوشِ من الهرمْ

وقال آخر

أتينا أبا طاهرٍ مفطرين ... إلى داره فرجعنا صياما

وجاء بخبزٍ له حامضٍ ... وهات دعوه وتو [illegible] ما

وقال آخر

يمحق بالماء وقرصه ... معتمس في وسط [illegible]

تحاولا لا اطمع في حرز ... [illegible]

وعن حديثه عن محمد [illegible] رشيد [illegible]

[illegible]

نواس في الهجاء

وما رَوَّحتَنا لتذبَّ عنّا ... ولكن خفتَ مَرْزِئَةَ الذُّبابِ

شرابُكَ كالسَّرابِ إذا التقينا ... وخبزُكَ عندَ منقطعِ التُّرابِ

وقال آخر

خانَ عهدي عَمْرٌو وما خنتُ عهدَه ... وجفاني وما تغيَّرتُ بعدَه

ليسَ لي ما حييتُ ذنبٌ إليهِ ... غيرَ أنّي يوماً تغدَّيتُ عندَه

وقال الخليل بن احمد العروضي الأزدي

فكفّاهُ لم تُخلقا للندى ... ولم يكُ بُخلُهما بِدْعَه

فكفٌّ على الخبزِ مقبوضةٌ ... كما نقصتْ مائةٌ تسعَه

وكفٌّ ثلاثةُ آلافِها ... وتسعُ مِئيها الهاشرعه[1]

وقال ابن أبي البغل

وكلُّ مَنْ أحتذيهِ في بلد ... أذُمُّ مما لديهِ في صفد

يَعقِدُ لي باليسارِ أربعةً ... مقبوضةً تسعةً إلى العدد

وقال آخر

أتيتُ أبا عمرو أرجّي نوالَهُ ... فزادَ أبو عمرٍو على حزني حزنا

فكنتُ كباغي القرنِ سلّمَ أذنَهُ ... فآبَ بلا أذنٍ ولم يستفدْ قرنا

(١) [illegible] محمد التميمي في [illegible] الجامع في [illegible] وعلى هذا [illegible] قول الخليل رحمه الله فكف [illegible] لا [illegible] [illegible]

محاسن الشجاعة

قيل ،، كان باليمامة رجل من بني حنيفة يقال له جحدر بن مالك وكان لسناً فاتكا شجاعا شاعراً وكان قد أبر على أهل حجر وناحيتها فبلغ ذلك الحجاج بن يوسف فكتب الى عامل اليمامة يوبخه بتلاعب جحدر به ويأمره بالتجرد فى طلبه حتى يظفر به فبعث العامل الى فتية من بنى يربوع بن حنظلة فجعل لهم جعلا عظيما ان هم قتلوا جحدراً أو أتوه به أسيراً ووعدهم أن يوفدهم الى الحجاج وسنى فرائضهم فخرج الفتية في طلبه حتى اذا كانوا قريباً منه بعثوا اليه رجلا منهم يريه انهم يريدون الانقطاع اليه والتحرم به فوثق بهم واطمأن اليهم فبينما هم على ذلك اذ شدوه وثاقاً وقدموا به الى العامل فبعث به معهم الى الحجاج وكتب يثنى على الفتية فلما قدموا على الحجاج قال له أنت جحدر • قال نعم ، قال ما حملك على ما بلغنى عنك ، قال ، جراءة الجنان وجفوة السلطان وكلب الزمان قال وما الذى بلغ من أمرك فيجترئ جنانك ويصلك سلطانك ولا يكلب زمانك ، قال لو بلانى الأمير لوجدنى من صالحي الاعوان وبهم الفرسان ومن أوفى على أهل الزمان ، قال الحجاج إنا قاذفوك فى قبة فيها أسد فان قتلك كفانا مؤونتك وان قتلته خلينا ووصلناك قال قد أعطيت اصلحك الله الامنية وعظمت المنة وقربت المحنة فأمر به فاستوثق منه بالحديد وألقي في السجن وكتب الى عامله بكسكر يأمره أن يصيد له أسداً ضارياً فلم يلبث العامل أن بعث اليه بأسد ضار قد أبر على أهل تلك الناحية ومنعت عامة مرعيهم ومسرح دوابهم فجعل منه في تابوت يجر على عجلة فلما قدموا به على الحجاج أمر فألقى في حير وأجيع ثلاثا ثم بعث الى جحدر فخرج وأعطى سيفاً ودلي عليه فمشى الى الاسد وأنشأ يقول

ليث وليث فى مجال ضنك ... كلاهما ذو أنف ومحك

وصولة فى بطشة وفتك ... ان يكشف الله قناع الشك

وظفراً بجؤجؤ وبرك ... فهو أحق منزل بترك

الذئب يعوي والغراب يبكي

حتى اذا كان منه على قدر رمح تمطّى الأسد وزأر وحمل عليه فتلقاه جحدر بالسيف فضرب هامته ففلقها وسقط الأسد كأنه خيمة قوضتها الريح فانثنى جحدر وقد تلطخ بدمه لشدة حملة الأسد عليه فكبر الناس ، فقال الحجاج يا جحدر ان أحببت أن الحقك بلادك وأحسن صحبتك وجائزتك فعلت بك وان أحببت أن تقيم عندنا أقمت فأسنينا فريضتك . قال : أختار صحبة الأمير ففرض له ولجماعة أهل بيته .. وأنشأ جحدر يقول

يا جُمْلُ إنّكِ لو رأيتِ بسالتي ... في يوم هيْجٍ مُرْدِفٍ وعَجاجِ

وتقدُّمي لليثِ أرسُفُ نحوَهُ ... حتّى أُكابِدَهُ على الإحراجِ

جَهْمٌ كأنّ جبينَهُ لمّا بدا ... طَبَقُ الرّحا متفجِّرُ الأثباجِ

يرنو بناظرتين تحسبُ فيهما ... مِنْ ظنِّ حالِهِما شُعاعَ سِراجِ

شَثْنٌ براثِنُهُ كأنّ نُيوبَهُ ... زُرْقُ المَعاوِلِ أو شِذاةُ زِجاجِ

وكأنّما خيطتْ عليهِ عباءةٌ ... بَرْقاءُ أو خَلَقٌ مِنَ الدِّيباجِ

قَرْنانِ مُحْتَضِرانِ قد رَبَتْهُما ... أمُّ المنيّةِ غيرُ ذاتِ نِتاجِ

وعَلِمْتُ أنّي إنْ أبَيْتُ نِزالَهُ ... أنّي مِنَ الحَجّاجِ لَسْتُ بناجِ

فمشيتُ أرسُفُ في الحديدِ مُكَبَّلاً ... بالموتِ نفسي عندَ ذاكَ أُناجي

والناسُ منهمْ شامتٌ وعصابةٌ ... عَبَراتُهُمْ لي بالحلوقِ شَواجي

ففلقتُ هامَتَهُ فخرّ كأنّهُ ... أُطُمٌ تقوّضَ مائلُ الأبْراجِ

ثمّ انثنيتُ وفي قميصي شاهدٌ ... ممّا جرى من شاخبِ الأوداجِ

أيقنتُ أنّي ذو حِفاظٍ ماجدٌ ... من نسلِ أملاكٍ ذوي أتواجِ

فلئن قذفتُ إلى المنيةِ عامدًا إني لخيرِك بعدَ ذلكَ راجي

علِمَ النساءُ بأنَّني لا أنثني(١) إذ لا يثِقنَ بغيرةِ الأزواجِ .

وحكي عن الفضيل بن عامر العمري قال . خرجت ذات يوم أريد الغارة وكنت رجلا أحب الوحدة فبينا أنا أسير اذ ضللت الطريق الذي أردته فسرت أيامًا لا أدري أين أتوجه حتى نفد زادي فجعلت آكل الحشيش وورق الشجر حتى أشرفت على الهلاك ويئست من الحياة فبينا أنا أسير اذ أبصرت قطيع غنم في ناحية من الطريق فملت اليها واذا شاب حسن الوجه فصيح اللسان قال لي يا ابن العم أين تريد . فقلت أردت حاجة لي في بعض المدن وما أظنني الا قد ضللت الطريق . فقال أجل ان بينك وبين الطريق مسيرة أيام فانزل حتى تستريح واطعمني وترح فرسك فنزلت فرمى لفرسي حشيشاً وجاء إليَّ بثريد كثير ولبن ثم عمد الى كبش فذبحه وأجج نارًا وجعل يكبب لي ويطعمني حتى اكتفيت فلما جننا الليل قام وفرش لي وقال قم فارم بنفسك فان النوم أذهب لتعبك وارجع لنفسك فقمت ووضعت رأسي فبينما أنا نائم اذ أقبلت جارية لم تر عيناي مثلها قط حسنا وجمالا فقعدت الى الفتى وجعل كل واحد منهما يشكو الى صاحبه ما يلقى من الوجد فمنعني النوم لحسن حديثهما فلما كان في وقت السحر قامت الى منزلها فلما أصبحنا دنوت [illegible] فقلت له ممن الرجل فقال أنا فلان بن فلان . فانتسب لي فعرفته فقلت له ويحك ان أباك سيد قومه فما حملك على وضعك نفسك في هذا المكان . فقال [illegible] كنت [illegible] هذه التي رأيتها وكانت هي أيضاً لي وامقة فشاع خبري في الناس [illegible]

[illegible]

(١) [illegible]

فضاقت عليّ الدنيا برحبها وخرجت في أثرها فلما رأتني فرحت فرحاً شديداً فقلت لها: لا تخبري أحداً أني منك بسبيل ثم أتيت زوجها وقلت انا رجل من الأزد أصبت دماً وانا خائف وقد قصدتك لما أعرف من رغبتك في اصطناع المعروف ولي بصر بالغنم ان رأيت أن تعطيني من غنمك شيئاً فأكون في جوارك وكنفك فافعل • قال: نعم وكرامة فأعطاني مائة شاة وقال لي لا تبعد بها من الحي وكانت ابنة عمي تخرج إليّ كل ليلة في الوقت الذي رأيت وتنصرف فلما رأى حسن حال الغنم أعطاني هذه فرضيت من الدنيا بما ترى • قال فأقمت عنده أياماً فبينا انا نائم اذ نبهني وقال يا أخا بني عامر • قلت له . ما شأنك • قال ان ابنة عمي قد أبطأت ولم تكن هذه عادتها ووالله ما أظن ذلك إلا لأمر حادث يحدث لي • فجعلت أحدثه .. فانشأ يقول

ما بالُ ميَّةَ لا تأتي كعادتها — هل هاجها طَرَبٌ أو صدَّها شغلُ
لكنَّ قلبي لا يَعنيه غيرُكُمُ — حتى المماتِ ولا لي غيرَكُم أملُ
لو تعلمينَ الذي بي من فراقكُمُ — لما اعتذرتِ ولا طابتْ لكِ العِلَلُ
نفسي فداؤكِ قد أحللتِ بي حرقاً — تكادُ من حرِّها الأحشاءُ تنفصلُ
لو كان عاديةٌ منهُ على جبلٍ — لزالَ وانهدَّ من أركانه الجبلُ

فوالله ما اكتحل بغمض حتى انفجر عمود الصبح وقام ومرّ نحو الحيّ فابطأ عني ساعة ثم أقبل ومعه شيء وجعل يبكي عليه • فقلت له ما هذا • قال هذه ابنة عمي افترسها السبع وقد أكل بعضها ووضعها بالقرب مني فأوجع والله قلبي ثم تناول سيفه ومرّ نحو الحي فابطأ هنيهة ثم أقبل الي وعلى عاتقه ليث كأنه حمار فقلت له ما هذا • قال صاحبي • قلت وكيف عرفته • قال اني قصدت الموضع الذي أصابها فيه وعلمت أنه سيعود الى ما فضل منها فجاء قاصداً الى ذلك الموضع فعلمت انه هو فحملت عليه فقتلته ثم قام فحفر في الارض فعمق وأخرج ثوباً جديداً وقال يا أخا بني عامر اذا انا مت فأدرجني معها في هذا الثوب ثم ضعنا في هذه الحفيرة وهل التراب واكتب هذين

البيتين على قبرنا وعليك السلام

كُنا على ظهرِها والعيشُ في مَهلٍ — والدهرُ يجمعُنا والدارُ والوطنُ

فخاننا الدهرُ في تفريقِ أُلفتنا — واليومَ يجمعُنا في بطنِها الكفنُ

ثم التفتَ الى الأسد وقال

ألا أيُّها الليثُ المُدِلُّ بنفسهِ — هبلتَ لقد جرَّت يداكَ لما حزنا

وغادرتني فرداً وقد كنتُ آلفاً — وصيَّرتَ آفاقَ البلادِ لنا سجنا

أأصحبُ دهراً خانني بفراقِها — معاذَ إلهي أن أكونَ له خِدنا

ثم قال . يا أخا بني عامر اذا فرغت من شأننا فصح في أدبار هذه الغنم فردها الى صاحبها ثم قام الى شجرة فاختنق حتى مات فقمت فدرجتهما في ذلك الثوب ووضعتهما في تلك الحفرة وكتبت البيتين على قبرهما ورددت الغنم الى صاحبها وسألني القوم فأخبرتهم الخبر فخرج جماعة منهم فقالوا والله لننحرن عليه تعظيما له فخرجوا وأخرجوا مائة ناقة وتسامع الناس فاجتمعوا اليها فنحرت ثلاثمائة ناقة ثم انصرفنا . وقيل لما كان من أمر عبد الرحمن بن الأشعث الكندي ما كان قال الحجاج اطلبوا لي شهاب بن حرقة السعدي في الأسرى أو القتلى فطلبوه فوجدوه في الأسرى فلما أدخل على الحجاج قال له من أنت قال انا شهاب بن حرقة قال والله لأقتلنك [illegible] الأمر الذي نفاني قال [illegible] قال لأن فيّ خصالاً يرغب فيهن الأمير قال وما هي قال [illegible] بالصحيحة [illegible] لكتيبة أحمي الجار وأذب عن الذمار وأجود على العسر والسعي [illegible] قال احتجنا [illegible] من هذه الخصال فاخبرني أشد شيء مر عليك قال نعم [illegible]

[illegible] * ومركبي [illegible] في [illegible] قومي * [illegible]

يصونه كالأجدل * [illegible] * [illegible]

[illegible] حتى [illegible] * [illegible]

[illegible] * [illegible]

حتى [illegible] * [illegible]

موقرة متاعا * مقبلة سراعا | فصلت بالسنان * مع سادة فتيان
فسقتها جميعا * أحثها سريعا | أريد رمل عالج * أمعج بالمعاجج
أسير في الليالي * حرقاً بعيداً حالي | وقد لقينا تعبا * وبعد ذاك نصبا
حتى اذا هبطنا * من بعد ما صعدنا | عنت لنا بدانه * قد كان فيها عانه
رميتها بقوسي * في مهمه كالترس | حتى اذا ما أمعنت * بالممر ثم دومت
وردت قصراً مسهلا * في جوفه نطام حلا | وعنده خبيبه * في جوفها نعيمه
منيره كالشمس * فاقت جميع الأنس | فعجت مهري عندها * حتى وقفت معها
حييت ثم ردت * في لطف وحيت | فقلت يا لعوب * والطفلة العروب
هل عندكم قراء * إذ نحن بالعراء | قالت نعم برحب * في لطف وقرب
أربع هنا عتيدا * ولا تكن بعيدا | حتى يجيئك عامر * مثل الهلال زاهر
فعجت عن قرب * في ناحية الكثب | حتى رأيت عامرا * يحمل ليثاً خادرا

على عاتق سابح * كمثل طود اللائح

قال وكان الحجاج متكئاً فاستوى جالساً ثم قال . ويحك دع عنك السجع والرجز وخذ في الحديث . قال . نعم أيها الأمير ثم نزل فربط فرسه وجمع حجارة وأوقد عليها ناراً وشق عن بطن الأسد وألقى مرافقه في النار فجعلت أسامح الله الأمير أسمع لحم الأسد نشيشاً فقالت له [illegible] قد جاءك ضيف وأنت في الصيد . قال فما فعل . قالت ها هو ذا [illegible] الكثب والخيمة فأومأت لي فأتيتها فاذا أنا بغلام أمرد كأن وجهه دارة [illegible] فرمى لي [illegible] ودعاني لى طعامه فلم أمتنع من أكل ثم [illegible] وكنت أنا وبهيمة [illegible] الغلام على آخره ثم مال الى [illegible] حتى أتي على آخره فيما نحن كذلك [illegible] وساوات [illegible] وصرت معهم [illegible] أحفظ المماحلة . [illegible] قال يا فتيان هل لكم في [illegible] العلام من أين فلست

أقاتل من لا أعرفه ولا أقاتل الا كفؤاً أعرفه • فقال . أنا عاصم بن كلسة السعدي فشدّ عليه •• وأنشأ يقول

إنك يا عاصمُ بي لجاهل — إذ رُمتَ أمراً أنتَ عنه ناكل

إني كميٌّ في الحروب باسلُ — ليثٌ إذا اصطكّ الليوثُ نازل

ضرّابُ هاماتِ العدى منازل — قتّالُ أقرانِ الوغا مقاتل

ثم طعنه فقتله وقال يا فتيان هل لكم في العافية والا فارس وفارس فتقدم اليه آخر من أصحابي فقال له الغلام من أنت • فقال أنا صابر بن حرقة • فشد عليه وأنشأ يقول

إنك والإلهِ لستَ صابرا — على سنانٍ يجلبُ المقادر

ومنصلٍ مثلَ الشهاب باترا — في كفِّ قرمٍ يمنعُ الحرائرا

إني إذا رُمتُ امرأً وآسرا — يكون قرني في الحروب بائرا

ثم طعنه فقتله وقال يا فتيان هل لكم في العافية ولا فارس لفارس فلما رأيت ... [illegible] ... على أصحابي فقلت احملوا عليه حملة رجل واحد فلما رأى ذلك ... يقول

لا بُدّ من موتٍ ... — إذ تطلبون رحمةً كما ...

ولا أريدُ بعدها عيانا

وركب نعيمة فرسها وأخذت رمحها ... يجالدن ونعيمه حتى قتل منا عشرين ... [illegible] ... أصحابي فقلت يا غلام قد قبلنا العافية والسلامة • فقال ... كان ... [illegible] ... لو كان أولا ... ثم قال ... [illegible]

عامر بن حرقة ... [illegible] ... في هذه ... [illegible]

... [illegible] ... فقال من أين ... [illegible] ... والسباع ... [illegible]

... [illegible] ...

الابل موقرة متاعاً تجد منها حاجتك فقال لا أرب لي فيها ولو أردت ذلك لكنت اقدر عليه فارتحلنا عنه منصرفين • فقال الحجاج الآن يا عدوّ الله طاب قتلك لعدولك بالحق قال كان خروجي على الامير اصلحه الله اعظم من ذلك وان عفو الامير رجوت أن لا يؤاخذني بغيره فأطلقه ووصله ورده الى بلده

﴿ ضـدّه ﴾

قال دخل ابو زبيد الطائي على عثمان بن عفّان في خلافته وكان نصرانياً فقال له بلغني انك تجيد وصف الأسد • فقال له لقد رأيت منه منظراً وشهدت منه مخبراً لا يزال ذكره يتجدد على قلبي • قال هات ما مرّ على رأسك منه • قال خرجت يا أمير المؤمنين في صيّابة من افناء قبائل العرب ذوي شارة حسنة ترتمي بنا المهارى باكسائها القروانيات ومعنا البغال عليها العبيد يقودون عتاق الخيل نريد الحارث بن أبي شمر الغسّاني ملك الشام فاخروّط بنا المسير في حمارّة القيظ حتى اذا عصبت الأفواه وذبلت الشفاه وشالت المياه واذكت الجوزاء المعزاء وذاب الصيخد وصرّ الجندب وضايق العصفور الضب في وجاره قال قائلنا ايها الركب غوّروا بنا في دوح هذا الوادي واذا واد كثير الدغل دائم الغلل شجرة مغنّة وأطياره مرنّة فحططنا رحالنا بأصول دوحات كنهبلات فاصبنا من فضلات المزاود واتبعناها بالماء البارد فانا لنصف حرّ يومنا ومماطلته ومطاولته إذ صرّ أقصى الخيل أذنيه وفحص الأرض بيديه ثم ما لبث أن جال فحمحم وبال فهمهم ثم فعل فعله الذي يليه واحد بعد واحد فتضعضعت الخيل وتكعكعت الابل وتقهقرت البغال فمن نافر بشكاله و ناهض بعقاله فعلمنا أن قد اتينا وانه السبع لا شكّ فيه ففزع كل امرئ منا إلى سيفه واستله من جرّبانه ثم وقفنا له رزدقاً فاقبل يتظالع في مشيته كأنه مجنوب او في هجار لصدره نحيط ولبلاعيمه غطيط ولطرفه وميض ولارساغه نقيض كأنما يخبط هشيما او يطأ صريماً واذا هامة كالمجنّ وخدّ كالمسنّ وعينان سجراوان كأنهما سراجان يقدان وقصرة ربلة ولهزمة رهلة وكتد مغبط وزور مفرط وساعد مجدول وعضد مفتول وكفّ شثنة البراثن الى مخالب كالمحاجن ثم ضرب

بدسه فارهج وكسر فافرج عن أنياب كالمعاول مصقولة غير مفلولة وفم أشدق كالغار الأخرق ثم تمطى فأسرع بيديه وحفر وركيه برجليه حتى صار ظله مثليه ثم أقعى فاقشعر ثم مثل فاكفهر ثم تجهم فازبأر فلا والذي نفسه فى السماء ما اتقيناه بأول من أخ لنا من بني فزارة كان ضخم الجزارة فوهصه ثم أقعصه فقضقض متنه وبقر بطنه فجعل يلغ فى دمه فذمرت أصحابى فبعد لأى ما استقدموا فكر مقشعر الزبرة كأن به شيهماً حولياً فاختلج من دونى رجلا أجرد حوليا فقصه قصة فترايلت أوصاله وانقطعت أوداجه ثم نهم فقرقر ثم زفر فبربر ثم زأر فجرجر ثم لحظ فوالله لخلت البرق يتطاير من تحت جفونه عن شماله ويمينه فارتعشت الأيدي واصطكت الأرجل وأطت الأضلاع وارتجت الأسماع وحملقت العيون وتحركت المتون ولحقت الظهور بالبطون ثم ساءت الظنون ... [illegible]

عبوس شموس مصلخد خنابس ... جرىء على الأرواح للقرن قاهر

منيع ويحمى كل واد يرومه ... شديد أصول الماضغين مكابر

براثنه شثن وعيناه فى الدجى ... كجمر الغضا فى وجهه الشر ظاهر

[illegible] ... إذا قعقع الأسداء ... [illegible]

[illegible] حتى [illegible]

[illegible] وقيل [illegible] هو [illegible] وهو [illegible]

[illegible] لا [illegible] رجل [illegible]

[illegible] واحد

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

نسوة من العرب لم يكن لهن رجل فتزوجت واحدة منهن رجلا كان ينام الى الضحى فاذا اتته صرنه وقلن له قم فاصطبح ويقول لو لعادية تهتدى ــ أى خيل عادية عليكن مغيرة فادفعها عنكن ــ فلما رأين ذلك فرحن وقلن ان صاحبنا لشجاع ثم أقبلن وقلن تعالين نجرّبه فأتينه كما كنّ يأتينه فأيقظنه فقال لو لعادية تهتدى ، فقلن له نواصي الخيل معك ، فجعل يقول الخيل الخيل ويضرط حتى مات فضرب به المثل ‥ وقيل لجبان انهزمت فغضب الأمير عليك ، قال ، يغضب الأمير وأنا حي أحبّ إلي من أن يرضى وانا ميت وقيل لبعض الجبّان مالك لا تغزو ، قال . والله انى لأبغض الموت على فراشي فكيف أمرّ اليه ركضاً ،، قال وقال الحجاج لحميد الارقط وقد أنشده قصيدة يصف فيها الحرب ياحميد هل قاتلت قط ، قال لا أيها الأمير إلا فى النوم ، قال وكيف كانت وقعتك ، قال انتبهت وأنا منهزم ،، ومما قيل في ذلك من الشعر

طَالَتْ تُشَجِّعُني هِنْدٌ سَفَاهِيلٍ ... وللشَّجاعة حَظٌّ غيرَ مَجْهول

هَاتي شُجاعاً لغير القَتْلِ مَصرعُهُ ... اوجدكِ أَلفَ جَبانٍ غيرِ مَقْتولِ

الحَرْبُ تُوسعُ مَن يصلَى بها حَرَباً ... يُتْمَ العيالِ وإِثْكالَ المثَاكيلِ

اسمُ الوَغى اشتُقَّ مِن غوغاءَ يجْرِيها ... يَعْدُونَ للموْتِ كالطيرِ الأَبابيلِ

واللهِ لوْ أَنَّ جِبْرِيلاً تكَفَّلَ لى ... بالنَّصْرِ ماخاطَرَتْ نفسي لِجِبْرِيلِ

هل غيرأَنْ يعذِرونى أَنَّنى فَشِلٌ ... فكانَ هذا نَعَم فاعذِروا تعذِيلى

إنْ أعذرِ من فرارِى في الوَغى أَبَدا ... كانَ اعتِذارِى رَدَّ اعذارِي مقبول

إِسمعْ أحدّثك عن نفسي لِذِي سلب ... خلافَ نفسِ المَساعيرِ الهَاليلِ

اما إذا ... منهمْ شخوى عسور ... ... سماء ... في عرضى وفى طولى

فقلتُ ويحكمُ لا ترهبوا جلَدي — رُمحي كَسيرٌ وسيفي غيرُ مَصقولِ

لمّا اتقيتهمُ طوعاً بذاتِ يدِ — وانصعتُ أطوي الفلا ميلاً إلى ميل

اللهُ خلّصني منهمْ وفلسفتي — حتى تخلّصتُ مخضوبَ السّراويل

وقال آخر

أضحتْ تُشجّعني هندٌ فقلتُ لها — إنَّ الشّجاعةَ مقرونٌ بها العطَبُ

لا والذي حجّتِ الأنصارُ كعبتَهُ — ما يشتهي الموتَ عندي مَنْ له أرَبُ

للحربِ قومٌ أضلَّ اللهُ سعيَهمْ — إذا دعتهمْ الى حوماتِها وثبوا

ولستُ منهمْ ولا أهوى فِعالَهمْ — لا القتلُ يعجبني منهم ولا السلَبُ

وقال آخر

يقولُ ليَ الأميرُ بغيرِ جرمٍ — تقدّمْ حينَ حلَّ بنا المراسْ

فما لي إنْ أطعتُكَ في حياةٍ — ولا لي غيرُ هذا الرّأسِ رأسْ

محاسن حب الوطن

قال عمر بن الخطاب لولا حب الوطن لخرب بلد السوء وكان [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible]

الى أوطانها مشتاقة وإلى مولدها توّاقة ، وحدثنا بعض بنى هاشم قال قلت لاعرابي
من اين اقبلت قال من هذه البادية قلت واين تسكن منها قال مساقط الحمى حمى ضرية
ما إن لعمر الله أريد بها بدلا ولا ابغي عنها حولا حفتها الفلوات فلا يملولح ماؤها ولا
تحمى تربتها ليس فيها أذى ولا قذى ولا وعك ولا موم ونحن بأرفه عيش واوسع معيشه
واسبغ نعمة قلت فما طعامكم قال نخ نخ الهبيد والضباب واليرابيع مع القنافذ والحيات
وربما والله أكلنا القد واشتوينا الجلد فلا نعلم احداً أخصب منا عيشاً فالحمد لله على
ما رزق من السعة وبسط من حسن الدعة . وقيل لاعرابي كيف تصنع بالبادية اذا
انتصف النهار وانتعل كل شيء ظله فقال وهل العيش إلا ذلك يمشي أحدنا ميلا فيرفض
عرقاً كأنه الجمان ثم ينصب عصاه ويلقي عليها كساءه وتقبل الرياح من كل جانب فكأنه
في ايوان كسرى وقال بعض الحكماء عسرك في بلدك خير من يسرك في غربتك .
وقيل لاعرابي ما الغبطة قال الكفاية ولزوم الاوطان والجلوس مع الاخوان وقيل
فما الذل قال التنقل في البلدان والتنحي عن الاوطان . وقال بعض الأدباء الغربة ذلة
و ـ ه قـا وقال الآخر لا ينهضن بك من وطنك ذوكرك فيحصل الغربة ويستملك
وحد وشبهت الحكماء الغريب باليتيم الطيم الذي ثكل ابويه فلا ام ترأمه ولا اب
ـ ـ ـ ـ ـ ـ ـ ـ ـ ـ ـ ـ ـ ـ ـ وتحل رضا ـ ه كالعرس الذي زايل ارضه
ـ ـ ـ ـ ـ ـ ـ ـ ـ ـ ـ ـ ـ وكان عال لحلي عن مسقط راسه كالعـ
ـ ـ ـ موضعه الذي هو لكل ـ ـ فرسة وبكى كاب قيصر والكن ولم رمية ،
ر ـ من ـ ـ وصدق قول الله عز وجل ولو أنا كتبنا عليهم
ـ ـ ـ ـ ـ ـ ـ ـ ـ ـ ـ ان اقتلوا انفسكم او اخرجوا من ديارکم
ـ ـ ـ ـ ـ ـ ـ ـ ـ ـ ـ ـ ـ ـ ـ ـ بالقتل وقد تقدمت
ـ ـ ـ ـ ـ ـ ـ ـ ـ ـ ـ ـ ـ ـ ـ ـ ـ ـ ـ خعل الدار
ـ ربما ق
ـ ـ
ا ـ ـ ـ ـ ـ ـ ـ ـ ـ ـ ـ ـ ـ ـ فيه ذي ـ ـ الماهر

حننا إلى أرض بها اخضرّ شاربي وحلّت بها عنّي عقود التمائم
وألطف قوم بالفتى أهل أرضه وأرعاهم للمرء حق التقادم

وقال آخر

احن إلى أرض الحجاز وحاجتي خيام بنجد دونها الطرف يقصر
وما نظري من نحو نجد بنافعي اجل لا ولكني على ذاك انظر
وفي كل يوم نظرة ثم عبرة لعينيك تجري ماؤها يتحدّر
متى يستريح القلب إما مجاور حزين وإما نازح يتذكر

وقال آخر

نقّل فؤادك حيث شئت من الهوى ما الحبّ إلّا للحبيب الأول
كم منزل في الأرض يألفه الفتى وحنينه أبداً لأول منزل

وقال ابن أبي سرح قرأت على حائط بيتي شعر وهما

[illegible] غريب [illegible] يكون بلاده يحن إليه [illegible] الغريب
وقالوا [illegible] [illegible]

[illegible]

[illegible] ادي موحشا [illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

فلا تجزعْ فكلُّ فتىً سيأتي على حالاتهِ سَعةٌ وضيقُ

قال ووجدت على حائط باب مكتوباً

عليكَ سلامُ اللهِ ياخيرَ منزلٍ رَحلْنا وخلَّفناكَ غيرَ ذَميمِ

فإنْ تكنِ الأيَّامُ فرَّقنَ بيننا فما أحدٌ منْ رَيبِها بسليمِ

وقال آخر

وإنَّ اغترابَ المرءِ منْ غيرِ حاجةٍ ولا فاقةٍ يَسمو لها لَعجيبُ

وحسبُ امرىءٍ ذلّاً ولوْ أدركَ الغنى ونالَ ثراءً أنْ يقالَ غريبُ

وقال آخر

إنَّ الغريبَ وإنْ يكنْ في غبطةٍ لمعذَّبٌ وفؤادُهُ محزونُ

ومتى يكونُ معَ التغرُّبِ عاشقاً ومفارقاً يا ربِّ كيفَ يكونُ

وقال آخر

إنَّ الغريبَ ذليلٌ أينَ ما سلكا لوْ أنَّهُ مالكٌ كلَّ الورَى ملَكا

إذا تغنَّى حمامُ الأيكِ في غُصنٍ حنَّ الغريبُ إلى أوطانهِ فبكى

وقال آخر

سلِ اللهَ الإيابَ منَ المغيبِ فكمْ قدْ رَدَّ مثلَكَ منْ غريبِ

وسلِّ الحزنَ منكَ بحسنِ ظنٍّ ولا تيأسْ منَ الفرجِ القريبِ

وقال آخر

تصبَّرْ ولا تعجلْ وُقيتَ منَ الرَّدى لعلَّ إيابَ الظاعنينَ قريبُ

فقلتُ وفي قلبي جوًى لفراقِها ألا لا تُصبِّرْني فلستُ أُجيبُ

وقال آخر

أعاذلَ حبي للغريبِ سجيةٌ — وكلُّ غريبٍ للغريبِ حبيبُ

لئن قلتُ لم أجزع من البينِ إن مضوا — لطيّتهم إني إذاً لكذوبُ

بلى غمراتُ الشوقِ أضرمتِ الحشا — ففاضت لها من مقلتيّ غروبُ

وقال آخر

إذا اغترب الكريم رأى أموراً — مخللةً يشيبُ لها الوليدُ

وقال آخر

ما كنتُ أحسبُ أن يكو — نَ كذا تفرّقنا سريعا

نحل الزمانُ عليّ أن — نبقى كما كنّا جميعا

فأحلّني في بلدةٍ — وأحلّكَ البلدَ الشسيعا

قد كنتُ أنتظرُ الوصا — لَ فصرتُ أنتظرُ الرجوعا

وقال آخر

نسيمُ الخزامى والرياحُ التي جرت — بنجد على نجدٍ تذكّرني نجدا

أتاني نسيمُ السدرِ طيباً إلى الحمى — فذكّرني نجداً فقطّعني وجدا

وفي معناه (الدعاء للمسافر) بأيمن طالع وأسعد طائر .. ولا كبا بك مركب ولا أشتت بك مذهب، ولا تعذّرت عليك مطالب .. سهل الله لك السفر وأنالك القصد وطوى لك البعد بثمرة الظفر وكرامة المدخر .. على الطائر الميمون والكوكب السعد لوجهت ناصراً دفع الحوادث عنك وتقاعس نوب الأيام دونك بسهولة مطالب ونجاح مآرب .. كان الله لك في سفرك خفيراً وفي حضرك ظهيراً لسعي نجيح وأوب سريع .. اقتضى الله غيبتك وهدأ رحلتك وسرّ أوبتك أهلك ولا رحت آمن مقيم وتسعد بعد حدة نجح

مطلب وأسر منقلب وأكرم بدأة واحمد عاقبة ٠٠ اشخص مصحوبا بالسلامة والكلاءة آنساً بالنجح والغبطة محوطاً فيما تطالعه بالعناية والشفقة ٠٠ في ودائع الله وكنفه وجواره وستره وأمانه وحفظه ودمامه ،، وقال رجل للنبي صلي الله عليه وسلم اني أريد سفراً ، فقال · فى كنف الله وستره زوّدك الله التقوى ووجّهك الي الخير حيث ما كنت أستخلف الله فيك وأستحلفه منك ،، وقال الشاعر

في كنفِ اللهِ وفى ستره ... مَنْ ليسَ يخلو القلبُ مِنْ ذِكرِه

وقال آخر

إرحَلْ أَيا بشرٍ بأيْمَنِ طائرٍ ... وعلى السَّعادَةِ والسلَّامَةِ فانزِلِ

﴿ ضدّه ﴾

قال بعض حكماء الفلاسفة اطلبوا الرزق في البعد فانكم ان لم تكسبوا مالا غنمتم عقلا كثيراً ،، وقال آخر لا يألف الوطن الّا ضيق العطن ،، وقيل لاتوحشنّك الغربة اذا آنستك النعمة ، وقيل الفقير فى الأهل مصروم والغني فى الغربة موصول ،، وقال لا تستوحش من الغربة اذا أَبيتَ مصروما ،، وقيل أوحِشْ قومك ما كان في إيحاشهم أنسك واهجر وطنك ما نبتْ عنه نفسك ، وانشد

لايمنعنّكَ خفضُ العيشِ في دَعةٍ ... نزوعُ نفسٍ إلي أَهلٍ وأَوطانِ
تلقَى بكلّ بلادٍ إنْ حَلَلْتَ بها ... أَهلاً بأَهلٍ وجيراً بأجيرانِ

وقال آخر

بَتْ بكَ الدَّارُ فسِرْ آمِناً ... فللفتى حيثُ انتهَى دارُ

وفى معناه ﴿ الدعاء على المسافر ﴾ بالبارح الاسأم والسانح الاعضب والغراب الأنكد والسفر الأبعد ٠٠ لااستمرت به مطيته ولا استتبت به امنيته ولا تراخت منيته ٠٠ نحس مستمر وعيش مرّ ٠٠ لا قرى اذا استضاف ولا أمن اذا خاف ،، ويقال ان علياً عليه

السلام لما اتصل به مسير معاوية قال لا أرشد الله قائده ولا أسعد رائده ولا اصاب عيثاً ولا سار الا ريثاً ولا وافق الّا ليثاً ابعده الله واسحقه واوقد على اثره واحرقه لا حفظ الله رحله ولا كشف محله ولا نشر به اهله لا ركي له مطلب ولا رحب له مذهب ولا تشر له مراما لا فرح الله له غمه ولا سرّي همه لا سقاه الله ماء ولا حلّ عقده ولا اورى زنده حمله الله سفر الفراق وعصى الشقاق ،، وانشد

بأ نكدِ طائرٍ وبشرّ فالِ لأَبعدِ غايةٍ وأخسّ حالِ

بجدِّ السّدِ حيثُ يكونُ مِنّي كما بين الجنوب إلي الشّمال

غريباً تمتطي قدميك دهراً على خوف تحن إلي العيال

وقال آخر

إذا استقلّتْ بك الرّكابْ فحيثُ لا درّتِ السّحابْ

وحيثُ لا تنتهي فلاحاً وحيثُ لا يُرتجى إياب

وحيثُ ما دُرت فيهِ يوماً فاملك الذّئبُ والغراب

وقال آخر

فسر بالنّحوس إلي بلدة تعمّر فيها ولا ترزق

ولا تمرع الارضُ من زهرةٍ ولا يثمر الشّجرُ المورقُ

تغيض البحار بها مرّةً وتكذى السّحاب بها المغدقُ

وقال آخر

أذى خصالك الهند والصين وكل حس بك مقرون

نحس لا يأ انس مستوحش وحيث لا يمرح محزون

تهوى بك الأرض إلى بلده ناس بها من ولا طين

محاسن الدهاء والحيل

الهيثم بن الحسن بن عمار قال ،، قدم شيخ من خزاعة أيام المختار ونزل على عبد الرحمن بن أبان الخزاعي فلما رأى ما تصنع سوقة المختار من الإعظام جعل يقول يا عباد الله انا المختار يصنع هذا والله لقد رأيته يتتبع الإماء بالحجاز فبلغ ذلك المختار فدعا به وقال ما هذا الذي بلغني عنك • قال . الباطل ، فأمر بضرب عنقه ، فقال لا والله لا تقدر على ذلك • قال ولِمَ • قال اما دون أن أنظر اليك وقد هدمتَ مدينة دمشق حجراً حجراً وقتلت المقاتلة وسبيت الذرّية ثم تصلبني على شجرة على نهر والله اني لأعرف الشجرة الساعة وأعرف شاطئ ذلك النهر فالتفت المختار الى أصحابه فقال لهم ان الرجل قد عرف الشجرة فحبس حتى اذا كان الليل بعث اليه فقال يا أخا خزاعة أومزاح عند القتل • قال انشدك الله أن أقتل ضياعا • قال• وماتطلب ههنا • قال • أربعة آلاف درهم اقضي بها ديني • قال ادفعوها اليه وإيّاك أن تصبح بالكوفة فقبضها وخرج عنه ،، قال كان سراقة البارقي من ظرفاء أهل الكوفة فأسره رجل من أصحاب المختار فأتى به المختار فقال له أسرك هذا • قال سراقة كذب والله ما أسرني إلّا رجل عليه ثياب بيض على فرس أبلق • فقال المختار الا ان الرجل قد عاين الملائكة خلوا سبيله • فلما أفلت منه أنشأ يقول

ألا أبلغْ أبا إسحاقَ أني رأيتُ البلقَ دُهماً مُصمتاتِ

أُرِي عينيَّ ما لم ترأياهُ كِلانا عالِمٌ بالتُرَّهاتِ

كفرتُ بوحيكم وجعلتُ نذراً عليَّ قتالَكمْ حتّى المماتِ

وعنه قال كان الأحوص بن جعفر المخزومي يتغدّى في دار اللجّ في يوم شديد البرد ومعه حمزة بن بيض وسراقة البارقي فلما كان على ظهر الكوفة وعليه الوبر والخز وعليهما الأطمار قال حمزة لسراقة . أين يذهب بنا في البرد ونحن في أطمار • قال .

سأ كميكه فبينما هو يسير إذ دنا منهم راكب مقبل فحرّك سراقة دابته نحوه وواقفه ساعة ولحق بالأحوص فقال له ما حبّرك الراكب • قال زعم ان خوارج خرجت بالقطقطانة • قال : بعيد • قال . ان الخوارج تسير في ليلة ثلاثين فرسخا وأكثر • وكان الأحوص أحد الحمقاء فثنى رأس دابته وقال ردوا طعاما سعديّ في المنزل فلما حاذى منزله قال لأصحابه ادخلوا ومضى الى خالد بن عبد الله القسريّ فقال • خرجت خارجة بالقطقطانة • فنادى خالد في العسكر فجمعهم ووجّه خيلا تركض نحو اللح لتعرف الخبر فاعلموه أنه لا أصل للخبر • فقال للأحوص من أعلمك بهذا • قال سراقة • قال وأين هو • قال في منزلي . فأرسل اليه من أتاه به قال • أنت أخبرته عن الخارجة قال ما فعلت أصلح الله الامير • قال له الأحوص أتكذّبني بين يدي الأمير • قال خالد ويحك أصدقني • قال نعم أخرجنا في هذا البرد وقد ظاهر الحر والور ونحن في أطمارنا هذه فأحببت أن أرده فقال له خالد ويحك وهذا مما يتلاعب به •• وسراقة هذا هو القائل

قالوا سراقةُ عِنّينٌ فقلت لهم ... أللهُ يعلمُ أني غيرُ عِنّينِ

فان ظننتم بيَ الشيَّ الذي زعموا ... فقرّبوني من بنت ابن ياسين

وذكروا . أن شبيب بن يزيد الخارجي مرّ بغلام مستنقع في الفرات فقال له ياغلام اخرج اني أسألك فعرفه الغلام فقال له اني أخاف أفآمن انا اذا خرجت حتى البس ثيابي • قال نعم . فخرج وقال والله لا ألبسها اليوم • فضحك شبيب وقال خدعتني ورب الكعبة ووكل به رجلا من أصحابه يحفظه أن لا يصيبه أحد بمكروه •• قال وكان رجل من الخوارج يقول

فمنا يزيدُ والبطينُ وقعنبٌ ... ومنّا أميرُ المؤمنين شبيبُ

وسار البيت حتى سمعه عبد الملك بن مروان وقد أتي بصاحب قائله وقيل به • • • فقعد بين يديه قال أنت القائل * ومنا أمير المؤمنين شبيب *

قال لم أقل هكذا يا أمير المؤمنين انما قلت * ومنا أمير المؤمنين شبيب *

فضحك عبد الملك وأمر بتخلية سبيله فتخلص بدهائه وفطنته لازالة الاعراب من الرفع الي النصب .. وزعموا أن عمرو بن معدى كرب هجم فى بعض غاراته على شابة جميلة متفردة وأخذها فلما أمعن بها بكت فقال . ما يبكيك ، قالت . أبكي لفراقي بنات عمي هن مثلي فى الجمال وأفضل مني خرجت معهن فانقطعنا عن الحي . قال . وأين هن ، قالت . خلف ذلك الجبل ووددت اذ أخذتني انك أخذتهن معي فامض الى الموضع الذى وصفته ، فمضى الي هنالك فما شعر بشيء حتى هجم على فارس شاك فى السلاح فعرض عليه المصارعة فصرعه الفارس ثم عرض عليه ضروبا من المناوشة فغلبه الفارس فى كلها فسأله عمرو عن اسمه فاذا هو ربيعة بن مكدّم الكناني فاستنقذ الجارية .. وعن عطاء ابن مخارق بن عمار ومعن بن رائدة تاقيا رجلا ببلاد الشرك ومعه جارية لم يريا أحسن منها شابا وجمالا فصاحا به خل عنها ومعه قوس فرمى بها وهابا الاقدام عليه ثم عاد ليرمي فانقطع وتره وسلم الجارية واسند فى جبل كان قريباً منه فابتدراه وأخذا الجارية وكان فى أذنها قرط فيه درّة فانتزعاه من أذنها فقالت وما قدر هذه لو رأيتما درتين معه فى قلنسوته وفى القلنسوة وتر قد أعدّه واسيه من الدهش فلما سمع قول المرأة ذكر الوتر فأخذه وعقده فى قوسه فولّيا ليس لهما همّة الّا النجاء وخليا عن الجارية . وعن الهيثم قال كان الحجاج حسوداً لا يتمّ له صنيعة حتى يفسدها فوجه عمارة بن تميم اللخمي الي عبد الرحمن بن محمد بن الاشعث فظفر به وصنع ما صنع ورجع الى الحجاج بالفتح ولم ير منه ما أحب وكره مسايرته وكان عاقلا رفيقاً فجعل يرفق به ويقول أيها الأمير أشرف العرب أنت من شرفته شرف ومن وضعته اتضع وما ينكر ذلك لك مع رفقك ويمنك ومشورتك ورأيك وما كان هذا كله الا بصنع الله وتدبيرك وليس أحد يشكر لذلك مني ومن ابن الأشعث وما خطر حتى عزم الحجاج على المسير الي عبد الملك فأخرج عمارة معه وعمارة يومئذ على أهل فلسطين أمير فلم يزل يلاطف بالحجاج فى مسيره ويعظمه حتى قدموا على عبد الملك فلما قامت الخطباء بين يديه واثنت على الحجاج قام عمارة فقال يا أمير المؤمنين سل الحجاج عن طاعتي ومناصحتي وبلائي قال الحجاج يا أمير المؤمنين صنع وصنع ومن بأسه ونجدته وعفافه كذا وكذا وهو أيمن الناس نقيبة

وأعلمهم بتدبير وسياسة ولم يُبق فى الثناء عليه غاية ، فقال عمارة : قد رضيت يا أمير المؤمنين ، قال نعم فرضى الله عنك حتى قالها ثلاثا فى كلها يقول قد رضيت ، قال عمارة فلا رضى الله عن الحجاج يا أمير المؤمنين ولا حفظه ولا عافاه فهو والله السيئ التدبير الذي قد أفسد عليك أهل العراق وألب الناس عليك وما أتيت إلا من قبله ومن قلة عقله وضعف رأيه وقلة بصره بالسياسة فلك والله أمثالها ان لم تعزله . فقال الحجاج مه يا عمارة ، فقال لا مه ولا كرامة كل امرأة له طالق وكل مملوك له حر ان سار تحت راية الحجاج ابداً ، قال ابى أعلم أنه ما خرج هذا منك الا عن معتبة ولك عندي العتبى وأرسل اليه ارجع اليه . فقال ما كنت أظن ان عقلك على هذا أرجع اليه بعد الذى كان من طعنى عليه وقولي عند أمير المؤمنين ما قلت فيه لا ولا كرامة

﴿ ضده ﴾

قيل فى المثل ، هو أحمق من عجل وهو عجل بن لجيم ، وذلك انه قيل له ما سمّيت فرسك ففقأ عينه وقال سميته الأعور فقال الشاعر فيه

رَمتنى بنو عِجْلٍ بداءِ أبيهمُ وأيُّ امرىءٍ فى النَّاسِ أحمقُ من عجلِ
أليسَ أبوهمْ عارَ عينَ جوادِهِ فصارتْ بهِ الأمثالُ تُضربُ فى الجهلِ

وقيل هو أحمق من هبنّقة وبلغ من حمقه انه ضلّ له بعير فجعل ينادي من وجد بعيرى فهو له ، فقيل له ولِمَ تنشده قال وأين حلاوة الظفر والوجدان ، واختصمت اليه الطفاوة وبنو راسب في رجل ادّعى هؤلاء وهؤلاء فيه فقالوا قد رضينا بحكم أول طالع يطلع علينا فطلع عليهم هبنّقة فلما رأوه قالوا انا لله من طلع علينا فلما دنا قصوا عليه القصة فقال هبنقة الحكم فى هذا بين ان يذهب به الى نهر البصرة فيلقى فيه فان كان راسبياً رسب وان كان طفاوياً طفا وقال رجل لا بد أن أكون من أحد هذين الحيّين ولا حاجة لي في الديوان وقيل هو أحمق من دُغة وهي مارية بنت معنج تزوجت فى بنى العنبر وهي صغيرة فلما ضربها المخاض ظنت انها تريد الخلاء فخرجت

تشرّر فصاح الولد فجاءت مسرعة فصاحت يا أمّاه هل ينفتح الحجر فاه قالت نعم ويدعو أباه فسُمّيت ذو العمر بذلك فقيل هو الحمراء ،، وقيل هو أحمق من باقل وكان اشترى عنزاً باحد عشر درهما فسئل بكم اشتريت العنز ففتح كفيه وفرق أصابعه وأخرج لسانه يريد أحد عشر درهما فعيّروه بذلك قال الشاعر

يلومونَ فى حُمْقهِ باقلاً ... كأنَّ الحماقةَ لمْ تُخلَقِ

فلا تكثِروا العذلَ فى عيّهِ ... فللصمتُ أجملُ بالأموَقِ

خروجُ اللسانِ وفتحِ البنانِ ... أحبُّ الينا من المَنطِقِ

ومما قيل فيه أيضا من الشعر

ياثابتَ العقلِ كمْ عاينتَ ذا حُمُقٍ ... الرّزقُ أغرى بهِ من لازمِ الجرَبِ

فإنني واحدٌ في الناسِ واحدةً ... الرّزقُ أروغُ شيءٍ عن ذوي الأدبِ

وخصلةٌ ليسَ فيها من يخالفني ... الرّزقُ والنوكُ مقرونانِ في سبَبِ

وقال آخر

أرى زمناً نوكاهُ أسعدُ خلقهِ ... على أنهُ يشقى بهِ كلُّ عاقلِ

علا فوقَه رجلاه والرّأسُ تحتَه ... فكبَّ الأعالي بارتفاعِ الأسافلِ

وقال آخر

كمْ من قويٍ قويٍّ في تقلّبهِ ... مهذّبِ اللبِّ عنه الرّزقُ منحرفُ

ومن ضعيفٍ ضعيفِ العقلِ مختلطٍ ... كأنّه من خليجِ البحرِ يغترفُ

محاسن المفاخرة

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم . أنا سيد ولد آدم ولا فخر .. وسمع رسول الله صلى الله عليه وسلم رجلا ينشد بيتاً من شعر

إني امرؤٌ حِمْيَرِيٌّ حين تَنْسُبُني ‏ لا مِنْ رَبيعةَ آبائي ولا مُضَرِ

فقال له . ذلك ألأم لك وأبعد عن الله ورسوله .. وقال بعضهم

إذا مُضَرُ الحَمْراءُ كانتْ أُرُومتي ‏ وقامَ بِنَصْري خازِمٌ وابنُ خازِمِ

عطَسْتُ بأَنفٍ شامِخٍ وتناوَلَتْ ‏ يَدايَ الثُّرَيَّا قاعداً غيرَ قائمِ

شعيب بن ابراهيم عن علي بن زيد عن عبد الله بن الحارث عن عبد المطلب بن ربيعة قال .. مرّ العباس بن عبد المطلب رضي الله عنه بنفر من قريش وهم يقولون انما محمد في أهله مثل نخلة نبتت في كناسة فبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فوجد منه فخرج حتى قام فيهم خطيباً ثم قال أيها الناس من أنا . قالوا أنت رسول الله . قال أنا محمد بن عبد الله بن عبد المطلب بن هاشم ان الله عزّ وجلّ خلق خلقه فجعلني من خير خلقه ثم جعل الخلق الذي انا منهم فريقين فجعلني من خير الفريقين من خلقه ثم جعل الخلق الذي أنا منهم شعوباً فجعلني في خيرهم شعباً ثم جعلهم بيوتاً فجعلني من خيرهم بيتاً فأنا خيركم بيتاً وخيركم والداً واني ... عن ... عن شيبه ثم قال قم يا سعد فقام عن يساره فقال يقرّب امرؤ منكم عماً مثل هذا وخالا مثل هذا . وحدثنا ... بن الحسن ... عن اسماعيل بن ... العسكري عن أبان بن عثمان عن عكرمة عن ابن عباس رحمهما الله تعالى عن علي بن أبي طالب كرم الله وجهه قال لما أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يعرض نفسه على القبائل خرج وأنا معه وابو بكر وكان ... بأنساب العرب فوقفنا على مجلس من مجالس العرب عليهم الوقار والسكينة فتقدم ابو بكر فسلم عليهم فردّوا ... فقال ممن القوم فقالوا من ربيعة . قال من هامتها أم لهازمها قالوا بل من هامتها ... ...

قالوا ذهل ، قال ذهل الأكبر أم ذهل الأصغر ، قالوا بل الأكبر ، قال فمنكم عوف الذي كان يقال لا حرّ بوادي عوف ، قالوا لا قال أفمنكم بسطام بن قيس صاحب اللواء ومنتهى الأحياء ، قالوا لا ، قال أفمنكم جسّاس بن مرة حامي الذمار ومانع الجار ، قالوا لا ، قال أفمنكم المزدلف صاحب العمامة قالوا لا ، قال أفأنتم أخوال الملوك من كندة ، قالوا لا ، قال أفأنتم أصهار الملوك من لخم قالوا لا ، قال فلستم من ذهل الأكبر اذاً أنتم من ذهل الأصغر • فقام اليه اعرابي غلام حين بقل وجهه فأخذ بزمام ناقته ورسول الله صلى الله عليه وسلم واقف على ناقته يسمع مخاطبته ، فقال

لنا على سائلنا أن نسأله والعبء لا تعرفه أو تحمله

يا هذا انك قد سألتنا أيّ مسألة شئت فلم نكتمك شيئاً فأخبرنا ممن أنت ، فقال ابو بكر من قريش ، فقال بخ بخ أهل الشرف والرئاسة فأخبرني من أي قريش أنت ، قال من بني تيم بن مرة ، قال أفمنكم قصيّ بن كلاب الذي جمّع القبائل من فهر فكان يقال له مجمّع ، قال ابو بكر لا ، قال أفمنكم هاشم الذي يقول فيه الشاعر

عَمْرو العلى هشمَ الثَّريدَ لقومه ورجالُ مكَّةَ مسنتون عجاف

قال أبو بكر لا قال أفمنكم شيبة الحمد الذي كان وجهه يضيء في الليلة الداجية مطعم الطير ، قال لا قال أفمن المفيضين بالناس أنت ، قال لا ، قال أفمن أهل الرفادة أنت ، قال لا ، قال أفمن أهل السقاية أنت قال لا ، قال أفمن أهل الحجابة أنت ، قال لا ، قال أما والله لو شئت لأخبرتك لست من أشراف قريش • فاجتذب أبو بكر زمام ناقته منه كهيئة المغضب ،، فقال الاعرابي

صادَفَ دَرَّ السيلِ دَرٌّ يدفعه في هضبة ترفعه وتضعه

فتبسم رسول الله صلى الله عليه وسلم قال عليّ كرم الله وجهه فقلت يا أبا بكر لقد وقعت من هذا الاعرابي على باقعة قال أجل يا أبا حسن ما من طامة الا وفوقها طامّة وان البلاء موكل بالمنطق قال وأتى الحسن بن عليّ رضي الله عنهما معاوية بن أبي سفيان وقد سبقه ابن عباس رحمه الله فأمر معاويه بإنزاله فبينما معاوية مع عمرو بن

العاص ومروان بن الحكم وزياد المدّعى الى ابي سفيان يتحاورون فى قديمهم وحديثهم إذ قال معاوية : قد أكثرتم الفخر ولو حضركم الحسن بن عليّ وعبد الله بن عباس لقصّروا من أعنتكم . فقال زياد : وكيف ذاك يا أمير المؤمنين وما يقومان لمروان بن الحكم فى غرب منطقه ولا لنا فى بوادخنا فابعث اليهما حتى نسمع كلامهما . فقال معاوية لعمرو ما تقول فى هذا الليل فابعث اليهما فى غد فبعث معاوية بابنه يزيد اليهما فأتيا فدخلا عليه وبدأ معاوية فقال انى أجلكما وأرفع قدركما عن المسامرة بالليل ولا سيما أنت يا أبا محمد فانك ابن رسول الله صلى الله عليه وسلم وسيد شباب أهل الجنة فشكر له فلما استويا فى مجلسهما علم عمرو ان الحدّة ستقع به فقال . والله لا بدّ أن أتكلم فان قهرتُ فسبيل ذلك وان قَهرتُ أكون قد ابتدأت فقال يا حسن إنا قد تفاوضنا فقلنا ان رجال بني أمية أصبر على اللقاء وأمضى فى الوغاء وأوفى عهداً وأكرم خيما وأمنع لما وراء ظهورهم من بنى عبد المطلب ثم تكلم مروان بن الحكم فقال : كيف لا يكون ذلك وقد قارعناهم فغلبناهم وحاربناهم فملكناهم فان شئنا عفونا وان شئنا بطشنا . ثم تكلم زياد فقال ماينبغي لهم أن ينكروا الفضل لأهله ويجحدوا الخير فى مظانه نحن الحملة فى الحروب ولنا الفضل على سائر الناس قديماً وحديثاً فتكلم الحسن ابن عليّ رضى الله عنه فقال ليس من الحزم أن يصمت الرجل عند إيراد الحجة ولكن من الإفك أن ينطق الرجل بالخنا ويصوّر الكذب فى صورة الحق يا عمرو افتخاراً بالكذب وجراءة على الافك ما زلت أعرف مثالبك الخبيثة أبديها مرة بعد مرة أتذكر مصابيح الدجى وأعلام الهدى وفرسان الطراد وحتوف الأقران وأبناء الطعان ورب السيفين ... ... أنكم أحمى ... وراء ظهوركم وقد ... ذلك ... حتى ... الأبطال ... الأقران ... وعرككم ... وقمت ... على ... وفرت عن ... وصار ... حرب ... رجالكم ... صلى الله عليه وسلم ... وكنتم ... فى ... اليوم ... من بنى عبد المطلب ... وأما ... ... لا ... فى قريش ... ما ... ... فى ... ...

فلما رأيت الصرعام قد دَمِيت براثنه واشتبكت أنيابه كنت كما قال الأول

تَصبْصَن ثمَّ رَمَيْنَ بالأَبعارِ

فلما منّ عليك بالعفو وأرخى خناقك بعد ما ضاق عليك وغصصت بريقك لا تقعد منّا مقعد أهل الشكر ولكن تساوينا وتجارينا ونحن من لا يدركنا عار ولا يلحقنا خزاية ثم التفت إلى زياد وقال وما أنت يا زياد وقريش ما أعرف لك فيها أديماً صحيحاً ولا فرعاً نابتاً ولا قديماً ثابتاً ولا منبتاً كريماً كانت أمك بغياً يتداولها رجالات قريش وفجار العرب فلما وُلدتَ لم تعرف لك العرب والداً فادّعاك هذا ــ يعني معاوية ــ فما لك والافتخار تكفيك سمية ويكفينا رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبي سيد المؤمنين الذي لم يرتد على عقبيه وعمّاي حمزة سيد الشهداء وجعفر الطيار في الجنة وأنا وأخي سيدا شباب أهل الجنة ، ثم التفت الى ابن عباس فقال انما هي بغاث الطير انقض عليها البازي، فأراد ابن عباس أن يتكلم فأقسم عليه معاوية أن يكفّ فكفّ ثم خرجا فقال معاويه أجاد عمرو الكلام أوّلاً لولا أن حجّته دحضت وقد تكلم مروان لولا أنه نكص ثم التفت الى زياد فقال ما دعاك الى محاورته ما كنت إلا كالحجل في كفّ العقاب . فقال عمرو أفلا رميت من ورائنا . قال معاوية إذاً كنت شريككم في الجهل أفأفاخر رجلا رسول الله صلى الله عليه وسلم جدّه وهو سيد من مضى ومن بقي وأمّه فاطمة سيدة نساء العالمين ثم قال لهم والله لئن سمع أهل الشام ذلك انه للسوأة السوآء فقال عمرو لقد أبقى عليك ولكنه طحن مروان وزياداً طحن الرحا بثفالها ووطئهما وطء البازل القراد بمنسمه فقال زياد والله لقد فعل ولكنك يا معاويه تريد الاغراء بيننا وبينهم لاجرم والله لا شهدت مجلساً يكونان فيه إلا كنتَ معهما على من فاخرهما فخلا ابن عباس بالحسن رضي الله عنه فقبّل بين عينيه وقال افديك يا ابن عمي والله ما زال بحرك يزخر وانت تصول حتى شفيتني من أولاد البغايا ثم ان الحسن رضي الله عنه غاب أياماً ثم رجع حتى دخل على معاويه وعنده عبد الله بن الزبير فقال معاوية يا أبا محمد اني اظنك تعباً نصباً فأت المنزل فأرح نفسك فقام الحسن رضي الله عنه فخرج

فقال معاوية لعبد الله بن الزبير لو افتخرت على الحسن فأنت ابن حواري رسول الله صلى الله عليه وسلم وابن عمته ولأبيك في الاسلام نصيب وافر . فقال ابن الزبير : انا له ثم جعل ليلته يطلب الحجج فلما أصبح دخل على معاوية وجاء الحسن رضي الله عنه فحياه معاوية وسأله عن مبيته فقال خير مبيت وأكرم مستفاض فلما استوى في مجلسه قال له ابن الزبير . لولا انك خوار في الحروب غير مقدام ماسلمت لمعاوية الأمر وكنت لا تحتاج الى اختراق السهوب وقطع المراحل والمفاوز تطلب معروفه وتقوم ببابه وكنت حريا أن لا تفعل ذلك وأنت ابن علي في بأسه ونجدته فما أدري ما الذي حملك على ذلك أضعف حال أم وهن نحيزة ما أظن لك مخرجا من هذين الحالين اما والله لو استجمع لي ما استجمع لك لعلمت اني ابن الزبير واني لا أنكص عن الأبطال وكيف لا أكون كذلك وجدتي صفية بنت عبد المطلب وأبي الزبير حواري رسول الله صلى الله عليه وسلم وأشد الناس بأسا وأكرمهم حسبا في الجاهلية وأطوعهم لرسول الله صلى الله عليه وسلم فالتفت الحسن اليه وقال أما والله لولا ان بني أمية تنسبني الى العجز عن المقال لكففت عنك تهاونا بك ولكن سأبين ذلك لتعلم اني لست بالكليل اللسان أاياي تعير وعلي تفتخر ولم تك لجدك في الجاهلية مكرمة الا تزوجه عمتي صفية بنت عبد المطلب فبذخ بها على جميع العرب وشرف بمكانها فكيف تفاخر من في القلادة واسطتها وفي الأشراف سادتها نحن أكرم أهل الأرض زندا لنا الشرف الباقي والكرم العالي ثم تزعم أني سلمت الأمر لمعاوية فكيف يكون ويحك كذلك وانا ابن أشجع العرب وولدتني فاطمة سيدة النساء وخيرة الامهات لم أفعل ويحك ذلك جبنا ولا فرقا ولكنه [illegible] وهو [illegible] [illegible] [illegible] المؤيد [illegible] مصر [illegible] [illegible] [illegible] وكيف [illegible] [illegible] قول وقد [illegible] امير المؤمنين [illegible] [illegible] [illegible] على [illegible] و [illegible] من [illegible] رسول الله صلى [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] وقد [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible]

تسول وأنت تخدع النساء ثم تفتخر على بني الأسماء لم تزل الأقاويل مامقبولة وعليك وعلى أبيك مردودة دخل الناس في دين جدّي طائعين وكارهين ثم بايعوا أمير المؤمنين صلوات الله عليه فسار الي أبيك وطلحة حين نكثا البيعة وخدعا عرس رسول الله صلى الله عليه وسلم فقتلا عند نكثهما بيعته واني لك أسيراً تتخصص بدسك فاشدته الرحم الا يقتلك فعفى عنك فأنت عتاقه أبي وانا سيدك وأبي سيد أبيك فدق وبال أمرك

فقال ابن الزبير اعذرنا يا أبا محمد فانما حملني على محاورتك هذا واشتهى الاغراء بيننا فهلاّ إذ جهلتُ أمسكتَ عني فانكم أهل بيت سجيتكم الحلم ، قال الحسن ، يامعاوية انظر أأكع عن محاورة أحد ويحك أتدري من أى شجرة أنا والى من أنتمي انته قبل أن اسمك بسمة يتحدث بها الركبان في آفاق البلدان ، قال ابن الزبير هو لذلك أهل فقال معاوية أما انه قد شفا بلابل صدري منك ورمى مقتلك فبقيت في يده كالحجل في كف البازي يتلاعب بك كيف شاء فلا أراك تفتخر على أحد بعدها ، وذكروا أن الحسن بن علي صلوات الله عليهما دخل على معاوية فقال في كلام جرى من معاوية في ذلك

فيم الكلام وقد سبقتُ مُبرّزاً سبق الجواد من المدى والمقوس

فقال معاوية إيّاى تعني والله لآتينك بما تعرفه قلبك ولا ينكره جلساؤك انا ابن بطحاء مكة انا ابن أجودها جوداً وأكرمها أبوّة وجدوداً وأوفاها عهوداً انا ابن من ساد قريشاً ناشئاً فقال الحسن أعلى تفتخر يا معاوية وانا ابن ماء السماء وعروق الثرى وابن من ساد أهل الدنيا بالحسب الثاقب والشرف الفائق والقديم السابق [illegible] وهل لك أب كأبي أو قديم كقديمي [illegible] فقل أقول لا تصديقاً لقولك ، فقال الحسن [illegible]

الحق أبلج لا تزيغ سبيله والحق تعرفه ذوو الألباب

[illegible] من قريش [illegible] أحد [illegible]

باكرم الناس أباً وأمًّا وعمًّا وعمّة وخالا وخالة وجدًّا وجدّة ، فقام مالك بن عجلان وأومى الى الحسن بن عليّ صلوات الله عليه فقال : هو ذا أبوه عليّ بن أبي طالب وأمه فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم وعمه جعفر الطيار وعمته أم هانئ بنت أبي طالب وخاله القاسم بن رسول الله صلى الله عليه وسلم وخالته زينب بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم وجده رسول الله صلى الله عليه وسلم وجدّته خديجة بنت خويلد فسكت القوم ونهض الحسن فأقبل عمرو بن العاص على مالك فقال أحُبّ بني هاشم حملك على أن تكلمت بالباطل . فقال ابن عجلان ما قلت إلّا حقاً وما أحد من الناس يطلب مرضاة مخلوق بمعصية الخالق إلّا لم يُعط أمنيته في دنياه وخُتم له بالشقاء في آخرته . بنو هاشم أنضركم عوداً وأوراكم زنداً أكذلك هو يا معاوية قال اللهم نعم . قال فاستأذن الحسن بن عليّ رضي الله عنه على معاوية وعنده عبد الله بن جعفر وعمرو بن العاص فأذن له فلما اقبل قال عمرو قد جاءكم الفهّه العيّ الذي كان بين لحييه عقلة ، فقال عبد الله بن جعفر مه والله لقد رمت صخرة ململمة تحط عنها السيول وتقصر دونها الوعول لا تبلغها السهام ... والحسن إيّاك ... لا تزال راتعاً في لحم رجل من قريش ولقد رميت فما برح سهمك وقدحت فما أورى زندك فسمع الحسن الكلام فلما أخذ مجلسه قال يا معاوية لا يزال عندك عبد يرتع في لحوم الناس أما والله لو شئت ليكوننّ بيننا ما تتفاقم فيه الأمور وتحرج منه الصدور ثم أنشأ يقول

أتأمرُ يا معاويَ عبد سهمٍ … بشتمي والملا منا شهودُ
إذا أخذت مجالسها قريشٌ … فقد علمت قريشٌ ما تريدُ
أأنت تظلّ تشتمني سفاهاً … [illegible]
[illegible]
ولا جدٌّ كجدّي يا ابن حربٍ … رسول الله [illegible]
ولا أمٌّ كأمّي من قريشٍ … [illegible]

فما مثلي تهكّمَ يا ابنَ حربٍ ولا مثلي ينهنهُهُ الوَعيد

فمهلاً لا تهِجْ مِنّا أُمورًا يَشيب لِهَوْلِها الطِفل الوليد

وذكروا ان عمرو بن العاص قال لمعاوية ابعث الي الحسن بن علي فأمره أن يخطب على المنبر فلعله يحصر فيكون في ذلك ما نعيّره به فبعث اليه معاوية فأمره أن يخطب فصعد المنبر وقد اجتمع الناس فحمد الله وأثنى عليه ثم قال أيها الناس من عرفني فقد عرفني ومن لم يعرفني فأنا الحسن بن عليّ بن أبي طالب ابن عمّ النبي أنا ابن البشير النذير السراج المنير انا ابن من بعثه الله رحمة للعالمين انا ابن من بُعث الى الجن والانس انا ابن مستجاب الدعوة انا ابن الشفيع المطاع انا ابن اوّل من ينفض رأسه من التراب انا ابن اول من يقرع باب الجنة انا ابن من قاتلت معه الملائكة ونصر بالرعب من مسيرة شهر وامعن في هذا الباب ولم يزل حتى أظلمت الأرض على معاوية ، فقال ياحسن قد كنت ترجو ان تكون خليفة ولست هناك ، قال الحسن انما الخليفة من سار بسيرة رسول الله صلى الله عليه وسلم وعمل بطاعته وليس الخليفة من دان بالجور وعطل السنن واتخذ الدنيا اباً واماً ولكن ذلك ملك أصاب ملكا يمتع به قليلا ويعذّب بعده طويلا وكان قد انقطع عنه واستعجل لذته وبقيت عليه التبعه فكان كما قال الله تعالى ﴿ وإنْ أدْرِي لَعَلَّه فتنة لكم ومَتاع الى حِين ﴾ ثم انصرف فقال معاويه لعمرو ما أردت إلا هتكي ما كان اهل الشام يرون احداً مثلي حتى سمعوا من الحسن ماسمعوا ،، قال وقدم الحسن بن عليّ رضي الله عنه على معاوية فلما دخل عليه وجد عنده عمرو بن العاص ومروان بن الحكم والمغيرة بن شعبة وصناديد قومه ووجوه اهل بيته ووجوه أهل اليمن واهل الشام فلما نظر اليه معاويه اقعده على سريره واقبل عليه بوجهه يريه السرور به وبقدومه فحسده مروان وقدكان معاوية قال لهم لا تحاوروا هذين الرجلين فقد قلدا كم العار عند اهل الشام — يعني الحسن بن عليّ رضي الله عنه وعبد الله بن عباس — فقال مروان يا حسن لولا حلم امير المؤمنين وما قد بناه له آباؤه الكرام من المجد والعلا ما أقعدك هذا المقعد

ولفتلك وانت لهذا مستحق نقودك الجماهير الينا فلما قاومتنا وعلمت ألا طاقة لك بفرسان أهل الشام وصناديد بني أمية أذعنت بالطاعة واحتجزت بالبيعة وبعثت تطلب الأمان أما والله لولا ذلك لأراق دمك ولعلمت انا نعطي السيوف حقها عند الوغى فاحمد الله إذ ابتلاك بمعاوية وعفى عنك بحلمه ثم صنع بك ما ترى ، فنظر اليه الحسن وقال ويلك يا مروان لقد تقلدت مقاليد العار في الحروب عند مشاهدتها والمخاذلة عند مخالطتها هبلتك أمك لنا الحجج البوالغ ولنا عليكم ان شكرتم النعم السوابغ ندعوكم الى النجاة وتدعوننا الى النار فشتان ما بين المنزلين تفتخر ببني أمية وتزعم انهم صبر في الحرب أسد عند اللقاء ثكلتك الثواكل اولئك البهاليل السادة والحماة الذادة والكرام القادة بنو عبد المطلب اما والله لقد رأيتهم أنت وجميع من في المجلس ما هالتهم الأهوال ولا حادوا عن الأبطال كالليوث الضارية الباسلة الحنقة فعندها وليت هاربا وأخذت أسيراً فقلدت قومك العار لأنك في الحروب خوار اتهريق دمي فهلاّ أهرقت دم من وثب على عثمان في الدار فذبحه كما يذبح الجمل وانت تثغو ثغاء النعجة وتنادي بالويل والثبور كالمرأة الوكعاء ما دفعت عنه بسهم ولا منعت دونه بحرب قد ارتعدت فرائصك وغشي بصرك واستغثت كما يستغيث العبد بربه فانجيتك من القتل ثم حعلت تحث على دمي وتحض على قتلي ولو رام ذلك معاوية معك لذبح كما ذبح ابن عفان وانت معه أقصر يداً واضيق باعاً وأجبن قلباً من أن تجسر على ذلك ثم تزعم اني ابتليت بحلم معاوية اما والله لهو اعرف بشأنه وأشكر لنا إذ وليناه هذا الأمر فمتى بدا له فلا يغضين جفنه على القذى معك فوالله لأعمّن أهل الشام بجيش يضيق فضاؤه ويستأصل فرسانه ثم لا ينفعك عند ذلك الروغان والهرب ولا تنفع تدريجك الكلام فنحن من لا يجهل آباؤنا الكرام القدماء الأكابر وفروعنا السادة الأخيار الأفاضل انطق ان كنت صادقاً فقال عمرو فنطق بالخنا وتنطق بالصدق ، ثم أنشأ يقول

قدْ يَضرِطُ العيرُ والمكواة تأخذه لا يضرِطُ العيرُ والمكواةُ في النار

ذق وبال أمرك يا مروان ، وأقبل عليه معاوية فقال قد نهيتك عن هذا الرجل

وأنت تأبى إلا انهماكاً فيما لا يعنيك أربع على نفسك فليس أبوه كأبيك ولا هو مثلك أنت ابن الطريد الشريد وهو ابن رسول الله صلى الله عليه وسلم الكريم ولكن رب باحث عن حتفه بظلفه فقال مروان ارم دون بيضتك وقم بحجة عشيرتك ثم قال لعمرو . لقد طعنك أبوه فوقيت نفسك بخصييك ومنها ثنيت أعنتك وقام مغضباً فقال معاوية لا تجار البحار فتغمرك ولا الجبال فتقهرك واسترح من الاعتذار ،، قال ولقي عمرو بن العاص الحسن بن علي عليهما السلام في الطواف فقال يا حسن ازعمت ان الدين لا يقوم إلّا بك وبأبيك فقد رأيت الله أقامه بمعاوية فجعله ثابتاً بعد ميله وبيّناً بعد خفائه أفيرضى الله قتل عثمان أم من الحق أن تدور بالبيت كما يدور الجمل بالطحين عليك ثياب كغرقئ البيض وانت قاتل عثمان والله انه لألمّ للشعث واسهل للوعث ان يوردك معاوية حياض أبيك ، فقال الحسن صلوات الله عليه إن لأهل النار علامات يُعرفون بها وهي الإلحاد في دين الله والموالاة لأعداء الله والإنحراف عن دين الله والله انك لتعلم ان علياً لم يتريث في الأمر ولم يشك في الله طرفة عين وايم الله لتنتهين يا ابن العاص أو لأقرعن قصّتك بقوارع وكلام وإيّاك والجراءة عليّ فانى من عرفت لست بضعيف المغمز ولا هش المشاشة ـ يعنى العظام ـ ولا مرئ المأكلة واني لمن قريش كأوسط القلادة معرق حسبي لا أدّعي لغير أبي وقد تحاكمت فيك رجال من قريش فغلب عليك الأمها حسباً وأعظمها لعنة فإيّاك عنى فانما أنت نجس ونحن أهل بيت الطهارة أذهب الله عنا الرجس وطهرنا تطهيرا. قال واجتمع الحسن بن علي صلوات الله عليهما وعمرو بن العاص فقال الحسن قد علمت قريش بأسرها اني منها في عز أرومتها لم اطبع على ضعف ولم أعكس على خسف اعرف بنسبي وأدّعى لأبي . فقال عمرو وقد علمت قريش انك ان أقلها عقلا وأكثرها جهلا وان فيك خصالا لو لم يكن فيك إلّا واحدة منها لشملك خزيها كما شمل البياض الحالك وأيم الله لئن لم تنته عما أراك تصنع لأكبسن لك حافة كجلد العائط اذا اغتاظت رحمها فما تحمل أرميك من خللها بأحر من وقع الأثافى أعرك منها أديمك عرك السلعة فانك طالما ركبت المنحدر ونزلت فى أعراض الوعر التماساً للفرقة وإرصاداً للفتنة ولن يزيدك الله فيها إلا فظاعة . فقال الحسن أما والله لو كنت تسمو بحسبك

وتعمل برأيك ما سلكت فج قصد ولا حملت راية مجد أما والله لو أطاعنا معاوية لجعلك بمنزلة العدوّ الكاشح فانه طال ما تأخر شأوك واستسر داؤك وطمح بك الرجا الى الغاية القصوى التى لا يورق بها عصنك ولا يخصر منها رعيك أما والله لتوشكن يا ابن العاص أن تقع بين لحيي ضرغام ولا يحيك منه الروغان اذا التقت حلقتا البطان ،، ابن المدبر عن أبيه عن الشعبى عن ابن عباس انه دخل المسجد وقد سار الحسين بن علىّ رضى الله عنه الى العراق فاذا هو بابن الزبير فى جماعة من قريش قد استعلاهم بالكلام فجاء ابن عباس فضرب بيده على عضد ابن الزبير وقال أصبحت والله كما قال الشاعر

يالكِ من قُنَّبَرةٍ بمَعمَرِ خَلَالَكِ الجوُّ فبيضي واصفري

ونقِّري ما شِئتِ أَنْ تُنقِّرِي قد ذهبَ الصيَّادُ عنكِ فابشري

لابُدَّ من أَخذِكِ يوماً فاصبرِي

خلت الحجاز من الحسين بن علىّ واقبلت تهدر فى جوانبها فغضب ابن الزبير وقال والله انك لترى انك أحق بهذا من غيرك ، فقال ابن عباس انما يرى ذلك من كان فى حال شك وانا من ذلك على يقين ، قال وبأيّ شئ استحق عندك انك بهذا الأمر أحق مني ، فقال ابن عباس لأنا أحق ممن يُدلّ بحقه وبأيّ شئ استحق عندك انك أحق بها من سائر العرب إلاّ بنا ، فقال ابن الزبير استحق عندى انى احق بها منكم لشرفي عليكم قديماً وحديثاً ، فقال أنت أشرف أم من شرفت به ، فقال ان من شرفت به زادني شرفا الى شرفي ، قال فمنى الزيادة أم منك فتبسم ابن عباس فقال ابن الزبير يا ابن عباس دعنى من لسانك هذا بذى تقلبه كيف شئت وانكم بنى هاشم لا تحبونا أبداً قال ابن عباس صدقت نحن أهل بيت مع الله لا نحب من أبغضه الله قال يا ابن عباس أما ينبغي لك أن تصفح عن كلمة واحدة قال انما نصفح عمن أقر فاما من هرّ فلا والفضل لاهل الفضل ، قال ابن الزبير وأين الفضل قال عندنا أهل البيت لا تصرفه عن أهله فتظلم ولا تضعه فى غير أهله فتندم قال ابن الزبير أفلست من أهله قال بلى ان نبذت الحسد ولزمت الجدد وانقضى حديثهما ، ، ، ،

ابن عباس انه قال قدمت على معاوية وقد قعد على سريره وجمع من بني أمية ووفود العرب عنده فدخلت وسلمت وقعدت فقال : يا ابن عباس من الناس ، فقلت : نحن ، قال : فاذا غبتم ، قلت . فلا أحد ، قال : فانك ترى أني قعدت هذا المقعد بكم ، قلت : نعم فبمن قعدت ، قال بمن كان مثل حرب بن أمية ، قلت . من كفأ عليه اناءه واجاره رداءه ، قال فغضب وقال . أرحني من شخصك شهراً فقد أمرت لك بصلتك وأضعفتها لك . فلما خرج ابن عباس قال لخاصته ألا تسألوني ما الذي أغضب معاوية ، قالوا بلى فقل بفضلك . قال : إن أباه حرباً لم يلق أحداً من رؤساء قريش في عقبة ولا مضيق إلّا تقدمه حتى يجوزه فلقيه يوماً رجل من تميم في عقبة فتقدمه التميمي فقال حرب انا حرب بن أمية فلم يلتفت اليه وجازه فقال موعدك مكة فخافه التميمي ثم أراد دخول مكة فقال من يجيرني من حرب بن أمية فقيل له عبد المطّلب فقال عبد المطلب أجلّ قدراً من أن يجير على حرب فأتى ليلاً الى دار الزبير بن عبد المطلب فدقّ بابه فقال الزبير لعبده قد جاءنا رجل إمّا طالب قرى وإما مستجير وقد أعطاه الي ما يريد ثم خرج الزبير اليه ،، فقال التميمي

لاقيتُ حرباً في الثنيةِ مقبلاً والصبحُ أبلجَ ضوؤه للسَّاري

فدعا بصوتٍ واكتنى ليروعني وسما عليَّ سموَّ ليث ضاري

فتركتهُ كالكلبِ ينبحُ ظلَّهُ وأتيتُ قرمَ معالمٍ وفخارِ

ليثاً هزبراً يستجارُ بعزّهِ رحبَ المباءةِ مكرماً للجارِ

ولقد حلفتُ بمكَّةٍ وبزمزمٍ والبيتِ ذي الأحجارِ والأستار

إنَّ الزبيرَ لمانعي من خوفهِ ما كبَّرَ الحجَّاجُ في الأمصارِ

فقدّمه الزبير وأجره ودخل به المسجد فرآه حرب فقام اليه واطمه فحمل عليه الزبير بالسيف فولّى هارباً يعدو حتى دخل دار عبد المطلب فقال أجرني من الزبير فأكفأ عليه جفنة كان هاشم يطعم فيها الناس فبقي تحتها ساعة ثم قال له اخرج قال وكيف

أخرج وعلى الباب تسعة من بنيك قد احتبوا سيوفهم فألقى عليه رداء كان كساه إياه سيف بن ذي يزن له طرّتان خضراوان فخرج عليهم فعلموا أنه قد أجاره عبدالمطلب فتفرقوا عنه ،، قال وحضر مجلس معاوية عبد الله بن جعفر فقال عمرو بن العاص قد جاءكم رجل كثير الخلوات بالتمني والطربات بالتغني محب للقيان كثير مزاحه شديد طماحه صدود عن السنان ظاهر الطيش رخي العيش أخاذ بالسلف منفاق بالسرف فقال ابن عباس كذبت والله أنت وليس كما ذكرت ولكنه لله ذكور ولنعمائه شكور وعن الخنا زجور جواد كريم سيد حليم اذا رمى أصاب واذا سئل أجاب غير حصر ولا هياب ولا عيّابة مغتاب حل من قريش في كريم النصاب كالهزبر الضرغام الجريء المقدام في الحسب القمقام ليس بدعيّ ولا دنيّ لا كمن اختصم فيه من قريش شرارها فغلب عليه جزّارها فاصبح الأمها حسبا وأدناها منصبا ينوءمنها بالدليل ويأوي منها الى القليل مذبذب بين الحيين كالساقط بين المهدين لا المضطر فيهم عرفوه ولا الطامع عنهم فقدوه فليت شعري بأي قدر تتعرض للرجال وبأي حسب تعتد به عندالنضال أبنفسك وأنت الوغد اللئيم والنكد الذميم والوشيع الزنيم أم بمن تنمى اليهم وهم أهل السفه والطيش والدناءة في قريش لا بشرف في الجاهلية شهروا ولا بقديم في الاسلام ذكروا جعلت تتكلم بغير لسانك وتنطق بالزور في غير أقرانك والله لكان أبين للفضل وأبعد للعدوان أن ينزلك معاوية منزلة البعيد السحيق فانه طالما سلس داؤك وطمح بك رجاؤك الى الغاية القصوى التي لم يخضر فيها رعيك ولم يورق فيها غصنك فقال عبد الله بن جعفر اقسمت عليك لما أمسكت فانك عني ناضلت ولي فاوضت فقال ابن عباس دعني والعبد فانه قد يهدر خالياً ولا يجد ملاحياً وقد أتيح له ضيغم شرس للأقران مفترس وللأرواح مختلس فقال ابن العاص دعني يا أمير المؤمنين انتصف منه فوالله ما ترك شيئاً قال ابن عباس دعه فلا يبقي المبقي إلا على نفسه فوالله إن قلبي لشديد وإن جوابي عتيد واني لكما قال نابغة بني ذبيان

وقدماً قد قرعتُ وقارعوني فما نزر الكلامُ ولا شجاني

يَصدُّ الشاعِرُ العرّافُ عني ... صدُودَ البِكْرِ عنْ قرْمٍ هِجانِ

قال ،، وبلغ عائمة بنت عاشم[1] تلب معاوية وعمرو بن العاص لبنى هاشم فقالت لأهل مكة : أيها الناس ان بني هاشم سادت فجادت ومَلَكت ومُلِّكت وفضلت وفُضّلت واصطفت واصطفيت ليس فيها كدر عيب ولا افك ريب ولا خسروا طاغين ولا حاربين ولا نادمين ولا هم من المغضوب عليهم ولا الضالين ان بنى هاشم أطول الناس باعا وأمجد الناس أصلا وأعظم الناس حلماً وأكثر الناس علماً وعطاء منا عبد مناف المؤثر ،، وفيا يقول الشاعر

كانتْ قُرَيشٌ بيضةٌ فتفلقتْ ... فالمُحُّ خالِصها لعبْدِ مَنافِ

وولده هاشم الذي هشم الثريد لقومه ،، وفيه يقول الشاعر

عمْرُو العلا هشَمَ الثرِيدلقوْمهِ ... ورِجالُ مكّةَ مُسنِتون عِجافْ

ومنا عبد المطلب الذي سُقينا به الغيث . وفيه يقول أبو طالب

ونحن سُنيَّ المحلِ قام شَفيعنا ... بمكّةَ يَدْعو والمياهُ تغورْ

وابنه أبو طالب عظيم قريش . وفيه يقول الشاعر

آتيته ملَكاً فقامَ بحاجتي ... وتَرَى العليّج خائباًمَذْموماً

ومنا العباس بن عبد المطلب أردفه رسول الله صلى الله عليه وسلم وأعطاه ماله ،، وفيه يقول الشاعر

رَدِيفُ رسولِ اللهِ لم ير مثلَه ... ولا مثله حتى القيامةِ يُولدْ

ومنا حمزة سيد الشهداء . وفيه يقول الشاعر

أَبَا يَعْلَى لكَ الأَرْكانُ هُدَّتْ ... وأنت الماجد البرُّ الوَصول

ومنا جعفر ذو الجناحين أحسن الناس حالا وأكملهم كمالا ليس بغدار ولا جبان

(١) ــ هكذا في الاصل . وفي نسخة عائمة بنت نائم وفي المسامرات عائمة بنت عام

أبدله الله بكلتى يديه جناحين يطير بهما فى الجنة ،، وفيه يقول الشاعر

هاتوا كجعفرِ ناومثلَ علينا كانا أعزَّ الناسِ عندَ الخالقِ

ومنا ابو الحسن عليّ بن أبي طالب صلوات الله عليه أفرس بني هاشم وأكرم من احتفى وانتعل ،، وفيه يقول الشاعر

عليٌّ ألّفَ الفرقانَ صحُفاً ووالى المصطفى طفلاً صبيّاً

ومنا الحسن بن عليّ عليه السلام سبط رسول الله صلى الله عليه وسلم وسيد شباب أهل الجنة .وفيه يقول الشاعر

يا أجلَّ الأنام يا ابنَ الوَصيّ أنتَ سبطُ النبيّ وابن عليّ

ومنا الحسين بن علي حمله جبرئيل عليه السلام على عاتقه وكفاه بذلك فخراً ،، وفيه يقول الشاعر

حبُّ الحسينِ ذخيرةٌ لمحبّهِ يا ربِّ فاحشرني غداً في حزبهِ

يا معشر قريش والله ما معاوية كأمير المؤمنين عليّ ولا هو كما يزعم هو والله شانئ رسول الله صلى الله عليه وسلم وابن آكلة الأكباد معاوية وقائله له ما يعرق منه جبينه ويكثر منه عويله وأنينه ، فكتب عامل معاوية اليه بذلك فلما بلغه أنها قربت منه أمر بدار ضيافة فنظفت وألقي فيها فرش فلما قربت من المدينة استقبلها يزيد فى حشمه ومماليكه فلما دخلت المدينة أتت دار أخيها عمرو بن غانم فقال لها يزيد ان أبا عبد الرحمن يأمرك أن تنتقلي الي دار ضيافته وكانت لا تعرفه فقالت من أنت كلأك الله قال انا يزيد بن معاوية. قالت فلا رعاك الله يا ناقص لست بزائد • فتغيّر لون يزيد وأتى أباه فأخبره فقال هي أسن قريش وأعظمهم حلماً ، قال يزيد كم تعد لها قال كانت تُعدّ على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم أربعمائة عام وهي من بقية الكرام فلما كان من الغد أتاها معاوية فسلم عليها فقالت على المؤمنين السلام وعلى الكافرين الهوان والملام ثم قالت أفيكم عمرو بن العاص ، قال عمرو ها أنا ذا قالت أنت تسب قريشاً وبني هاشم وأنت أهل السب وفيك السب واليك يعود السب يا عمرو اني والله عارفة بك وبعيوبك

وعيوب أمك وانى أذكر ذلك · وُلدت من أمة سوداء مجنونة حمقاء تبول من قيامها وتعلوها اللئام واذا لامسها الفحل فكان نطفتها أنفذ من نطفته ركبها في يوم واحد أربعون رجل وأما أنت فقد رأيتك غاوياً غير مرشد ومفسداً غير مصلح والله لقد رأيت فحل زوجتك على فراشك فما غرت ولا أنكرت ، وأما أنت يا معاوية فما كنت في حجر ولا ربيت فى نعمة فمالك ولبنى هاشم اساؤك كنسائهم أم أعطى أمية فى الجاهلية والاسلام ما أعطي هاشم وكفى فخراً رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال معاوية . أيتها الكبيرة أنا كاف عن بني هاشم ، قالت · فاني أكتب عليك كتابا فقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم دعا ربه أن يستجيب لى خمس دعوات فاجعل تلك الدعوات كلها فيك ، فخاف معاوية فحلف أن لا يسب بنى هاشم أبداً ، فهذا ما كان بين معاوية وبين بني هاشم من المفاخرة ،، قال وكان عليّ بن عبد الله بن عباس عند عبد الملك بن مروان فأخذ عبد الملك يذكر أيام بنى أمية فبينا هو على ذلك إذ نادى المنادي بالأذان فقال أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً رسول الله ، فقال عليّ

هذِي المكارِمُ لا قعبانِ من لبَنٍ ... شيبا بماءٍ فعادا بَعْدُ أبوالاَ

فقال عبد الملك الحقّ فى هذا أبين من أن يكابر ،، عليّ بن محمد النديم قال دخلت على المتوكل وعنده الرضيّ فقال ياعليّ من أشعر الناس فى زماننا . قلت البحتري قال وبعده . قلت مروان بن أبي حفصة عبدك . فالتفت الى الرضيّ فقال ياابن عم من أشعر الناس قال عليّ بن محمد العلويّ قال وما تحفظ من شعره قال قوله

لقد فاخرتنا من قريشٍ عصابةٌ ... بمطِّ خدودٍ وامتدادِ أصابعِ

فلمَّا تنازعنا القضاء قضى لنا ... عليهم بما نهوى نداءُ الصوامعِ

فقال المتوكل ما معنى قوله ـ نداء الصوامع ـ قال الشهادة ، قال وأبيك انه أشعر الناس ، ومما قيل في هذا المعنى من الشعر قوله أيضاً

نافسنا السماء بانسابنا ... ولولا السماءُ لجزنا السماءَ

فحسبُكَ من سُؤْدَدٍ أنّنا ... بحُسْنِ البلاء كشفنا البلاء
إذا ذُكِرَ النّاسُ كُنّا ملوكاً ... وكانوا عبيداً وكانوا إماء
يَطيبُ الثّناء لآبائنا ... وذِكرُ عليّ يُطيبُ الثّناء
هَجاني رِجالٌ ولم أهجُهم ... أبى اللهُ لي أنْ أقولَ الهجاء

وقال آخر

وإنى من القومِ الذين عرفتهم ... إذا ماتَ منهم سيّدٌ قامَ صاحبه
أضاءت لهم أحسابُهم ووجوهُهم ... دُجى اللّيلِ حتّى نظّمَ الجزْعَ ثاقبه
نجومُ سماءٍ كلّما انقضّ كوكبٌ ... بدا كوكبٌ تأوي اليهِ كواكبه

وقال آخر

خطباء حينَ يقولُ قائلُهم ... بيضُ الوُجوهِ مقاوِلٌ لُسُنُ
لا يفطُنونَ لعيبِ جارِهِمُ ... وهُمُ لحفظِ جِوارِهم فُطُنُ

﴿ ضدّه ﴾

عن ابن عباس رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : لا تفتخروا بآبائكم في الجاهلية فوالذي نفسي بيده لما يدحرج الجُعَل برجله خير من آبائكم الذين ماتوا في الجاهلية ،، قال وكان الحسن البصري يقول يا ابن آدم لِمَ تفتخر وإنما خرجت من سبيل بولين نطفة مشجت بأقذار . وقال بعضهم لرجل أتفتخر ويحك وأولك نطفة مذرة وآخرك جيفة قذرة وأنت فيما بينهما وعاء عذرة فما هذا الافتخار وروي عن ابن عباس انه قال الناس يتفاضلون في الدنيا بالشرف والبيوتات والإمرات والغنى والجمال والهيئة والمنطق ويتفاضلون في الآخرة بالتقوى واليقين وأتقاهم أحسنهم يقيناً وأزكاهم عملا وأرفعهم درجة ،، وقيل في ذلك

يَزِينُ الفتى في النّاسِ صِحّةُ عقلِهِ ... وإنْ كانَ محظوراً عليهِ مكاسبُهْ

وشَينُ الفتى في النّاسِ قِلّةُ عقلِهِ ... وإنْ كَرُمَتْ آباؤُهُ ومناسبُهْ

وقيل لعامر بن قيس : ما تقول في الانسان . قال وما أقول فيمن ان جاع ضرع وان شبع بغى وطغى ،، وقال بعض الحكماء : لايكون الشرف بالنسب الا ترى أن أخوين لأب وأم يكون أحدهما أشرف من الآخر ولو كان ذلك من قبل النسب لما كان لأحد منهم على الآخر فضل لأن نسبهما واحد ولكن ذلك من قبل الأفعال لأن الشرف انما هو بالفضل لا بالنسب ،، قال الشاعر

أبوكَ أبي والجدُّ لا شكَّ واحدٌ ... ولكنّنا عودانِ آسٌ وخِرْوَعُ

وبلغنا عن المدائني انه قال ليس السؤدد بالشرف وقد ساد الأحنف بن قيس بحلمه وحصين بن المنذر برأيه ومالك بن مسمع بمحبته في العامّة وسويد بن منجوف بعطفه على أرامل قومه وساد المهلّب بن أبي صفرة بجميع هذه الخصال ،،وأما الشرف بالدين فالحديث المعروف عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه أتاه اعرابي فقال بأبي أنت وأمي يارسول الله من أكرم الناس حسباً ، قال أحسنهم خُلقاً وأفضلهم تقوى، فانصرف الاعرابي ، فقال ردّوه ثم قال يا اعرابي لعلك أردت أكرم الناس نسباً، قال نعم يارسول الله ، قال يوسف الصديق صديق الله بن يعقوب اسرائيل الله بن اسحاق ذبيح الله بن ابراهيم خليل الله فاين مثل هؤلاء الأبناء في جميع الدنيا ما كان مثلهم ولا يكون مثلهم احد أبداً ، وقال الشاعر في ذلك

ولمْ أرَ كالأسباطِ أبناءَ والدٍ ... ولا كأبيهمْ والداً حينَ ينسبُ

قال ودخل عيينة بن حصن الفزاري على رسول الله صلى الله عليه وسلم فانتسب له فقال انا ابن الأشياخ الأكارم فقال صلى الله عليه وسلم انت إذاً يوسف صديق الرحمن عليه السلام ابن يعقوب اسرائيل الله أو اسحق ذبيح الله ابن ابراهيم خليل الله ،، وقال صلى الله عليه وسلم خير البشر آدم وخير العرب محمد وخير الفرس سلمان الفارسي

وخير الروم صهيب وخير الحبشة بلال ،، قال وسمع عمر بن الخطاب وهو خليفة صوتاً ولفطاً بالباب فقال لبعض من عنده اخرج فانظر من كان من المهاجرين الأولين فادخله فخرج الرسول فوجد بلالاً وصهيباً وسلمان فادخلهم وكان ابو سفيان بن حرب وسهيل ابن عمرو فى عصابة من قريش جلوساً على الباب فقال : يا معشر قريش أنتم صناديد العرب وأشرافها وفرسانها بالباب ويدخل حبشيٌ وفارسيٌ ورومي . فقال سهيل . يا أبا سفيان أنفسكم فلوموا ولا تلوموا أمير المؤمنين دُعي القوم فأجابوا ودُعيتم فأبيتم وهم يوم القيامة أعظم درجات وأكثر تفضيلاً ، فقال أبو سفيان · لا خير في مكان يكون فيه بلال شريفاً ﴿ فأما صناعات الأشراف ﴾ فانه رُوي ان ابا طالب كان يعالج العطر والبرّ ، وأما أبو بكر وعمر وطلحة وعبد الرحمن بن عوف فكانوا بزّازين ، وكان سعد بن أبي وقاص يَبرِي النبل ، وكان أخوه عتبة نجّاراً ، وكان العاص بن هشام أخو أبي جهل بن هشام جزّاراً ، وكان الوليد بن المغيرة حدّاداً ، وكان عقبة بن أبي معيط خمّاراً ، وكان عثمان بن طلحة صاحب مفتاح البيت خيّاطاً ، وكان ابو سفيان بن حرب يبيع الزيت والأدم ، وكان أمية بن خلف يبيع البرم ، وكان عبد الله بن جُدْعان نخّاساً ، وكان العاص بن وائل يعالج الخيل والابل ، وكان جرير بن عمرو وقيس ابو الضحاك بن قيس ومعمر بن عثمان وسيرين بن محمد بن سيرين كانوا كلهم حدّادين . وكان المسيّب ابو سعيد زيّاتاً ، وكان ميمون بن مهران بزّازاً ، وكان مالك بن دينار ورّاقاً ، وكان أبو حنيفة صاحب الرأي خزّازاً ، وكان محمد الزاهد حائكاً . قيل اتخذ يزيد بن المهلب بستاناً فى داره بخراسان فلما ولى قتيبة بن مسلم جعله لابله فقال مرزبان مرو هذا كان بستاناً وقد اتخذته لابلك فقال قتيبة · اني كان شتربان وكان ابو يزيد بستانبان فمنها صار ذلك كذلك قال وذكروا ان المأمون ذكر محب الصناعات فقال السوقة سفل والصناع انذال والتجار بخلاء والكتّاب ملوك على الناس والناس أربعة أصحاب الحرف وهى امارة وتجارة وصناعة وزراعة فمن لم يكن منهم صار عيالاً عليهم

محاسن الثقة بالله سبحانه

قيل .. خطب سليمان بن عبد الملك فقال : الحمد لله الذي انقذني من نار بخلافته ..وقال الوليد بن عبد الملك لأشعبي للحجاج بن يوسف وقرة بن شريك عند ربي ..وقال الحجاج يقولون مات الحجاج مه ما أرجو الخير كله إلّا بعد الموت والله ما رضي الله البقاء إلّا لأهون خلقه عليه أليس ابليس اذ قال ﴿ رَبِّ أَنظِرْنِي إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ الْمُنظَرِينَ إِلَىٰ يَوْمِ الْوَقْتِ الْمَعْلُومِ ﴾ .. وقال ابو جعفر المنصور الحمد لله الذي أجارني بخلافته وأنقذني من النار بها .، وحدثني ابراهيم بن عبد الله عن أنس ابن مالك قال دخلنا على قوم من الأنصار وفيهم فتى عليل فلم نخرج من عنده حتى قضى نحبه فاذا عجوز عند رأسه فالتفت اليها بعض القوم فقال استسلمي لأمر الله واحتسبي ، قالت أمات ابني . قال نعم ، قالت أحق ما تقولون ، قلنا نعم ، فمدّت يدها الى السماء وقالت اللهم انك تعلم اني أسلمت لك وهاجرت الى نبيك محمد صلوات الله عليه رجاء أن تعينني عند كل شدّة فلا تحملني هذه المصيبة اليوم ، فكشف ابنها الذي سجيناه وجهه وما برحنا حتى طعم وشرب وطعمنا معه

﴿ ضدّه ﴾

قال عيسى بن مريم صلوات الله تعالى عليه ،، يامعشر الحواريين ان ابن آدم مخلوق في الدنيا في أربع منازل هو في ثلاث منها واثق وهو في الرابعة سيّئ الظن يخاف خذلان الله إياه فأما المنزلة الأولى فانه خلق في ظلمات ثلاث ظلمة البطن وظلمة الرحم وظلمة المشيمة فوفّاه الله رزقه في جوف ظلمة البطن فاذا أخرج من ظلمة البطن وقع في اللبن لا يخطو اليه بقدم ولا ساق ولا يتناوله بيد ولا ينهض اليــه بقوة بل يكره اليه إكراهاً ويُوجر إيجاراً حتى ينبت عليه لحمه ودمه فاذا ارتفع عن اللبن وقع في المنزلة الثالثة من الطعام من أبويه يكسبان عليه من حلال وحرام فان ماتا عطف عليه الناس هذا يطعمه

وهذا يسقيه وهذا يؤويه وهذا يكسوه فاذا وقع فى المنزلة الرابعة واشتد واستوى وكان رجـلا خشي أن لا يرزق فيثب على الناس فيخون أماناتهم و يسرق امتعتهم ويغصبهم أموالهم مخافة خذلان الله تعالى إياه .

محاسن طلب الرزق

قال عمرو بن عتبة من لم يقدمه الحزم أخره العجز .. وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول الله تبارك وتعالى يا ابن آدم أحدث لي سفراً أحـدث لك رزقاً . وفى بعض الحديث سافروا تغنموا .. وقال الكميت بن زيد الأسدى

ولنْ يُزِيحَ هُمومَ النفسِ إنْ حَضَرَتْ حاجاتُ مِثلِكَ إلاَّ الرَّحْلُ والجَمَلُ

وقال أبو تمام الطائى

وطولُ مُقامِ المرءِ في الحيِّ مُخلِقٌ لِديباجتيهِ فاغترِبْ تتجدَّدِ

فإني رأيتُ الشمسَ زِيدَتْ محبّةً إلى الناسِ أنْ ليستْ عليهم بسرمدِ

وقال بعض الحكماء لا تدع الحيلة في التماس الرزق بكل مكان فان الكريم محتال والدني عيال .. وأنشد

فسِرْ في بلادِ اللهِ والتمسِ الغنى تعِشْ ذا يَسارٍ أو تموت فتعذرا

ولا ترضَ من عيشٍ بدونٍ ولا تنمْ وكيف ينامُ الليلَ من كانَ معسرا

وتقول العامه كلب جوّال خير من أسـد رابض . وتقول من عف دماغه صائفاً على قدره شاتياً .. ووقّع عبد الله بن طاهر من سعى رعى ومن لزم المنام رأى الاحلام .. هذا المعنى سرقه من توقيعات انو شروان فانه يقول هرك رود جرد هرك خسبد خواب بيند .. وأنشد

كَفَى حَزَنًا أنَّ النَّوَى قَذَفَتْ بنا بَعِيدًا وأنَّ الرِّزْقَ أعيَتْ مَذَاهِبُهْ

ولوْ أنَّنَا إذْ فَرَّقَ الدَّهرُ بيننا غَنِي واحِدٍ مِنَّا تَمَوَّلَ صاحِبُهْ

ولكنَّنا مِنْ دَهرِنا في مؤونةٍ يُكالِبُنا طَوْرًا وطَوْرًا نُكالِبُه

وقال آخر

ومَنْ يَكُ مِثلي ذا عِيالٍ ومُقْتِرًا مِنَ المالِ يَطرَحْ نفسَه كلَّ مَطرَحِ

ليَبلُغَ عُذرًا أو يَنالَ غَنِيمةً ومُبلِغُ نَفْسٍ عُذْرَها مِثلُ مُنْجِحِ

وقال آخر

وليس الرِّزْقُ عن طَلَبٍ حَثِيثٍ ولكِنْ أدلِ دَلْوَكَ في الدِّلاءِ

تَجِئْكَ بمِلْئها حِينًا وطَوْرًا تَجِيءُ بحَمْأَةٍ وقَلِيلِ ماءِ

﴿ ضدّه ﴾

قيل ،، وجد في بعض خزائن ملوك العجم لوح من حجارة مكتوب عليه كن لما لا ترجو أرجى منك لما ترجو فإن موسى عليه السلام خرج ليقتبس ناراً فنودي بالنبوّة ،، وبلغنا عن ابن السماك انه قال لا تشتغل بالرزق المضمون عن العمل المفروض وكن اليوم مشغولاً بما أنت مسؤول عنه غداً وإياك والفضول فإن حسابها يطول

قال الشاعر

إنّي عَلِمتُ وعِلمُ المَرْءِ يَنفَعُهُ أنَّ الذي هو رِزْقي سوفَ يأتيني

أسعَى لهُ فيُعَنّيني تَطَلُّبُهُ ولوْ قَعَدتُ أتاني لا يُعَنّيني

وقال آخر

لَعَمرُكَ ما كلُّ التَّعطُّلِ ضائرٌ ولا كلُّ شُغلٍ فيه للمرءِ مَنفَعَه

ذا كانتِ الأرزاقُ في القُربِ والنوى عليكَ سواءً فاغتنمْ لذّةَ الدّعه

وقال آخر

سهِّلْ عليكَ فإنّ الرِّزقَ مقدورُ وكلُّ مستأنفٍ في اللوحِ مسطورُ
أتى القضاءُ بما فيهِ لمدّتهِ وكلُّ ما لم يكنْ فيهِ فمحظورُ
لا تكذِبَنَّ فخيرُ القولِ أصدَقُه إنّ الحريصَ على الدُّنيا لمغرورُ

وقال آخر

لا تمتننّ على العبادِ فإنّما يأتيكَ رِزقُكَ حينَ يؤذَنُ فيهِ

وقال آخر

هيَ المقاديرُ تجري في أعنّتِها فاصبرْ فليسَ لها صبرٌ على حالِ
يوماً تريشُ خسيسَ القومِ ترفعُه دونَ السّماءِ ويوماً تخفضُ العالي

وقال آخر

إصبرْ على زمنٍ جمٍّ نوائبُه فليسَ من شدّةٍ إلاّ لها فرجُ
تلقاهُ بالأمسِ في عمياءَ مظلمةٍ ويُصبحُ اليومَ قد لاحتْ له السُّرُجُ

وقال آخر

ألا ربَّ راجٍ حاجةً لا ينالُها وآخرَ قد تُقضى له وهوَ آيسُ
يحولُ لها هذا وتُقضى لغيرِه فتأتي الذي تُقضى له وهوَ جالسُ

وقال آخر

فلمّا أنْ عييتُ بما أُلاقي وأعيتني المسائلُ بالقروضِ
دعوتُ اللهَ لا أرجو سواهُ وربُّ العرشِ ذو فرجٍ عريضِ

وقال آخر

يا صاحبَ الهمّ إنّ الهمّ منفرجٌ أبشر بخيرٍ كأنْ قد فرّجَ اللهُ
اليأسُ يَقطعُ أحياناً بصاحبهِ لا تيأسنّ فإنّ الصانعَ اللهُ
إذا ابتُليتَ فثقْ باللهِ وارضَ بهِ إنّ الذي يكشفُ البلوى هوَ اللهُ

وقال آخر

وإذا تُصبكَ منَ الحوادثِ نكبةٌ فاصبرْ فكلُّ بليّةٍ تتكشّفُ

محاسن المواعظ

قال الأصمعي حججت فنزلت ضرية فاذا اعرابي قد كوّر عمامته على رأسه وقد تنكّب قوساً فصعد المنبر فحمد الله وأثنى عليه ثم قال أيها الناس إنما الدنيا دار ممرّ والآخرة دار مقر فخذوا من ممرّكم لمقركم ولا تهتكوا أستاركم عند من يعلم أسراركم أما بعد فانه لن يستقبل أحد يوماً من عمره إلا بفراق آخرَ من أجله فاستصلحوا لأنفسكم لما تقدمون عليه لا لما تظعنون عنه وراقبوا من ترجعون اليه فانه لا قويّ أقوى من خالق ولا ضعيف أضعف من مخلوق ولا مهرب من الله إلا اليه وكيف يهرب من يتقلب بين يدى طالبه وانما تُوفّون أجوركم يوم القيامة فمن زحزح عن النار وأدخل الجنة فقد فاز وما الحياة الدنيا إلّا متاع الغرور . وقال بعض الأعراب ان الموت ليقتحم على بني آدم كاقتحام الشيب على الشباب ومن عرف الدنيا لم يفرح بها فهو خائف ولم يحزن فيها على بلوي ولا طالب أغشم من الموت ومن عطف عليه الليل والنهار ارديا ه ومن وكل به الموت أفناه وقال اعرابي كيف يفرح بعمر تنقصه الساعات وسلامة بدن معرض للآفات لقد عجبت من المرء يفرّ من الموت وهو سبيله ولا أرى أحداً الا استدركه الموت ..وقيل وجدفي كتاب من كتب بزرجمهر صحيفة مكتوب فيها ان حاجة الله الى عباده أن

يعرفوه فمن عرفه لم يعصمه طرفة عين كيف البقاء مع الفناء وكيف يأسى المرء على ما فاته والموت يطلبه .. وقال كسرى لم يكن من حق علمه ان يقتل واني لنادم على ذلك (١)
.. قال وحضرت الوفاة رجلا من حكماء فارس فقيل له كيف يكون حال من يريد سفراً بعيداً بغير زاد ويقدم على ملك عادل بغير حجة ويسكن قبراً موحشاً بغير أنيس

﴿ ضده ﴾

قيل .. لما مات عبد الملك بن عمر بن عبد العزيز جزع أبوه عليه جزعا شديداً فقال ذات يوم لمن حضره هل من منشد شعراً يعزيني به أو واعظ يخفف عني فأتسلى به . فقال رجل من أهل الشام : يا أمير المؤمنين كل خليل مفارق خليله بأن يموت أو بأن يذهب الى مكان . فتبسم عمر بن عبد العزيز وقال : مصيبتي فيك زادتني الى مصيبتي مصيبة . وأصيب الحجاج بن يوسف بمصيبة وعنده رسول لعبد الملك بن مروان فقال . ليت اني وجدت انساناً يخفف عني مصيبتي . فقال له الرسول . أقول . قال قل . قال كل انسان مفارق صاحبه بموت أو بصلب أو بنار تقع عليه من فوق البيت أو يقع عليه البيت أو يسقط في بئر أو يغشى عليه أو يكون شيء لا يعرفه . فضحك الحجاج وقال مصيبتي في أمير المؤمنين أعظم حين وجه مثلك رسولا

محاسن فضل الدنيا

قال علي بن أبي طالب كرّم الله وجهه الدنيا دار صدق لمن صدقها ودار عافية لمن فهم عنها ودار غنى لمن تزوّد منها مسجد انبياء الله ومهبط وحيه ومصلى ملائكته ومتجر أوليائه يكسبون فيها الرحمة ويربحون فيها الجنة فمن ذا يذمها وقد آذنت ببينها ونادت بفراقها ونعت نفسها وشوّقت بسرورها الى السرور وبلائها الى البلاء تخويفاً

(١) ــ هكذا في الاصل وفي العبارة نقص فليحرر

وتحذيراً وترغيباً وترهيبا فيا أيها الذام للدنيا والمفتتن بغرورها متى [illegible] أبمصارع آبائك من البلى أم بمضاجع أمهاتك تحت الثرى كم علّلت بكفيك وكم مرضت بيديك تبتغي لهم الشفاء وتستوصف لهم الأطباء وتلتمس لهم الدواء لم تنفعهم بطلبتك ولم تشفعهم بشفاعتك ولم تستشفهم باستشفائك بطلبك مثّلت بهم الدنيا مصرعك ومضجعك حيث لا ينفعك بكاؤك ولا يغني عنك أحباؤك ثم التفت الى قبور هناك فقال : يا أهل الثراء والغر الأرواح قد نُكحت والأموال قد قسمت والدور قد سكنت هذا خبر ما عندنا فما خبر ما عندكم ثم قال لمن حضر · والله لو أذن لهم لأجابوا بأن خير الزاد التقوى ،، وأنشد

ما أَحسنَ الدُّنيا وإقبالَها إذا أَطاعَ اللهَ مَنْ نالَها
مَن لم يُواسِ النَّاسَ من فضلِها عرَّضَ للإِدْبارِ إقبالَها

قال أبو حازم الدنيا طالبة ومطلوبة طالب الدنيا يطلبه الموت حتى يخرجه منها وطالب الآخرة تطلبه الدنيا حتى توفّيه رزقه ،، وقال الحسن البصري بينا أنا أطوف بالبيت اذا انا بعجوز متعبّدة فقلت من أنت ، فقالت من بنات ملوك غسان ،قال فمن أين طعامك ، قالت . اذا كان آخر النهار جاءتني امرأة متزيّنة فتضع بين يدي كوزاً من ماء ورغيفين ، قلت لها أتعرفينها ، قالت اللهم لا ، قلت هي الدنيا خدمتِ ربك جل ذكره فبعث اليك الدنيا فخدمتك

﴿ ضدّه ﴾

زعموا أن زياد بن أبيه مرّ بالحيرة فنظر الى دير هناك فقال لخادمه لمن هذا قيل له هذا دير حُرقة بنت النعمان بن المنذر فقال ميلوا بنا اليه لنسمع كلامها فجاءت الى وراء الباب فكلمها الخادم فقال لها كلمي الأمير، فقالت أأوجز ام أطيل،قال بل أوجزي قالت كنا أهل بيت طلعت الشمس علينا وما على الأرض أحد أعزّ منا وماغابت تلك الشمس حتى رحمنا عدوّنا قال فأمر لها بأوساق من شعير فقالت · أطعمتك يد

شمعاء جاعت [illegible] ستك يد حوعاء شبعت •• فسرّ زياد بكلامها فقال لشاعر معه قيّد هذا الكلام ليدرس ،، فقال

سَلِ الخيرَ أهلَ الخيرِ قِدماً ولا تَسَلْ فتىً ذاقَ طَعْمَ الخيرِ مُنْذُ قريبِ

ويقال ،، إن فروة بن إياس بن قبيصة انتهى الى دير حرقة بنت النعمان فألفاها وهي تبكي فقال لها · ما يبكيك، قالت ما من دار امتلأت سروراً إلّا امتلأت بعد ذلك ثبوراً ثم قالت

فبينا نَسُوسُ النّاسَ والأمرُ أمرُنا إذا نحنُ فيهم سُوقَةٌ نتنصّفُ

فأفٍّ لِدُنيا لا يَدُومُ نعيمُها تقلَّبُ تاراتٍ بنا وتَصَرَّفُ

قال ،، وقالت حرقة بنت النعمان لسعد بن أبي وقّاص لا جعل الله لك الى لئيم حاجة ولا زالت لكريم اليك حاجة وعقد لك المن في أعناق الكرام ولا أزال بك عن كريم نعمة ولا أزالها بغيرك إلّا جعلك سبباً لردّها عليه،، قال وقال عبد الملك بن مروان لسلم بن يزيد الفهمي أيّ الزمان أدركت أفضل وأي ملوكه أكمل ، قال . أما الملوك فلم أر إلّا ذاما وحامداً وأما الزمان فرفع أقواماً ووضع آخرين وكلهم يذم زمانه لأنه يبلي جديدهم ويهرم صغيرهم وكل ما فيه منقطع إلّا الأمل . قال فأخبرني عن فهم ، قال · هم كما قال الشاعر

درجَ الليلُ والنّهارُ على فهـــم بنِ عَمرٍو فأصبحوا كالرَّميمِ

وخلتْ دارُهم فأضحتْ قِفاراً بعدَ عزٍّ وثروةٍ ونعيمِ

وكذاكَ الزّمانُ يَذهَبُ بالنّا سِ وتبقى ديارُهم كالرّسومِ

قال فمن يقول منكم

رأيتُ النّاسَ مُذْ خُلِقوا وكانوا يخشّون العيّ من الرّجالِ

وإن كانَ العَييُّ أقلَّ خيرًا جميلاً بالقايلِ منَ النوالِ

فلا أدري علامَ وفيمَ هذا — وما دا يرتجونَ منَ المُحالِ
أَلِلدُّنيا فليسَ هناكَ دُنيا — ولا يُرجى لِحادِثةِ اللّيالي

قال ٠ أنا وقد كتمتها ،، قال ولما دخل عليّ صلوات الله عليه المدائن فنظر الى إيوان كسرى أنشد بعض من حضره ٠٠ قول الأسود بن يعفر

ماذا أأملُ بعدَ آلَ محرّقٍ — تركوا منازلهم وبعدَ إيادِ
أهلِ الخورنقِ والسّديرِ وبارقٍ — والقصرذي الشُّرُفاتِ من سِنْدادِ
نزلوا بأنقرةٍ يسيلُ عليهمُ — ماءُالفراتِ يجيءُ من أطوادِ
أرضٌ تخيّرها لطيبِ نسيمها — كعبُ بنُ مامةَ وابنُ أُمِّ دُوادِ
جرتِ الرّياحُ على محلِّ ديارِهم — فكأنّما كانوا على ميعادِ
فإذا النّعيمُ وكلُّ ما يُلْهى به — يوماً يصيرُ إلى بِلًى ونفادِ

وقال عليّ صلوات الله عليه . أبلغ من ذلك قول الله تعالى ﴿كم تركوا من جنّاتٍ وعيونٍ وزروعٍ ومقامٍ كريمٍ ونعمةٍ كانوا فيها فاكهين كذلكَ وأورثناها قوماً آخرين فما بكتْ عليهمُ السّماءُ والأرضُ وما كانوا مُنظرين﴾ ٠٠ وقال عبدالله بن المعتز أهل الدنيا كركب يسار بهم وهم نيام ،، وقال غيره طلاق الدنيا مهر الجنة ،، وذكروا ان اعرابيا ذكر الدنيا فقال هي جمة المصائب رنقة المشارب ٠٠ وقال آخر الدنيا لا تمتع بصاحب ٠٠ قال ابو الدرداء من هوان الدنيا على الله تعالى انه لا يعصى إلّا فيها ولا ينال ما عنده إلّا بتركها ٠٠ وقال اذا أقبلت الدنيا على امرئ اعارته محاسن غيره واذا أدبرت عنه سلبته محاسن نفسه وقال الشاعر

أيا دُنيا حسرتِ لنا قناعاً — وكانَ جمالُ وجهكِ في النّقابِ
ديارٌ طالما حُجبتْ وعزّتْ — فأصبحَ اذنُها سهلَ الحجابِ

وقد كانت لنا الأيامُ ذلّتْ فقد قُرِنَتْ بأيّام صِعابِ
كأنّ العيشَ فيها كانَ ظِلاً يُقلّبُه الزّمانُ إلى ذهابِ

قال الأصمعي : وُجد فى دار سليمان بن داود عليه السلام على قُبّة مكتوباً

ومَنْ يحمَدِ الدُّنيا لشيءٍ يَسرُّهُ فسوفَ لعَمْرى عن قريبٍ يلومُها
إذا أدبَرتْ كانتْ على المرءِ حَسْرةً وإنْ أقبلتْ كانتْ كثيراً همومُها

وكان ابراهيم بن أدهم ينشد

نُرَقِّعُ دُنيانا بتمزيقِ دِينِنا فلا دِيننا يَبْقى ولا ما نُرقِّعُ

وقال أبو العتاهية

يا مَنْ ترَفّعَ بالدُّنيا وزينتِها ليسَ الترفّعُ رَفعَ الطِّينِ بالطِّينِ
إذا أردْتَ شَريفَ القومِ كلِّهمِ فانظرْ إلى مَلِكٍ فى زِيِّ مِسكينِ
ذاكَ الذى عظُمَتْ فى النّاسِ هِمّتُهُ وذاكَ يَصلُحُ للدنيا وللدِّينِ

وقال آخر

هَبِ الدُّنيا تُساقُ إليكَ عفواً أليس مَصيرُ ذاكَ إلى زوالِ

وقال محمود الوراق

هىَ الدُّنيا فلا يَغرُرْكَ منها مَخائلُ تَستفِزُّ ذوى العقولِ
أقلُّ قليلِها يكفيكَ منها ولكنْ لستَ تقنعُ بالقليلِ
تُشيدُ وتبتنى فى كلِّ يومٍ وأنتَ على التجهّزِ للرّحيلِ
ومنْ هذا على الأيّامِ تبقى مصارِعُه مُدرَّجةِ السيولِ

وقال آخر

دُنيا تَداوَلُها العِبادُ ذميمةً شِيبتْ بأكرهَ منْ نقيعِ الحنظلِ

وثبـاتُ دُنيـا ما تَزالُ مُلِمَّةً　　منها فَجائِعُ مِثْلَ وَقْعِ الجَنْدَلِ

وقال آخر

حَتَّى متى أنتَ في دُنياكَ مُشْتَغِلٌ　　وعاملُ اللهِ بالرَّحمن مَشغولُ

وقال ابو نواس الحسن بن هانئ

دَعِ الحِرصَ على الدُّنيا　　وفى العيشِ فلا تطمعْ

ولا تجمعْ لكَ المالَ　　فما تدري لِمَنْ تجمعْ

ولا تدرى أفي أرضٍ　　لكَ أمْ في غيرِها تُصرَعْ

قال الأصمعي . سمعت أبا عمرو بن العلاء يقول بينا أنا أدور في بعض البراري اذا أنا بصوت

وإن امرأً دُنياهُ أكثرُ همِّهِ　　لَمُستمسِكٌ منها بحَبلِ غُرورِ

فقلت . انسي أم جني فلم يجبني أحد فنقشته على خاتمي ،، قال وسمع يحيي بن خالد بيت العدوي فى صفة الدنيا

حُتُوفُها رَصَدٌ وعيشُها نَكَدٌ　　وشُربُها رَنِقٌ ومُلْكُها دُوَلُ

فقال لقد نظم فى هذا البيت صفة الدنيا ،، قال وسمع المأمون بيت أبي نواس

إذا امتحنَ الدُّنيا لبيبٌ تكشَّفتْ　　له عنْ عَدوٍّ فى ثيابِ صَديقِ

فقال لو سئلت الدنيا عن نفسها ما وصفت نفسها كصفة أبى نواس ،، وقيل للحسن البصرى ما تقول فى الدنيا . قال ما أقول فى دار حلالها حساب وحرامها عقاب وقيل ما سمعنا كلاما أوجز من هذا قال بلى كلام عمر بن عبد العزيز كتب اليه عديّ ابن أرطاه وهو على حمص ان مدينة حمص قد تهدمت واحتاجت الى صلاح حيطانها فكتب اليه حصنها بالعدل ونقّ طرقها من الظلم والسلام

محاسن الزهد

محمد بن الحسن عن أبي همام وكان قد عرف ضيغما قال : كنت معه في طريق مكة فلما نحدنا في الرمل نظر الى ما تلقى الابل من شدة الحر فبكى ضيغم فقلت : لو دعوت الله أن يمطر علينا كان أخف على هذه الابل قال فنظر الى السماء وقال : إن شاء الله فعل قال فوالله ما كان إلّا أن تكلم حتى نشأت سحابة فهطلت .. وعن عطاء بن يسار ان أبا مسلم الخولاني خرج الى السوق بدرهم يشتري لأهله دقيقاً فعرض له سائل فأعطاه بعضه ثم عرض له سائل آخر فأعطاه الباقي فأتى النجارين فملأ مِزْوَدَه من نشارة الخشب وأتى منزله فألقاه وخرج هارباً من أهله فأخذت المرأة المزود فاذا دقيق حُوّارَي لم تر مثله فعجنته وخبزته فلما جاء قال من أين لك هذا قالت الدقيق الذي جئت به .. وعن أبي عبد الله القرشي عن صديق له قال . دخلت بئر زمزم فاذا بشخص ينزع الدلو مما يلي الركن فلما شرب أرسل الدلو فأخذته فشربت فضلته فاذا هو سويق لوز لم أر أطيب منه فلما كانت القابلة في ذلك الوقت جاء الرجل وقد أسبل ثوبه على وجهه ونزع الدلو فشرب ثم أرسله فأخذته فشربت فضلته فاذا هو ماء مضروب بالعسل لم أر شيئاً قط أطيب منه فأردت أن آخذ طرف ثوبه فانظر من هو ففاتني فلما كان في الليلة الثالثة قعدت قبالة زمزم في ذلك الوقت فجاء الرجل وقد أسبل ثوبه على وجهه فنزع الدلو فشرب وأرسله وأخذته وشربت فضلته فاذا هو أطيب من الأول فقلت يا هذا أسألك برب هذه البنية من أنت ، قال تكتم عليّ حتى أموت ، قلت نعم قال أنا سفيان الثوري وكانت تلك الشربة تكفيني اذا شربتها الى مثلها لا أجد جوعاً ولا عطشاً .

وقال الاصمعي رأيت اعرابياً يكدح جبهته بالأرض يريد أن يجعل سجدة فقلت ما تصنع قال اني وجدت الاثر في وجه الرجل الصالح .. وقال الشاعر

كيفَ يبكي لمحبَسٍ في طُلولِ ... مَنْ سيقضي ليوم حبس طويل

إنَّ في البعثِ والحسابِ لشُغلاً ... عن وقوفٍ برسم ربع محيل

وقال آخر

إنَّ الشقيَّ الذي في النَّارِ منزِلُه والفوزُ فوزُ الذي ينجو من النَّارِ
يا ربِّ أسرفتُ في ذنبي ومعصيتي وقد علمتُ يقيناً سوءَ آثاري
فاعفِ ذنوباً إلهي قد أحطتَ بها ربَّ العبادِ وزحزحني عن النَّارِ

وقال ذو الرمة

تعصي الإلهَ وأنتَ تُظهِرُ حبَّهُ هذا مُحالٌ في القياسِ بديعُ
لو كانَ حبُّكَ صادقاً لأطعتَهُ إنَّ المُحِبَّ لمَنْ يُحِبُّ مُطيعُ

وقال أبو نواس

أيا عجباً كيف يُعصى الإلـٰـهُ أم كيف يجحدُه الجاحدُ
ولله في كلِّ تحريكةٍ وتسكينةٍ فاعلمن شاهدُ
وفي كلِّ شيءٍ له آيةٌ تدلُّ على أنَّهُ واحدُ

وقال أيضا

سبحان مَنْ خلقَ الخلـق مِنْ ضعيفٍ مهينِ
يسوقهمْ مِنْ قرارٍ إلي قرارٍ مكينِ
يحورُ خلقاً فخلقاً في الحجبِ دونَ العيونِ
حتَّى بدتْ حركاتٌ مخلوقةٌ مِنْ سكونِ

وقال آخر

أخي ما بالُ قلبكَ ليس يَنقَى كأنَّكَ ما تظنُّ الموتَ حقّاً
ألا يا ابنَ الذين مضَوا وبادُوا أما واللهِ ما ذهبوا لتبقَى

وما لكَ غيرَ تقوَى اللهِ زادٌ ... إذا جَعلَتْ إلي اللهواتِ ترقَى

وقال آخر

يا قلبُ مهلاً وكنْ على حذَرِ ... فقد لعمري أُمرتَ بالحذَرِ

ما لكَ بالتُّرهاتِ مُشتغلاً ... أفي يديكَ الأمانُ من سقرِ

وقال آخر

إنْ كنتَ تؤمنُ بالقيا ... مةِ واجترأتَ على الخطيَّه

فلقد هلكتَ وإنْ جحدْ ... تَ فذاكَ أعظمُ للبليَّه

وقال آخر

وأفنيةُ الملوكِ محجَّباتٌ ... وبابُ اللهِ مبذولُ الفِناءِ

فما أرجو سواهُ لكشفِ ضرِّي ... ولا أفزعْ إلي غيرِ الدُّعاءِ

ولا أدعو إلى اللأواءِ كهفاً ... سوى من لا يصمّ عن الدُّعاءِ

﴿ صدد ﴾

قيل .. كان جندي بقزوين يصلي في بعض المساجد فقفل المؤذن [illegible] فصار [illegible]
وقرع بابه عليه فخرج إليه فقال له المؤذن أبو من . قال أبو خيثم [illegible]
يا هذا رد الباب . قال وقيل لقيني ما أيسر دينك . قال [illegible] الدير [illegible]
الدير قال نزلت بدير نصرانية فأكلت عندها شيئاً [illegible]
وخرجت بها وسرقت كساءها وخرجت (١) قيل [illegible] خمسة من [illegible]

---

(١) [illegible] خمار شعر [illegible]
[illegible]
[illegible]

مات حان فقام أحدهم يصلى والباقون جلوس فمرت بهم نبطية فقالوا دلّينا على قحبة قالت نعم كم أنتم ، قالوا نحن أربعة ، فأومى الذى يصلى بيده سبحان الله أنا الخامس

•• وقال الشاعر

وإنّي في الصلاةِ أحضرُها ... ضحكةُ أهلِ الصلاةِ إنْ شهدُوا
أقعدُ في سجدةٍ إذا ركعوا ... وأرفعُ الرأسَ إنْ همُ سجدوا
أسجدُ والقومُ راكعونَ معاً ... وأسرعُ الوثبَ إنْ همُ قعدوا
فلستُ أدري إذا همُ فرغوا ... كمْ كانَ تلكَ الصلاةُ والعددْ

وقال آخر

وأصلّي فأغلطُ الدّهرَ فيما ... بينَ سبعٍ وأربعٍ وثمانِ
ومواقيتُ حينِها لستُ أدري ... ما أذانٌ مؤقّتٌ منْ أذانِ

وقال آخر

نعمَ الفتى لوْ كانَ يعرفُ ربّهُ ... ويقيمُ وقتَ صلاتِهِ حمّادُ
عدلتْ مشافرهُ الدِّنانُ فأنفهُ ... مثلُ القدومِ يسنّهُ الحدّادُ
فابيضَّ منْ شربِ المُدامةِ وجهُهُ ... فبياضُهُ يومَ الحسابِ سوادُ

وقال آخر

إنْ قرأ العادياتِ في رجبٍ ... لمْ يعدْ منها إلاّ إلى رجبِ
إنْ نحنُ لا نستطيعُ في سنةٍ ... نحتمْ تبّتْ يدا أبي لهبِ

محاسن النساء النادبات

قيل .. كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يستحسن قول الخنساء فى صخر أخيها

لا بُدَّ مِنْ مِيتَةٍ فى صَرْفِها عِبَرٌ　　والدَّهرُ مِنْ شأنهِ حَوْلٌ وإضْرارُ

وإنَّ صَخْراً لتأتمُّ الهُداةُ بهِ　　كأنَّهُ عَلَمٌ فى رأسهِ نارُ

وقيل للخنساء صفي لنا صخراً فقالت كان مطر السنة الغبراء وذعاف الكتيبة الحمراء قيل فمعاوية قالت حياء الجدبة اذا نزل وقرى الضيف إذا حل قيل فأيهما كان عليك أحنى قالت أما صخر فسقام الجسد وأما معاوية فجمرة الكبد .. وأنشدت

أَسَدانِ مُحْمَرّا المَخالبِ نَجْدَةً　　غَيْثانِ فى الزَّمَنِ العَصوبِ الأَغْبَرِ

قَمَرانِ فى النّادِي رَفيعا مَحْتِدٍ　　فى المَجْدِ فَرْعا سُودَدٍ مُتَخيِّرِ

وروى انها دخلت على عائشة أم المؤمنين وعليها صدار من شعر فقالت لها عائشة أتخذين الصدار وقد نهى عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت يا أم المؤمنين ان زوجي كان رجلا متلافاً منفقاً فقال لي لو أتيت معاويه فاستعنتيه فخرجت فلقيني صخر فأخبرته فشاطرني ماله ثلاث مرات فلما هلك اتخذت هذا الصدار ونذرت أن لا أنزعه حتى أموت .. فقالت أمرأته لو أعطيتها من شرارها — يعني الابل — فقال

والله لا أمنحها شرارها　　وهي حصانٌ قد كفتني عارها

وإنْ هلكتُ مزّقتْ خمارَها　　واتخذتْ من شعرٍ صدارها

فلما هلك صخر اتخذت هذا الصدار ونذرت أن لا انزعه حتى أموت . وعن ابن عمر السلمي حدثني أبي قال دخلت على الخنساء في الجاهلية وعليها صدار من شعر وهي تحتجر ابنها فكلمتها في طرح الصدار فقالت يا خنساء والله لأحسن منه عمرو وأطيب منك ذرسا وأرق منك نعلا وأكرم منك بعلا قالت عند [illegible]

عن بعض أشياخه ان عمر بن الخطاب قال للخنساء : ما أقرح مآقي عينيك ، قالت : بكائي على السادات من مضر ، قال : يا خنساء انهم في النار ، قالت . ذلك أطول لعويلي

•• ومما اخترنا من أشعارها قولها

تَعَرَّقَنِي الدَّهرُ نَهْساً وَحَزَّا وأَوجَعَنِي الدَّهرُ قَرْعاً وغَمْزا

وأَفْنى رِجالِي فبادوا معاً فأَصبَحَ قلبي لهم مُستَفَزَّا

كأَنْ لم يكونوا حِمىً يُتَّقى إذ النّاسُ إذْ ذاكَ مَنْ عَزَّ بَزَّا

وكانوا سَراةَ بني مالكٍ وزَينَ العَشيرةِ مَجْداً وعِزَّا

وهم في القديم صِحاحُ الأَديـ ـمِ والكائنونَ من النّاسِ حِرْزا

بِسُمرِ الرِّماحِ وبِيضِ الصِّفاحِ فبالبيضِ ضَرْباً وبالسُّمرِ وَخْزا

جَزَزْنا نَواصيَ فُرسانِكُمْ وكانوا يَظُنّونَ أَنْ لا تُجَزّا

ومَنْ ظَنَّ مِمَّن يُلاقي الحُروبَ بأَنْ لا يُصابَ فقد ظَنَّ عَجْزا

نَعِفُّ ونَعرِفُ حَقَّ القِرَى ونَتَّخِذُ الحَمدَ ذُخْراً وكَنْزا

ونَلبَسُ في الحربِ نَسْجَ الحَديدِ وفي السِّلمِ نَلبَسُ خَزّاً وقَزّا

وروي خبر الخنساء من جهة أخرى ذكروا انها أقبلت حاجة فمرّت بالمدينة ومعها أناس من قومها فأتوا عمر بن الخطاب فقالوا : هذه خنساء فلو وعظتها فقد طال بكاؤها في الجاهلية والاسلام فقام عمر وأتاها وقال : يا خنساء ، قال فرفعت رأسها فقالت ما تشاء وما الذي تريد ، فقال : ما الذي أقرح مآقي عينيك ، قالت : البكاء على سادات مضر ، قال : انهم هلكوا في الجاهلية وهم أعضاد اللهب وحشو جهنم ، قالت : فداك أبي وأمي فذلك الذي زادني وجعاً ، قال : فأنشدي ما قلت ، قالت : اما اني لا أنشدك ما قلت قبل اليوم ولكني أنشدك ما قلت الساعة ، فقالت

سقى حدثاً أعراقُ غمرةَ دونَهُ ... وبيشةُ ديماتُ الرَّبيعِ ووابلُه

وكنتُ أُعيرُ الدَّمعَ قبلكَ مَن بكى ... فأنتَ على مَن ماتَ قبلكَ شاغلُه

وأزعيمُ سمعي إذا ذكروا الأسى ... وفي الصدرِ منّي زفرةٌ لا تُزائلُه

فقال عمر : دعوها فانهـا لا تزال حريبة أبداً ،، ليلى الأخيلية هجاها رجل من قومها ،، فقال

ألا حيِّيا ليلى وقولا لها هلا ... فقد ركبت إيراً أعرَّ محجلا

فأجابته

تعيّرني داءً بأمّكَ مثلُه ... وأيُّ حوادٍ لا يقالُ له هلا

وذكروا انها دخلت على عبد الملك بن مروان فقال لها يا ليلى هل بقي في قلبك من حب توبة فتى الفتيان شيء ، قالت وكيف أنساه وهو الذي يقول يا أمير المؤمنين

ولو أنَّ ليلى في ذرى متمنّعٍ ... بنجران لالتفّت عليّ قصورُها

حمامةَ بطنِ الواديينِ ترنّمي ... سقاكِ من الغرِّ الغوادي مطيرُها

أبيني لنا لا زالَ ريشُكِ ناعماً[1] ... وبيضكِ في خضراءَ غضٍّ نضيرُها

تقولُ رجالٌ لا يضيرُكَ نأيُها ... بلى كلُّ ما شفَّ النفوسَ يضيرُها

أيذهبُ ريعانُ الشبابِ ولم أزُر ... كواعبَ في همدانَ بيضاً نحورُها

قال عمر أكرمك الله أن تذكريه ،، والتوبة في ليلى الأخيلية

ولو أنَّ ليلى الأخيليّةَ سلّمت ... عليّ ودوني جندلٌ وصفائحُ

لسلّمتُ تسليمَ البشاشةِ أو زقا ... إليها صدىً من جانبِ القبرِ صائحُ

ولو أنَّ ليلى في السماءِ لأصعدت ... بطرفي إلى ليلى العيونُ اللوامحُ

(١) ــ رواية أبي علي القالي في أماليه ولا زال في خضراء غضٍّ نضيرُها

فلما مات توبة مرّ روج ليلى بليلى على قبره فقال : لها سلمي على توبة فانه زعم فى شعره انه يسلم عليك تسليم النشاشة ، فقالت ما تريد الى من بليت عظامه ، فقال :والله لتفعلن ، فقالت وهي على البعير · سلام عليك يا توبة فتى الفتيان ، وكانت قطاة مستظلة فى نقب من نقب القبر فلما سمعت الصوت طارت وصاحت فمر البعير ورمى بليلى فماتت فدفنت الى جنب قبر توبة ،، قال وسأل الحجاج ليلى هل كان بينك وبين توبة ريبة قط ، قالت لا والدي أسأله صلاحك الّا انه مرّة قال لي قولاً ظننت انه خضع لبعض الأمر ٠٠ فقلت له

وذي حاجةٍ قلنا لهُ لاتبُحْ بها — فليسَ إليها ما حَيِيتُ سبيلُ
لنا صاحِبٌ لا ينبغي أن نخونَهُ — وأنتَ لأُخرَى فارِغٌ وخَليلُ

فما كلمني بعد ذلك بشيء حتى فرّق بيني وبينه الموت ، قال الحجاج فما كان بعد ذلك ، قالت لم يلبث أن قال لصاحب له اذا أتيت الحاضر من بني عبادة فقل بأعلى صوتك

عفَا اللهُ عنها هلْ أَبيتَنَّ ليلةً — منَ الدَّهرِ لا يَسْرِي إليَّ خيالُها

فلما سمعت الصوت خرجت فقلت

وعنهُ عفا رَبي وأَحسنَ حالَهُ — تَعزُّ علينا حاجةٌ لا ينالُها

قال ودخلت ليلى على الحجاج فأنشدته ٠٠ قولها فيه

إذا نزلَ الحجّاجُ أَرضاً سقيمةً — تتبّعَ أقصى دائِها فشفاها
شفاها من الدّاءِ العضالِ الذي بها — غلامٌ إذا هزَّ القناةَ ثناها
أحجّاجُ لا تُعطي العُصاةَ مناهمْ — ولا اللهُ يُعطي للعُصاةِ مُناها

فوصلها الحجاج بألف دينار وقال لو قلت بدل غلام همام لكان أحسن ،، هند بنت عتبة أم معاوية بن أبي سفيان قبل لما قتل شيبة وعتبة ابنا ربيعة والوليد بن عتبة رثتهم هند ٠٠ فقالت

إني رأيتُ فساداً بعدَ إصلاحِ ... في عبدِ شمسٍ فقلبي غيرُ مرتاحِ
هاجت لهم أدمعٌ تترى ومنبعها ... من رأسِ محزوبةٍ ما إن لها لاحي
لمّا تنادت بوقهمٍ على حنقٍ ... والموتُ بينهم ساعٍ لأرواحِ
كأنما النسخُ في قتلى مصرّعةٍ ... سرحٌ أضاءت على جذرٍ وألواحِ
يا آلَ هاشمٍ أنّا لا نصالحكم ... حتّى نرى الخيلَ تردي كالّ كفاحِ
إن يمكنِ اللهُ يوماً من هريتكم ... يورثْ نساءكمُ داءً نتقراحِ

فاجابتها عمرة بنت عبد الله بن رواحة الانصارى

يا هندُ مهلاً لقد لاقيتِ مهبلةً ... يومَ الأعنةِ والأرواحُ في الرّاحِ
أسدٌ عطارفةٌ غرٌّ جحاجحةٌ ... أبناءُ محصنةٍ بيضٌ لجحجاحِ
هنالكَ الفوزُ والرضوانُ إن صبروا ... معَ الرّسولِ فما آبوا بتقباحِ
اللهُ أهلكهمْ والأوسُ شاهدةٌ ... والخزرجُ العزُّ فيهم كلُّ مجتاحِ
لا تبعدنَّ فإني غيرُ صارخةٍ ... وكيفَ تصرخُ ذاتُ لبعلٍ ناصاحِ

النساء الماجنات

قال سليمان بن عبد الملك انشدوني أحسن ما سمعتم من شعر النساء فقال بعضهم يا أمير المؤمنين سار رجل من الظرفاء في بعض طرقاته إذ حدثته السماء فوقف تحت مظله ليستكن من المطر وجارية مشرفة عليه فلما رأته حذفته بحجر فرفع رأسه، وقال

لو تفاحةٍ رميتِ رجوناً ... ومنَ الرمي بالحصاةِ جفاءُ

فاجابته

ماجهلنا الذي ذكرت من الشكل ولا بالذي تراه خفاء

ودابة معها فقالت

قد بدا أتيه ماذكرت وجدي ليت شعري فهل لهذا دواء

وسائلة فى الباب فقالت

قد لعمري دعوتها فأجابت هي داء وأنت منه شفاء

قال سليمان قاتلها الله هي والله أشعرهم

(عنان جارية الناطفي) قال السلولي دخلت يوما على عنان وعندها رجل اعرابي فقالت يا عمّ لقد أتى الله بك . قلت وما ذاك . قالت هذا الاعرابي دخل عليّ فقال بلغني انك تقولين الشعر فقولي بيتاً وقام لها قولي فقالت قد ارتج عليّ فقل أنت فقلت

لقد جدّ الفراق وعيل صبري عشية عيرهم للبين زمّت

فقال الاعرابي

نظرت إلى أواخرها ضحيّاً وقد بانت وأرض الشام أمّت

فقالت عنان

كتمت هواكم في الصدر مني على أنّ الدموع عليّ نمّت

فقال الاعرابي أنت والله أشعرنا ولولا انك محرمة رحل لقبّلتك ولكني أقبّل البساط ،، وقال بعضهم دخلت على عنان فاذا عليها قميص يكاد يقطر صبغه وقد تناولها سيدها بضرب شديد وهي تبكي فقالت

إن عنانا أرسلت دمعها كالدرّ إذ ينسلّ من سمطه

فقالت وأشار لي مولاها

فليت من يضربها ظالماً تجف يمناه على سوطه

فقال مولاها هي حرّة لوجه الله ان صرتها طالماً أو غير ظالم .. قال واجتمع ابو نواس والفضل الرقاشي والحسين الخليع وعمرو الورّاق ومحكم بن زرين والحسين الخياط في منزل عنان فتناشدوا الى وقت العصر فلما أرادوا الانصراف قالوا أين نحن الليلة فكل قال عندي . فقالت عنان مالكم قولوا شعراً وارضوا بحكمي .. فقال الرقاشي

عذراء ذات احمرارٍ   إني بها لا أحاشي

قوموا ندامايَ روّوا   مُشاشكمْ من مُشاشي

وناطحوني كؤوساً   نِطاحَ صُلْبِ الكباشِ

وإنْ تكلتْ فحالٌ   لكمْ دمي ورِياشي

فقال أبو نواس

لا بلْ إليّ ثقات   قوموا بنا نحياني

قوموا نلذُّ جميعاً   بقولِ هاكِ وهاتِ

فإن أردتمْ قينةً   أتيتكم ببنات

وإن أردتم غلاماً   صادفتموني مُواتي

فبادِرُوه مجوناً   في وقتِ كلِّ صلاة

وقال الحسين الخليع

أنا الخليعُ فقوموا   إلى منزل الخليع

إلى منزل خليع   وكل حديثي رضيع

ولست حويٌ رجيم   حدّرس صريع

قوموا بنا وشيكاً   منْ لي بمثلْ ربيع

وقال وراق

قوموا إلي بيتِ عمرٍو إلي سماعٍ وخمرِ
وساقياتٍ عليا تُطاعُ في كلِّ أمرِ
ويشتري رخيمٍ يزهو بجيدٍ ونحرِ
فذاكَ ثَمَّ وإنْ شئتُمْ أتينا بخمرِ
هذا وليسَ عليكمْ أُولى ولا وقتُ عصرِ

وقال محكم بن ورين

قوموا إلي دارِ لهوٍ وظلِّ بيتٍ دفينِ
فيهِ منَ الوردِ والمرْ زنجوشِ والياسمينِ
وريحِ مسكٍ ذكيٍّ وجيِّدِ الزرجونِ
قوموا فصيروا جميعاً إلي الفتى ابن رزينِ

فقال الحسين الخياط

قضتْ عنانُ علينا بأنْ نزورَ حسينا
وأنْ تقرّوا لديهِ بالقصفِ واللهِ عينا
فما رأينا كظرفِ الحسين فيما رأينا
قد قرّبَ اللهُ منهُ زيناً وباعدَ شينا
قوموا وقولوا أحزنا ما قدْ قضيتِ علينا

وقالت عنان

مهلاً فديتكَ مهلاً عنانُ أحرى وأولى
بأنْ تنالوا لديها أسنى النعيمِ وأحلى

فإنَّ عندي حرَاماً　　مِنَ الشّرابِ وحلاّ

لا تَطْمَعوا في سِوَائي　　مِنَ البَرِيَّةِ كلاّ

يا سادَتي خبِّرُوني　　أجازَ حكْمِي أمْ لا

فقالوا جميعا . قد أجزنا حكمك وأقاموا عندها ،، قال وكتبت عنان الى الفضل ابن الربيع

كُنْ لي هُدِيتَ إلى الخليفةِ سُلَّما　　نُوِّرتَ يا ابنَ وزيرِهِ من سُلَّمِ

حُثَّ الإمامَ على شرَايَ وقلْ لهُ　　رَيحانةٌ ذُخِرَتْ لأنفكَ فاشْمَمِ

وكانت عنان تتوقّى أبا نواس وتخاف مجونه وسفهه ،، وفيها يقول

عنانُ يا مَنْ تشبهُ العيبا　　أنتمْ علي الحبِّ تلومونا

حسنُكِ حسنٌ لا يُرَى مثلُه　　قـد تَرَكَ النّاسَ مجانينا

فتهيأت لأبي نواس وتصنعت له الى أن صار اليها فرأى عندها بعض وجوه أهل بغداد فأحب أن يخجلها فقال لها

ما تأمرين لصبّ　　يكفيه منكِ قطيره

فقالت　　بأيِّ تعني بهذ　　عينك وخلدها غيره

فقال　　إني أخاف وربي　　على يدي من عشيره

فقالت　　عليك أمك بكرٍ　　فإنَّ كيدي كبيره

وأخرجه وشيخ الخرجي [illegible] الرشيد وسعرها [illegible] من الدعي [illegible] اليه

وقال لها يا عنان، قالت لبيك يا سيدي قال * ما تأمرين لصب *

قالت قد مضى [illegible] في هذا أمير المؤمنين . قال خبرني كيف قلت [illegible]

[illegible] منك وخلدها غيره

فضحك الرشيد وطلبها من مولاها فاستام فيها مالاً جزيلا فردها

(عريب جارية المأمون)

وأنتمْ أُناسٌ فيكمُ الغدرُ شيمةٌ ... لكمْ أوجهٌ شتّى وألسنةٌ عشرُ

عجبتُ لقلبي كيفَ يصبو إليكمُ ... على عظمِ ما يلقى وليسَ لهُ صبرُ

(فضل الشاعرة) حدثنا القاسم بن عبد الله الحرانى قال كنت عند سعيد بن حميد الكاتب ذات يوم وقد افتصد فأتته هدايا فضل الشاعرة أهدت إليه ألف دجاجة وألف طبق رياحين وطيب وعنبر وغير ذلك فلما وصل ذلك كتب اليها ان هذا يوم لا يتم سروره الا بك وبحضورك وكانت من أحسن الناس ضرباً بالعود وأمليحهم صوتاً وأجودهم شعراً فأتته فضرب بينه وبينها حجاب وأحضر قوما ندماءه ووضعت المائدة وجيء بالشراب فلما شربنا أقداحا أخذت عودها فغنت بهذا الشعر والصوت لها والشعر والأبيات هذه

يا من أطاتُ تفرّسي ... في وجهه وتنفّسي

أفديكَ من متدلّلٍ ... يزهو بقتلِ الأنفسِ

هبني أسأتُ وما أسأ ... تُ بلى أقولُ أنا المسي

أحلفتني أنْ لا أسا ... رقَ نظرةً في مجلسي

فنظرتُ نظرةَ عاشقٍ ... أتبعتها بتنفّسِ

ونسيتُ أني قد حلفتُ ... فما يقالُ لمن نسي

وضربت أيضاً وغنت

عادَ الحبيبُ إلى الرّضا ... وصفحتُ عمّا قد مضى

من بعدِ ما لصدودِهِ ... شمتَ الحسودُ وعرّضا

نعسَ البغيضُ فلمْ يزلْ ... لصدودنا متعرّضا

هبني أسأتُ وما أسأ ... تُ فإنْ أسأتُ لك الرّضا

قال فما أتى عليّ يوم أسرّ من ذلك اليوم

(صاحبة الفرزدق) ذكروا أن الفرزدق كان مع أصحاب له فاذا هو بجارية مع مولاها فقال لأصحابه هل أصحل لكم هذه ، قالوا : نعم ، فقال

إنّ لي أيراً خبيثاً ... لونُهُ يحكي الكُمَيْتا

لو يرى في السّقفِ صَدْعاً ... لَتحوّلْ عنكبوتا

أو يرى في الأرضِ شقّاً ... صارَ حتّى يموتا

فقالت الجارية

زوّجوا هذا بألفٍ ... وأرى ذلك قوتا

قبلَ أنْ ينقلبَ الدّا ... ءُ فلا يأتي ويوتي

فخجل الفرزدق وانصرف (١)

(صاحبة جعفر بن يحيي بن خالد البرمكي) قالت

عزمتُ على قلبي بأنْ أكتمَ الهوى ... فصاحَ ونادى إنّي غيرُ عاقلِ

فإنْ حانَ موتي يا مُنى القلبِ فاعلموا ... وقرّرتُ من الموتِ إنّكَ قاتلي

(جارية البارقي) ذكروا أنها أنشدت في مجلس عمرو بن مسعدة

يا أحسن العالَمِ حتّى متى ... يرفعُ خطٌّ ويحطُّ

وكيفَ تمحاي وتحزُ الهوى ... مذ حقّ ليس له شطٌّ

وقالت

يدركُكِ الوصلُ فتنحو به ... أو يقطعُ الحزنُ فتنحطُّ

---

(١) ... في ... أبي ...

لنصي ، لأ ... بن تبي ... ه

(المغنية المليحة) قال علي بن الجهم : كنت في مجلس محمد بن عمرو بن مسعدة فأقبلت جارية كأنها البدر ليلة التمام بلون كأنه الدر في البياض مع احمرار خدين كشقائق النعمان فسلمت فقال لي محمد يا ابا الحسن هذه الجنة التي كنتم توعدون ، فقالت

وما الوعدُ يا سؤلي وغايةَ منيتي فإنَّ فؤادي من مقالك طائرُ

فقال لها محمد

أما وإلهِ العرشِ ما قلتُ سيئاً وما كانَ إلاّ أنني لكِ شاكرُ

فقال ابن الجهم

أمسكْ فديتُكَ عن عتابِ محمَّدٍ فهوَ المصونُ لودِّهِ المتحاذِرُ

فأقبلت تحدثنا فاذا عقل كامل وجمال فاصل وحسن قاتل وردف مائل فقلت : لقد أقرّ الله عيناً تراك ، فقالت : أقرّ الله أعينكم وزادكم سروراً وغبطة ثم اندفعت تغني بنغمة لم أسمع أحسن منها

أروحُ بهمٍّ من هواكَ مبرحٍ أناجي به قلباً كثيرَ التفكّرِ
عليكَ سلامٌ لا زيارةَ بيننا ولا وصلَ إلاّ أن يشاءَ ابنُ معمرِ

فما زلنا يوما ذلك معها في الفردوس الأعلى وما ذكرتها بعد ذلك الا اشتقت لها وأسفت عليها ،، محمد بن حماد قال كنا يوما عند اسحاق بن نجيح وعنده جارية يقال لها شادن موصوفة بجودة ضرب العود وشجو صوت وحسن حلق وظرف مجلس وحلاوة وجه وأخذت العود وغنت

ظبيٌ تكاملَ في نهايةِ حسنهِ فزها بمهجتهِ وتاهَ لصدِّهِ
فالشمسُ تطلعُ من فرندِ جبينهِ والبدرُ يغربُ في شقائقِ خدِّهِ
ملكَ الجمالَ بأسرهِ فكأنَّما حسنُ البريَّةِ كلّها من عندهِ
يا ربِّ هبْ لي وصلَهُ وبقاءهُ أبداً فلستُ بعائشٍ من بعدهِ

فطارت عقولنا وذهلت الناس من حسن غنائها وطربها فقلت : يا سيدتي من هذا الذي تكامل في الحسن والبهاء سواك ، فقالت

وإنْ تحتْ نالتني عيونٌ كثيرةٌ   وأصعفُ عن كتمانهِ حينَ أكتمُ

الأعرابيات

حدثنا ثعلب عن الفتح بن خاقان قال . لما خرج المتوكل الى دمشق كنت عديله فلما صرنا بقنسرين قطعت بنو سليم على التجار فأنهى ذلك اليه فوجه قائداً من وجوه قواده اليهم فحاصرهم فلما قربنا من القوم اذا نحن بجارية ذات جمال وهيئة وهي تقول

أميرَ المؤمنينَ سَمَا إليها   سُمُوَّ البَدْرِ مالَ بهِ الغريفُ

وإنْ تَسلمْ فعفوَ اللهِ نرجو   وإنْ نُقتَلْ فقاتلُنا شريفُ

فقال لها المتوكل . أحسنت . ما جزاؤها يا فتح ، قلت العفو والصلة ، فأمر لها بعشرة آلاف درهم وقال لها مري الى قومك وقولي لهم لا تردّوا المال على التجار فاني أعوضهم عنه .. الأصمعي قال خرجت إلى البادية فاذا أنا بخباء فيه امرأة فدنوت وسلمت فاذا هي أحسن الناس وجهاً وأعدلهم قامة وأفصحهم لساناً تحار فيها بصري واعترتني خجلة فقالت ما وقوفك . فقلت

هلْ عندَكمْ من محيصٍ اليوم تشرَبُه   أمْ هلْ سبيلٌ إلى تقبيلِ عينيك

فلستُ أبغي سوى عينيكِ منزلةً   أمْ هل تجودين لي عصاً بحدّيك

أو تأذنينَ بريق منكِ أرشفهُ   ولمسِ نصلكِ وتعميرِ ثدييك

وُدّي الحواتَ على من زادَهُ كلفاً   تكريرهُ الطرفَ في خدّيك يسبيك

فرفعت رأسها إليّ وقالت يا شيخ ألا تستحي ترجع الى هذا وترغب في مثلك

.. وقال بعضهم رأيت أعرابية بالساح وقلت لها . أنشدين . قالت نعم في مثلك ورب الكعبة . قلت : فأنشديني . فأنشأت تقول

لا بارَكَ اللهُ فيمَنْ كانَ يُخبِرُني ... أنَّ المُحبَّ إذا ما شاءَ ينْصَرِفُ

وَحَدُّ المُحِبِّ إذا ما بانَ صاحِبُهُ ... وَجْدُ الصبيِّ شَذَيْ أُمّهِ الكَلِفُ

قال قلت لها انشديني من قولك فقالت

بنفسي مَنْ هَواهُ على التنائي ... وطولُ الدَّهرِ مؤتنِفٌ جديدُ

ومَنْ هوَ في الصَّلاةِ حديثُ نفسي ... وعَدْلُ الرُّوحِ عِندي بل يزيدُ

فقلت لها ان هذا كلام من قد عشق . فقالت وهل يعرى من ذلك من له سمع

وقال ثم أنشدتني

ألا بأبي والله مَنْ ليسَ نافعي ... بشيءٍ ولا قلبي على الوجد شاكِرُه

ومَنْ كَبِدي تَهْفو إذا ذُكِرَ اسمُهُ ... بشيءٍ ومن قلبي على النأي ذاكِرُه

لهُ خفقانٌ يرفعُ الجيبَ بالشجى ... ويقطعُ أزرارَ الجُرْبانِ ثائرُه

قال وكتب عمر بن أبي ربيعة الى امرأة بالمدينة

برَزَ البدرُ في جوارٍ تهادى ... خَطِفاتِ الخصورِ مُعتجراتِ

فتنفَّستُ ثمَّ قلتُ ابتكرِ ... عُلِّلَتْ في الحياةِ لي حيّاتِ

هلْ سبيلٌ إلى التي لا أُبالي ... بعدَها أنْ أموتَ قبلَ وفاتي

فأجابته

قدْ أتانا الرسولُ بالأسبابِ ... في كتابٍ قدْ خطَّ بالترّهاتِ

حائرُ الطرفِ إنْ نظرتَ وماطرَ ... فاتَ عندي بصادقِ الطرباتِ

غرَّ غيري فقدْ عرفتُ لغيري ... عهدَكَ الحائنَ القليلَ الثباتِ

المتكلمات

حدّث عمر بن يزيد الأسدي قال ، مررت بخرقاء صاحبة ذي الرمة فقلت لها هل حججت قط ، قال . أما علمتُ أني منسك من مناسك الحج ما منعك أن تسلم علي أما سمعت قول عمك ذي الرمة

تمامُ الحجّ أنْ تقِفَ المطايا على خرْقاء واضعةَ اللِّثامِ

فقلت لها لقد أثر فيك الدهر . قالت . أما سمعت قول العجيف العقيلي حيث يقول

وخرْقاءُ لا تزدادُ إلاّ ملاحةً ولو عمِرتْ تعميرَ نوحٍ وجلّتِ

قال ورأيتها وان فيها لبقية وان ديباجة وجهها لطرية كأنها فتاة وانها لتزيد يومئذ على المائة ولقد حدّثت انه شبب بها ذو الرمة وهي ابنة ثمانين سنة ، وحدّث رجل من بني أسد قال أدركت ميا صاحبة ذي الرمة وكان الرجل أعور قال ورأيتها في نسوة من قومها فقالت أهذه مي" وأومأت اليها فقال نعم فقلت ما أدري ما كان يجد ذو الرمة منك وما أراك على ما كان يصف ، فتنفست الصعداء وقالت انه كان ينظر إليّ بعينين وأنت تنظر إليّ بعين واحدة وروى الأصمعي عن رجل من أهل الشام قال . قدمت المدينة فقصدت منزل ابن هرمة فاذا بنية له تلعب فقلت لها ما فعل أبوك . قالت وفد الى بعض الاخوان قلت فانحري لنا ناقة فانا أضياف . قالت والله ما عندنا شيء قلت فتصل ما قال أبوك . قالت [illegible] قالت [illegible]

كمْ ناقة قدْ وجأتُ منحرها [illegible] وجملِ

قالت [illegible]

أقطع [illegible]

وأمها حبشية [illegible] ما [illegible]

وات حبشية [illegible] منصوبة [illegible]

قطعت فى الاصوصية قال عليك وعلى أبيك لعنة الله ، وجاء الفرزدق فأخبر بالخبر فقال اشهد انها ابنتي ،، وأنشأ يقول

حمام إذا ما كنت ذا حمية بداري بنته صبية
صمحمح مثال أبي مكية

وحدث سليمان بن عباس السعدي قال كان كثير يأتي حاج أهل المدينة بقديد على ست مراحل ففعل عاما من الأعوام غير يومهم الذي نزلوا فيه فوقف حتى ارتفع النهار فركب جملا في يوم صائف ووافى قديداً وقد كل بعيره واتعب فوجدهم قد ارتحلوا وقد بقي فتى من قريش فقال الفتى لكثير اجلس قال فجلس كثير الى جنبي ولم يسلم على فجاءت امرأة وسيمة جميلة فجلست الى جنبه من خيام قديد واستقبلت كثيراً فقالت أنت كثير ، قال نعم ، قالت ابن أبي جمعة قال نعم ، قالت أنت الذي تقول

وكنت إذا ما جئت أجللن مجلسي وأظهرن مني هيبة لا تجهما

قال نعم ، قالت فعلى هذا الوجه هيبة ان كنت كاذباً فعليك لعنة الله والملائكة والناس أجمعين ، قال فضجر كثير وقال ومن أنت فسكتت ولم تجبه بشئ فسأل الموالي التي في الخيام عنها فلم يخبروه فضجر واختلط عقله فلما سكن قالت أنت الذي تقول

متى تنشرا عني العمامة تبصرا جميل المحيا أغفلته الدواهن

أهذا الوجه جميل ان كان كاذبا فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين فاختلط وقال لو عرفتك لفعلت وفعلت ولما سكن قالت له أنت الذي تقول

يروق العيون الناظرات كأنه هرقلي وزن أحمر التبر راجح

أهذا الوجه الذي يروق الناظرين ان كنت كاذبا فعليك لعنة الله والملائكة والناس أجمعين قال فازداد ضجراً واختلط وقال لو عرفتك و ما انقطعت وقومك هجاء ثم قام فاتبعته طرفي حتى توارى عني ثم التفت الى المرأة فاذا هي قد غابت عني فقلت لمولاة من بنات قديد لك الله علي ان أخبرتني من هذه المرأة أن أطوي لك ثوبي هذين اذا

قضيت حجي ثم أعطيكهما فقالت والله لو أعطيتني زنتهما ذهباً ما أخبرتك من هي هـذا كثير مولاي لم أحبره ، قال القرشي فرحت وبي أشد مما بكثير ،، قيل وقـدم كثير الكوفة وكان شيعياً من أصحاب محمد بن الحنفية فقال دلوني على منزل قطام ، قيل له : وما تريد منها ، قال : أريد أن أوبخها في قتـل علي بن أبي طالب صلوات الله عليه ، فقيل له . عد عن رأيك فان عقلها ليس كعقول النساء ، قال : لا والله لا انتهي حتى أنظر اليها وأكلها فخرج يسأل عن منزلها حتى دفع اليها فاستأذن فأذنت له فرأى امرأة برزة قد تحددت وقد حنا الدهر من قناتها فقالت من الرجـل ، قال كثير بن عبد الرحمن ، قالت : التيمي الخزاعي قال التيمي الخزاعي ، ثم قال لها : أنت قطام قالت نعم ، قال : أنت صاحبة علي بن أبي طالب صلوات الله عليه ، قالت بل صاحبة عبد الرحمن بن ملجم . قال أليس هو قتل علياً قالت بل مات بأجله قال والله اني كنت أحب أن أراك فلما رأيتك نبت عيني عنك وما ومقك قلبي ولا احلوليت في صدري . قالت أنت والله قصير القامة صغير الهامة ضعيف الدعامة كما قيـل : لأن تسمع بالمعيدي خير من أن تراه . فأنشأ كثير يقول

رأت رجلاً أودى السفار بجسمه ... فلم يبق إلا منطق وجناجن

قالت له لله درك ما عرفتك إلا [illegible] قال و[illegible] شعري وصرت [illegible] من [illegible] الكلام

وإن خفيت كانت لعينيك قرة ... وإن تبد يوماً لم يعممك عارها

من الخفرات البيض [illegible] ... وفي الحسب المحض الرفيع نجارها

فما روضة بالحزن طيبة الثرى ... يمج الندى جثجاثها وعرارها

بأطيب من أردان عزة موهناً ... وقد أوقدت بالمندل الرطب نارها

قال [illegible] سمعت شعراً [illegible]

[illegible] كما قال [illegible]

أَلمْ تَرَ أَنِّي كُلَّما جِئْتُ طارِقاً　　وَجَدْتُ بِها طِيباً وإِنْ لَمْ تَطَيَّبِ

قال : فلله درّ بلادك وخرج وهو يقول

أَلحقُّ أَبْلَجُ لا تَزِيغُ سبيلهُ　　والحقُّ يَعرِفُهُ ذَوُو الأَلبابِ

قال .، وقال المسيب راوية كثيّر : انطلق كثير مرة فقال لي . هل لك في عكرمة ابن عبد الرحمن بن هشام وهو يومئذ على حنظلة بن عمرو بن تميم ، فقلت نعم ، قال فخرجنا نريده حتى اذا صدرنا عن المدينة اذا نحن بامرأة على راحلة تسير فسرت حذاءها فقالت . أتروي لكثير شيئاً . قلت نعم . قالت أنشدني . فأنشدتها من شعره . فقالت أين هو . قلت هو ذاك الذي ترين على غير الطريق . فقالت بعد أن دنت منه قاتل الله روح عزة حيث يقول

لَعَمرُكَ ما رَبُّ الرِّبابِ كُثَيِّرٌ　　بفحلٍ ولا آباؤُهُ بفحولِ

فغضب كثير وسار وتركها ثم نزل منزلا فجاءت جارية لها تدعوه فأبى كثير أن يأتيها فقلت ما رأيت مثلك قط امرأة مثل هذه ترسل اليك فتأبي عليها فلم أزل به حتى أتاها قال فسفرت عن وجهها فاذا هي أجمل الناس وأكملهم ظرفا وعقلا واذا هي عاضرة أم ولد بشر بن مروان فصحبناها حتى كنا بزبالة فمالت بنا الطريق فقالت له هل لك أن تأتي الكوفة فأضمن لك على بشر الصلة والجائزة فأبى وأمرت له بخمسة آلاف درهم ولي بألفين فلما أخذنا الخمسة آلاف قال ما أصنع بشكيمة وقد أصبت ما ترى فذلك قوله حيث يقول

شَجَا أَظعانُ عاضرةَ الغَوادي　　بغيرِ مَشورةٍ عَرَضاً فُؤادي

أَعاضرَ لو رأَيتِ غداةَ بِنتُمْ　　حُنُوَّ العائداتِ على وِسادي

رَثَيتِ لعاشقٍ لمْ تَشكُميهِ　　جَوانِحُـهُ تلذَّعُ بالزِّنادِ

ـ الشكيمة ـ العطية و ـ الزناد ـ جمع زند وهو عود يقدح منه النار . قال الحكم ابن صخر الثقفي حججت فرأيت بأفرة امرأتين لم أر كجمالهما وظرفهما ونبالهما فلما

حججت وصرنا بأقرة اذا أنا باحدى الجاريتين قد جاءت فسألت سؤال منكر فقالت : فلانة . قالت : فداك أبي وأمي رأيتك عاماً أول شاباً سوقة والعام شيخاً ملكا وفي وقت دون ذلك ما تنكر المرأة صاحبها . فقالت : ما فعلت أختك . فتنفست الصعداء وقالت : قدم علينا ابن عم لنا فتزوجها فخرج بها الى نجد فذاك حيث أقول

إذا ما قفلنا نحو نجد وأهله فحسبي من الدنيا القفول إلى نجد

فقلت : أما انى لو أدركتها لتزوجتها . قال فداك أبي وأمي فما يمنعك من شريكتها في حسبها وشقيقتها في حسبها . قلت قول كثير

إذا وصلتنا خلة كي تزيلنا أبينا وقلنا الحاجبية أول

قالت : وكثير بيني وبينك أليس هو الذي يقول

هل وصل عزة إلا وصل غانية في وصل غانية من وصلها خلف

قال فتركت جوابها ولم يمض منه إلا القليل

محاسن النساء

قيل . أحسن النساء الرقيقة البشرة النقية اللون تضرب لونها بالغداة الى الحمرة وبالعشي الى الصفرة وقالت العرب المرأة الحسناء أرق ما تكون محاسن صبيحة عرسها وأيام نفاسها وفي البطن الثاني من حملها وقيل لاعرابي تحسن صفة النساء فقال نعم اذا عذب ثناياها وسهل خداها ونهد ثدياها وفعم ساعداها والتف فخذاها وعرض وركاها وجدل ساقاها فتلك هم النفس ومناها ووصف عربي امرأة فقال كأن وجهها السقم لمن رآها والبرء لمن نحاها وذكر أعرابي امرأة فقال رأيت لحسن في وجهها

صنائع نور ورشق السحر عن لحظها بأسهم حداد ولقد تأملت فوجدت للبدر نوراً من بعض نورها ،، وذكر اعرابى امرأة فقال هي شمس تباهي بها شمس سمائها وليس لي شفيع اليها غيرها في اقتناصها ولكني كتوم لبعض النفس عند امتلائها ،، وذكر اعرابى امرأة فقال ما أحس من حبها نعاساً ولا أنظر اليها إلّا اختلاساً وكل امرئ منها يرى ما أحب ،، وذكر اعرابى امرأة فقال لها جلد من لؤلؤ رطب مع رائحة المسك الأذفر في كل عضو منها شمس طالعة ،، ومما جاء في الحسن من الشعر ٠٠ قال عبد الله بن المعتز أنشدني أبو سهل اسماعيل بن عليّ لأبى الصواعق

ومريض طرف ايس يصرف طرفه … نحو المدى إلّا رماه بحتفه
طبى له نظر ضعيف كلما … قصد القوىّ أتى عليه بضعفه
قد قلت لما مرّ يخطر مائساً … والردف يجذب خصره من خلفه
يا من يسلّم خصره من ردفه … سلّم فؤاد محبّه من طرفه

قلت في هذا المعنى نحو هذا [illegible]

وجناة من جرح الفؤاد بطرفه … لأحدّثن قصائدي في وصفه
قمر به قمر السماء متيم … كالغصن يعجب [illegible] من [illegible]
إني عجبت لخصره من ضعفه … ماذا تحمّل من ثقالة ردفه
[illegible] وما أدري بأية فتنة … جرح الفؤاد ألطفه أم طرفه
[illegible] الصبا … من وجهه أم بالهوى من خلفه

وأنشد [illegible] لأبي [illegible]

[illegible] … من شدة قطّع أنفاسي
[illegible] … تشتكي من قلبه القاسي

أَغارُ أَنْ أَنعتَ منهُ الذي ... ينعتُهُ الناسُ منَ الناسِ

ولم أَرَ العشّاقَ قبلي رأَوا ... بوصلِ مَنْ يهوون من باس

كلُّ أحاديثي نَعتٌ لهُ ... منكشفٌ مني لجلاَّسي

فقلت في هذا المعنى وهذا الروي والوزن

لوْ عُشْرُ ما مرَّ على راسي ... مرَّ بصلدٍ حجرٍ قاسي

لانصدعتْ فيهِ صدوعٌ كما ... صدَّعَ قلبي طولُ وسواسي

يا غصنَ آسٍ ومخالٌ إذا ... قصرتْ تشبهتَ بالآس

ما ذا على طرفِكَ لوْ أَنّهُ ... أَعارَ لحظاً منهُ قرطاسي

ليتَكَ عللتَ بمطلٍ وإنْ ... قطّعَ رجائي منكَ باليأسِ

وقال آخر

وزائرةٍ يختثُّها الشوقُ طارقه ... أَتتنا من الفردوس لا شكَّ آبقه

إذا ماسَتْ قالَ للريحِ قدُّها ... كذ حرّكي لأغصانٍ بكسرِ صدقه

وقال آخر

قدْ أَقبلَ البدرُ في قرطقِهِ ... يسـ[illegible] عسفه

يسطو عليهِ اسمُ مقلتهِ ... لا بالذي [illegible] في مصطفه

وقال آخر

قالْ للمالحِ لحـ[illegible] ... و [illegible]

هل في [illegible] دي [illegible] ... و [illegible]

[illegible] لم روو عطشي ... [illegible]

يا مُقلةً أجفانها محشوةٌ بالأرقِ
بقيتِ في رقِّ الهوى شقيةً فيمن شقي

وقال آخر

يا ملاحَ الدلالِ والإغتناجِ ما أرى القلبَ من هواكُنَّ ناجي
أنتَ رزفنتَ فوقَ خديكَ صدغاً من عبيرٍ على صفائحِ عاجِ
أشرقتْ وجنتاكَ بالنورِ حتى أغنتا الخلقَ عن ضياءِ السراجِ
فعلتْ مقلتاكَ بالقلبِ مني فعلةَ القرمطيِّ بالحجاجِ
يا هلالاً أيستُ منهُ بصوءِ جنحِ ليلٍ من الظلامِ الداجي

وقال آخر

نشرتْ غدائرَ فرعِها لتظلني حذرَ العيونِ من العيونِ الرمقِ
فكأنها وكأنهُ وكأنني صبحانِ باتا تحتَ ليلٍ مطبقِ

وقال آخر

يا غزالاً وهلالاً وقضيباً وكثيبا
كم وكمْ أضمرُ وجداً لكَ مكتوماً عجيبا
كيفَ يرجو برءه من قد كتمَ الداءَ الطبيبا

وقال آخر

شمسٌ ممثلةٌ في خلقِ جاريةٍ كأنما بطنها طيُّ الطوامير
فالجسمُ من جوهرٍ والشعرُ من سبجٍ والثغرُ من لؤلؤٍ والوجهُ من عاجِ

وقال آخر

نبيجٌ دلالُ جارٍ في حسنهِ الطرفُ فمكرتهُ قبرٌ ومنطقهُ لطفُ

بديعُ جَمالٍ زانَهُ العقلُ والظَّرْفُ … سَماوِيُّ لونٍ لا يُحيطُ بهِ وَصفُ
لهُ رِيقةٌ علَّتْ بماءِ قرنفلٍ … يُمازِجُها التفّاحُ والخمرةُ الصِّرْفُ
تجسَّمَ في جِسْمٍ مِنَ النُّورِ ساطعٍ … تمكَّنَ في دِعصٍ ينوءُ بهِ رِدْفُ
على صَحْنِ خدَّيهِ بَهارٌ مُنوَّرٌ … ووَرْدٌ جنيٌّ لا يَليقُ بهِ القَطْفُ
تكاملَ فيهِ الحُسنُ والنُّورُ والبها … كَبَدْرِ الدُّجى إذْ تمَّ مِنْ شهرِهِ النِّصفُ
بَراهُ إلهي لي عذاباً وفِتنةً … وما عندَهُ عَذْلٌ ولا عندَهُ عطفُ

وقال آخر

لكَ مِنْ قلبيَ المكانُ المَصونُ … كلُّ لومٍ عليَّ فيكَ يَهونُ
قدَّرَ اللهُ أنْ أكونَ شقيّاً … بكَ والصبرُ عنكَ ما لا يكونُ
يا غزالاً بلحظهِ يفتِنُ النا … سَ وفي طرفِهِ الرَّدَى والمَنونُ
لاتَ صبرٌ وليسَ لي عنكَ صبرٌ … فأنا اليومَ هائمٌ محزونُ
قدْ خلعتُ العِذارَ فيكَ حبيبي … ما أُبالي بما رَمَتْني الظُّنونُ

وقال آخر

يا نظرةً جاءتْ على ياسِ … منْ ساحرِ المُقلةِ ميّاسِ
أطرافهُ تعقدُ من لينِها … وقلبُهُ كالحجرِ القاسي
يلومني النّاسُ على حبّهِ … أعانني اللهُ على النّاسِ

وقال آخر

يا ويحَ جسمٍ يذوبُ منْ قلقِه … منْ حبِّ منْ لمْ أقفْ على حَنَقِه
منْ حبِّ ظبيٍ مُهَفْهَفٍ لَبِقٍ … يهتزُّ مثلَ القضيبِ في ورقِه

لم ترَ عيني ولن ترى أبدًا ... أحسنَ من نحرِه ومن عنقه

كأنّما المسكُ حينَ تسحقهُ ... بماء وردٍ يفوحُ من عرقه

أو خمرةٌ في الزّجاجِ صافيةٌ ... شيبت بماء السّحابِ في نسقه

وقال آخر

أربعةٌ قرّحتْ فؤادي ... فطالَ وجدي وعيلَ صبري

مقلةُ خشفٍ وقدُّ غصنٍ ... وطيبُ وردٍ وحسنُ بدرِ

نفسي ومالي فداءُ ظبيٍ ... أذابَ جسمي وليسَ يدري

فمن لصبٍّ أسيرِ شوقٍ ... قتيلِ صدٍّ بسيفِ هجرِ

وقال آخر

وما ريحُ ريحانٍ بمسكٍ وعنبرٍ ... يُعلُّ بكافورٍ ودُهنةِ بانِ

بأطيبَ من ريّا حبيبي لو انّني ... وجدتُ حبيبي خاليًا بمكانِ

محاسن التزويج

روي ان رجلا أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله اني أريد أن أتزوج وادعُ الله أن يرزقني زوجة صالحة . فقال لو دعا لك جبريل وميكائيل وانا معهما ما تزوجت الا المرأة التي كتب الله لك وانه ينادي في السماء ألا ان امرأة فلان ابن فلان فلانة بنت فلانة ٠٠ وقال صلى الله عليه وسلم عليكم بالأبكار فانهن أطيب أفواهًا وأنتق أرحامًا ٠٠ وقال عمر رضي الله عنه عليكم بالأبكار واستعيذوا بالله من شرار النساء وكونوا من خيارهن على حذر ٠٠ قال الشاعر

لا تنكحن عجوزاً إن دعيت لها ... وإن حبيت على تزويجها الذهبا

فإن أتوك وقالوا إنها نصف ... فإن أطيب نصفيها الذي ذهبا

وقال آخر

عليك إذا ما كنت لا بدّ ناكحاً ... ذوات الثنايا الغرّ والأعين النجل

وكل هضيم الكشح خفّاقة الحشا ... قطوف الخطا بلهاء وافرة العقل

وقال الحارث بن كلدة لا تنكحوا من النساء إلا الشابة ولا تأكلوا من الحيوان الا الفتيّ ولا من الفاكهة إلّا النضيج ،، وقال مغيرة بن شعبة . حصنت تسعاً وتسعين امرأة ما أمسكت واحدة منهن على حب ولكني أحفظها بنصها وولدها فكنت استرضيهن بالباه شاباً فلما ان شخت وضعفت عن الحركة استرضيتهن بالعطية ،، وقال بعضهم لذّة المرأة على قدر شهوتها وغيرتها على قدر لذتها ،، وروى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال . انما النساء لعب فاذا تزوّج أحدكم فليستحسن ،، وروى عن عمر بن الخطاب رضى الله عنه انه قال . تزوّجها سمراء ذلفاء عيناء فان فركتها فعلي صداقها ،، وقال الحجاج بن يوسف من تزوّج قصيرة فلم يجدها على ما يريد فعلي صداقها . وروي عن عليّ صلوات الله عليه ان رجلا أتاه فقال انى تزوّجت امرأة محبونة . فقالت المرأة يا أمير المؤمنين انه يأخذني عند الجماع غشية ، فقال للرجل قد بدلك أهل ،، وفي حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم إيّاكم وخضراء الدّمن وهي المرأة الحسناء في المنبت السوء ،، وقال بعضهم لا تتزوّجن حنّانة ولا أنّانة ولا منّانة ولا عشبة الدار ولا كيّة القفا ـ فأما الحنّانة ـ فالتي قد تزوّجها رجل من قبل فهي تحنّ اليه ـ والأنّانة ـ التي تأن من غير علة ـ والمنانة ـ التي لها مال تمنّ به ـ وعشبة الدار ـ الحسناء في منبت السوء ـ وكية القفا ـ التي اذا قام زوجها من المجلس قال الناس فعلت امرأته كذا وفعلت كذا ، وقال محمد بن على رضى الله عنهما اللهم ارزقني امرأة تسرني اذا نظرت وتطيعني اذا أمرت وتحفظني اذا غبت ،، وروى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم

قال : اذا خطب أحدكم امرأة فلا جناح عليه ان ينظر اليها وان كانت لا تعلم ،، وقال بعض الشعراء فى تزويج الشبه

إذا أرَدْتَ حُرَّةً تبغيها كريمةً فانظرْ إلى أخيها

ينبيك عنها وإلي أبيها فإنَّ أشباهَ أبيها فيها

وقال آخر

إذا كنتَ مرتاداً لنفسك أيِّما لنحلك فانظرْ من أبوها وخالُها

فإنَّهما منها كما هيَ منهما كما النعلُ إنْ قيستْ بنعلٍ مثالِها

وقال آخر

إذا كنتَ عن عينِ الصبيةِ باحثاً فأنظر ترى عينَ الصبيِّ فذالكا

قال خالد بن صفوان لدلال أطلب لي امرأة بكراً أو ثيباً كبكر حصانا عند جارها ماجنة عند زوجها قد أدبها الغنى وذللها الفقر لا ضرعة صغيرة ولا عجوزاً كبيرة قد عاشت في نعمة وادركتها حاجة لها عقل وافر وخلق طاهر وجمال ظاهر صلتة الجبين سهلة العرنين سوداء المقلتين خدلجة الساقين لمّاء الخدين نبيلة المقعد كريمة المحتد رخيمة المنطق لم يداخلها صلف ولم يشن وجهها كلف ريحها أرج ووجهها بهج لينة الأطراف ثقيلة الأرداف لونها كالورق ونهدها كالحق أعلاها عسيب وأسفلها كثيب لها بطن مخطف وخصر مرهف وجيد أتلع ولب مشبع تتثنى تثني الخيزران وتميل ميل السكران حسنة المآق فى حسن التراق لا الطول أزرى بها ولا القصر ، قال الدلال استفتح أبواب الجنان فانك سوف تراها ،، وقال أيضاً لا تتزوج واحدة فتحيض إذا حاضت وتنفس إذا نفست وتعود اذا عادت وتمرض إذا مرضت ولا تتزوج اثنين فتقع فيما بين الجمرتين ولا تتزوج ثلاثاً فتقع بين ثافى ولا تتزوج أربعا فيحقرنك ويهرمنك ويفلسنك فقيل له : حلل حرمت ما أحل الله . فقال خمران وكوران وعيمان وعمادة لرحمن ،، ومن صالح بن حسان قال رأيت امرأة بالمدينة يقال لها حوّاء وهي

التي علمت نساء المدينة النقع وهو النخر والحركة والعرملة والزهر وكانت لهما سقيفة تتحدث اليها رحالات قريش ولم يكن في المدينة أهل بيت الا وتأخذ صبيانهم وتمصهم ثديها أو ثدي احدى بناتها فكان أهل المدينة يسمونها حوّاء ولم يكن بالمدينة شريف ممن يجلس في سقيفتها الا واوصل اليها في السنة ثلاثين وسقا وأكثر من طعام وتمر مع الدنانير والدراهم والخدم والكساء فجاءها ذات يوم مصعب بن الزبير وعمرو بن سعيد بن العاص وابن لعبد الرحمن بن أبي بكر فقالوا لها يا خالة قد خطبنا نساء من قريش ولسنا ننتفع إلّا بنظرك اليهن فارشدينا نصل علمك فيهن ، فقالت لمصعب يا ابن أبي عبد الله ومن خطبت ، قال : عائشة بنت طلحة . قالت فأنت يا ابن الصديق قال . أم القاسم بنت زكرياء بن طلحة ، قالت : فأنت يا ابن أبي أحيحة ، قال زينب بنت عمرو بن عثمان ، فقالت يا جارية عليّ بمنقليّ - تعني خفيها - فأتتها بهما فخرجت ومعها خادم لها فأتت عائشة بنت طلحة فقالت : مرحباً بك يا خالة . فقالت : يا بنية إنا كنا في مأدبة لقريش فلم تبق امرأة لها جمال إلا ذكرت وذكر جمالك فلم أدر كيف أصفك فتجرّدي لأنظرك فألقت درعها ثم مشت فارتج كل شيء منها ثم أقبلت على مثل ذلك فقالت : فداك أبي وأمي خذي ثوبك وأتتهن جمعاً على مثل ذلك ثم رجعت الى السقيفة فقالت يا ابن أبي عبد الله ما رأيت مثل عائشة بنت طلحة قط مثنية الى ... رجاء العينين هدبة الاشفار مخطوطة المتنين ضخمة العجيزة لفاء الفخذين مسرولة الساقين واضحة الثغر نقية الوجه فرعاء الشعر الا ان بيت جانبين هما أعيب ما رأيت فيها اما احداها فيواريها الخف وهي عظم القدم والأخرى يواريها خمار وهي عظم الأذن وأما أنت يا ابن أحيحة فما رأيت مثل زينب بنت عمرو وراءها بعد لا ... في وجه ردّه ولكنى مشيرة عليك أمر ستأنس اليه وهي ملاحة هبر ... وأما ... ابن الصديق فوالله ما رأيت مثل أم القاسم ما شبهتها إلا خوط بانة ... وحشف يتثنى على رمل ولم أرها إلا فوق الرحل واذا رددت على الرحل مرة ... خمس لا ... لا من يملأ المنكبين فتزوجوهن ،، وقال اعرابي في أحب ... وجه غير كسوه

ولو ركبتْ ما حرّمَ اللهُ لم يكن بأقبحَ عندَ اللهِ مما استحلّتِ

قال .. وكان بالمدينة رجل قد أعطي جودة الرأي ولم يكن فيها من يريد إبرام أمر إلّا شاوره فأراد رجل من قريش ان يتزوج فأتاه فقال انا اريد ان اضم إلي اهلا فأشر عليّ . قال : افعل تحصن دينك وتصن مؤونتك وإياك والجمال البارع . قال . ولم ينهني وانما هو نهاية ما يطلب الناس . قال : لأنه ما فاق الجمال إلا لحقه قول أما سمعت قول الشاعر

ولن تصادفَ مرعىً مونقاً أبداً إلّا وجدتَ بهِ آثارَ مأكول

قيل .. وكانت جارية من بنات الملوك تكره التزوج فاجتمع عندها نسوة فتذاكرن التزوج وقلن لها ما يمنعك منه . قالت وما فيه من الخير قلن وهل لذة العيش إلا في التزوج . قالت فلتصف كل واحدة منكن ما عندها فيه من الخير حتى اسمع . فقالت احداهن زوجي عون في الشدائد وهو عائدي دون كل عائد ان غضبت عطف وان مرضت لطف قالت نعم الشيء هذا . قالت الأخرى زوجي لما عناني كاف ولما اسقمني شاف عرقه المسك المداف وعناقه كالخلد ولا يمل طول العهد . قالت هذا حسن منه . قالت الأخرى زوجي الشعار حين ارد وأنيسي حين أفرد فتزوجت وقلن لها يا فلانة كيف رأيت . قالت انعم النعيم وسروراً لا يوصف ولذة ليس منها خلف

أمثال في التزويج

قيل ان اول من قال « لا همَّ انقيت ولا مالك ابقيت » الصعب بن أروى الكلاعي وذلك انه خرج من ارضه وقد سار اياما حار في تلك المفاوز التي تعسفها وتخلف عن أصحابه وبقي فرداً يعسف فيها ثلاثة ايام حتى دفع الى قوم لا يدري من هم فنزل عليهم وحدثهم وكان جميلاً وان امرأة من افاضل ولاتهم هويته فأرسلت اليه ان اخطبني فخطبها وكانوا

لا يروحون الا شاعرا أو رجلا يزجر الطير أو يعرف عيون الماء فسألوه فلم يحسن شيئاً
من ذلك فلم يروجوه فلما رأت المرأة ذلك روجته نفسها على كره من قومها فلبث فيهم
ما لبث ثم ان رجلا من العرب أغار عليهم في خيل فاستأصلهم فطير وانصب وأخرجوه
وامرأته وهي طامث فانطلقا واحتمل صب شيئا من ماء ومشيا يوما وليلة الى الغد حتى
اشتد الحر وأصابهما عطش شديد فقالت له ادفع إلي السقاء حتى اغتسل به فما ننتهي
الى الماء ونستقي فاغتسلت بما في السقاء ولم يقع منها موقعاً وأتيا العين فوجداها ناضبة
وأدركهما العطش فقال صب لا همك ابقيت ولا ماءك ابقيت فذهبت مثلا ثم استظلا تحت
شجرة كبيرة .. فأنشأ صب يقول

تالله ما طاقة أصابَ بها ... سواد قلبي قارعُ العطبِ
طَلٌّ كئيبَ الفؤادِ مضطرباً ... وتكتسي من عدائرٍ قلبِ
أن يعرفَ الماءَ تحت صُمّ صفا ... أو يخبرَ الناسَ منطق الخطبِ
أخرجني قومها بأن رحاً ... دارت بشؤمهم على قطبِ

فلما سمعت ذلك فرحت وقالت قم فارجع الى قومي فانك شاعر فانطلقا راجعين
حتى انتهيا اليهم فاستقبلوهم بالسيف والعصا فقال لهم صب اسمعوا شعري ثم ان بدا لكم
أن تقتلوني بعد فافعلوا فتركوه فصار فيهم عزيزاً .. وقيل ان أول من قال

* في الصيف ضيعت اللبن * فتول بنت عبد وكانت تحت رجل من قومها
فطلقها وابها رغبت في ان يراجعها فأبى عليها فلما يئست خطبها رجل يقال له عامر بن
شودب فتزوجها فلما بنى بها بدا للزوج الأول مراجعتها فهوي بها هوى شديداً
لطلبها ويرنو بطرفه اليها فقطنت به فقالت

أتركتني حتّى إذا ... علقت أبيض كالشطن
أنشأت تطلبُ وصلنا ... في الصيف ضيعت اللبن

فدهمت مثلا فقال لها روجها الأول واسمه الأشق فهل بقي شيء قالت نعم فاصله عن حميع مالك وطلاقي فان فعلته تزوجتك فرضي بذلك ثم راجع نفسه فقال لها ذلك فقالت أما اذا صنعت ما لك فانطلق الى مكان اذا أنت تكلمت سمع زوجي كلامي وكلامك ثم اقعد كأنك لا تشعر به وقل

أيحا اللهُ بنت العبدِ إنَّ وِصالها　　وِصالُ ملولٍ لا تدُومُ على بَعلِ

تُحدّثني أنْ سوفَ تقتلُ عامراً　　لأنْ لمْ يكن في مالهِ عامرٌ مثلي

فهيهات تزويجُ التي تقتلُ الفتى　　إذا ما أتت يوماً وإن كانَ من أجلي

فتقتلني يوماً إذا هَويت فتىً　　سِوايَ وإني اليومَ من وَصلِها مُخلي

فانطلق الأشق ففعل ما أمرته به فسمعه عامر فوقع في قلبه قوله وقد كان عرف حبها له فصدق ذلك ودخل عليها فطلقها وتزوجها الأشق .. وذكروا ان بطنا من قريش اشتد عليهم السنة وكانت فيهم جارية يقال لها زينب من أكمل نسائهم جمالا وأتمهن تماماً وشرفت فرآها شاب يقال له عروة فوقعت في قلبه فجعل يطالعها ولا يقدر على أكثر من ذلك فاشتد وجده بها فلما انقضت السنة وارادوا الرجوع الى منازلهم دنا بعض جواري الحي فقال يا بنة الكرام هل لك في يد تتخذين بها سيدي شكراً قال ما حوجني الى ذلك قال تطلقين الى خيمة فلانة كأنك تقتبسين ناراً فاذا انت جاست فقولي حيث سمع زينب

ألا هلْ لنا قبلَ التفرّقِ ليلةٌ　　ويومٌ فتقضي كلُّ نفسٍ مُناها

فصدقت خبره ففعلت ذلك فلما سمعت زينب قولها وكانت تفلي رأس زوجها وكان سيدا شيخا .. قالت مجيبة لها

لعمري لقد صادَ الإقامةَ هاهنا　　لو انّ الحبَّ حاجةٌ اقتضاها

فسمع حولها زوج قول جاريته وجواب زينب فقال

أَلا يَعلمُ الزَوجُ المُقلّى بأَنَّها رِسالةُ مشغوفِ الفؤادِ رَجاها

فانتبه الروح لأمرهم وعرف ما أرادت فقال

لَحى اللهُ مَن لا يستقيمُ بودِّهِ ومَن يمنحُ النفسَ الطَروبَ هَواها

انطلقي يا زينب فانت طالق فخرجت من عنده وبعثت الى عروة فاعلمته وأقامت حتى انقضت عدّتها ثم تزوجته

في الناشزة

ذكروا ان الأخطل كانت عنده امرأة وكان بها معجباً فطلقها وتزوج بمطلقة رجل من بني تغلب وكانت بالمعاني معجبة فبينا هي ذات يوم جالسة مع الأخطل اذ ذكرت زوجها الأول فتنفست الصعداء ثم ذرفت دموعها فعرف الأخطل ما بها فذكر امرأته الأولى وأنشأ يقول

كِلانا على وَجدٍ تَبيتُ كأَنَّما بجنبيهِ من مَسِّ الفراشِ قُروحُ

على زوجها الماضي تنوحُ وزوجُها على الطَلّةِ الأُولى كذلك ينوحُ

قيل .. وخاصمت امرأة زوجها الى زياد فجعلت تعيبه وتقع فيه . فقال الزوج أصلح الله الأمير ان شرّ المرأة كبرها ان المرأة اذ كبرت عقم رحمها وبذأ لسانها وساء خلقها والرجل اذا كبر استحكم رأيه وقل جهله . قال صدقت وحكم له بها .

وذكروا ان امرأة أتت عبيد الله بن زياد وكانت ذات شحم وجسم وجمال مستعدية على زوجها وكان أسود دميم الخلقة فقال ما هذه المرأة تشكوك . قال أصلح الله الأمير سلها عما ترى من جسمها وشحمها أمن طعامي أم من طعام غيري . قالت من طعامه اقتدر على الطعام اطعمنيه والكلا تأكل قال سلها عن كسوتها من مالي هي أم من مال غيري . قالت من مالك ادمن على ثوب كسوتنيه . قال وسلها عمن في بعلها من

هو أم من عيري • قالت منك ووددت انه في بطني من كلب • قال الرجل اصلح الله الأمير فما تريد المرأة الا أن تُطعم وتُكسى وتُنكح • قال صدقت لله بيدها •• قال خرج رجل مع قتيبة بن مسلم الى خراسان وخلّف امرأة يقال لها هند من أجمل نساء زمانها فلبث هناك سنين فاشترى جارية اسمها حمامة وكان له فرس تسميه الورد فوقعت الجارية منه موقعاً فأنشأ يقول

ألا لا أبالي اليومَ ما فعلتْ هندُ ... إذا بَقيتْ عندي الحمامةُ والوَرْدُ

شديدٌ مناطِ القُصْرَيَين إذا جَرَى ... وبيضاءُ مثلِ الرِّئمِ زيَّنها العِقْدُ

فهذا لأيَّامِ الهياجِ وهذهِ ... لحاجةِ نفسي حين ينصرفُ الجُنْدُ

فبلغ ذلك هند فكتبت اليه

ألا أقرهِ مني السَّلامَ وقُلْ لهُ ... غَنِينا بفتيانٍ غطارفةٍ مُرْدِ

بهذا أميرُ المؤمنينَ أميرُهُمْ ... سَنَاناو أعمالكمْ أرادَ الجُنْدِ

إذا شاءَ منهمْ ناشئٌ مدَّ كفَّهُ ... إلى كَبِدٍ ملساءَ أو كَفَلٍ نَهْدِ

فلما قرأ كتابها ثنى به الى قتيبة فأعطاه إياه فقال له أبعدك الله هكذا يعمل بالحرة وأذن له في الانصراف •• قال وسمع عمر بن الخطاب امرأة تنشد وتقول

فمنهنَّ من تُسقى بعذبٍ مبرَّدٍ ... نقاخٍ فتلكمْ عندَ ذلكَ قرَّتِ

ومنهنَّ من تُسقى بأخضرَ آجنٍ ... أجاجٍ ولولا خشيةُ اللهِ فرَّتِ

فأمر باحضار زوجها فوجده متغير الفم فخيره جارية من المغنم او خمسة مائة درهم على طلاقها فاختار الخمسمائة فدفعها اليه وخلّى سبيلها •• وحكى عن الفضل بن الربيع انه كان بمكة ومعه لعبة رحيّي وكان الفضل صبيحاً ظريفاً والفرج دميما قبيحاً فخرجا في الطواف ثم انصرفا في بعض طرقات مكة وقعدا يتعديان فبينما هما كذلك على طعامهما اذ وقفت عليهما امرأة جميلة بهية حسنة شكلة وعليها برقع فرفعته عن

وجهها فاذا وجه كالدينار وذراع كالجمار فسلمت وقعدت وحملت تأكل معهما قال الفضل فأعجبني ما رأيت من جمالها وهيئتها فقلت هل لك من بعل، قالت : لا ، قلت ، فهل لك في بعل من أصحاب أمير المؤمنين حسن الخَلق والخُلق ، قالت وأين هو ، فأشار الى فرج فقالت حوائك عند فراغنا فلما أكلت قالت للفضل . تقرأ شيئاً من كتاب الله قال : نعم ، قالت أفتؤمن به ، قال نعم ، قالت فان الله يقول (ومن يَكُن الشَّيطانُ له قَرِيناً فساء قَرِينا) فضحك الفضل ودخل على الرشيد فأخبره فأمر باحضارها فلما نظر اليها اعجب بها فتزوجها وحملها الى مدينة السلام . قال وخرج اسماعيل بن طريح فوقفت عليه أعرابية جميلة قال فقال لها هل لك أن تزوجيني نفسك ، فقالت من غير توقف

نكى الحسبُ الزَّاكي بعينٍ عزيزةٍ من الحسبِ المنقوصِ أن يجمعا معا

وانصرفت .، قال العتبي كنت كثير التزوج فمررت بامرأة فأعجبني فأرسلت اليها ألك زوج ، قالت لا ، فصرت اليها فوصفت لها نفسي وعرفتها موضعي فقالت حسبك قد عرفناك . فقلت لها زوجيني نفسك ، فقالت نعم ولكن هاهنا شئ تحتمله ، قال وما هو ، قالت بياض في مفرق رأسي قال فانصرفت فصاحت بي ارجع فرجعت اليها فاسفرت عن رأسها فنظرت الى وجه حسن وشعر أسود فقالت انا كرهنا منك عافاك الله ما كرهت منا ،، وأنشدت

أرى شيبَ الرِّجالِ من الغواني بموضع شيبهنَّ من الرِّجال

وعن عطاء بن مصعب قال جاءت امرأة الى عمر بن الخطاب رضي الله عنه فقالت يا أمير المؤمنين لا انا ولا زوجي . فقال لها ومن زوجك قالت فلان فأمر باحضاره فأحضر فاذا رجل قذر الثياب قد طال شعر جسده وأنفه ورأسه فأمر عمر ان يؤخذ من شعره ويدخل الحمام ويكسى ثوبين أبيضين ثم يؤتى به ففعل به ذلك ودعا المرأة فلما رأت الزوج قالت الآن ، فقال لها عمر اتقي الله وأطيعي زوجك ، قالت افعل يا أمير المؤمنين ، فلما ولت قال عمر اصنعوا للنساء فهن يحببن منكم

ماتحبون منهن .. ويقال ان المرأة تحب اربعين سنة وتقوى على كتمان ذلك وتبغض يوما واحداً فيظهر ذلك بوجهها ولسانها والرجل يبغض أربعين سنة فيقوى على كتمان ذلك وان أحب يوما واحداً شهدت جوارحه

نساء الخلفاء

على بن محمد بن سليمان قال · ابى يقول كان المنصور شرط لأم موسى الحميرية أن لا يتزوج عليها ولا يتسرّى وكتبت عليه بذلك كتابا اكدته وأشهدت عليه بذلك فبقى مدة عشر سنين فى سلطانه يكتب الي الفقيه بعد الفقيه من أهل الحجاز واهل العراق وجهد أن يفتيه واحد منهم في التزوج وابتياع السراري فكانت أم موسى اذا علمت مكانه بادرته وأرسلت اليه بمال فاذا عرض عليه ابو جعفر الكتب لم يفته حتى ماتت بعد عشر سنين من سلطانه ببغداد فأتته وفاتها وهو بحلوان وأهديت اليه مائة بكر وكان المنصور أقطع أم موسى الضيعة المسماة بالرحبة فوقفتها قبل موتها على المولدات الاناث دون الذكور فهي وقف عليهن الى هذا الوقت .. حدثنا يحيي بن الحسن عن محمد بن هشام قاضي مكة قال كانت الخيزران لرجل من ثقيف فقالت لمولاها الثقفي انى رأيت رؤيا قال وما هي . قالت رأيت كأن القمر خرج من قبلي وكأن الشمس خرجت من دبري . قال لها ستلدين خليفتين فقدم بها مكة فباعها فى الرقيق فاشتريت وعرضت على المنصور فقال من اين أنت قالت المولد مكة والمنشأ بجرش قال فلك أحد قالت مالي أحد إلا الله وما ولدت أمي غيري قال يا غلام اذهب بها الى المهدي وقل له يصلح للولد فأتى بها المهدي فوقعت منه كل موقع فما ولدت موسى وهرون قالت ان لي أهل بيت بجرش . قال ومن هم ، قالت في أخوات اسمهما أسماء وسلسل ولي ام واخوان فكتب فأتي بهم فتزوج جعفر بن المنصور سلسل فولدت منه زبيدة واسمها سكينة تزوجها الرشيد بعدما كبرت وقال المهدي بالخيزران قد ولدت رجلين وقد بايعت لهما وما أحب أن

تبقين أمة وأحب أن اعتقك وتخرجين الى مكة وتقدمين فأتزوجك ، قالت : الصواب رأيت ، فاعتقها وخرجت الى مكة فتزوج المهدى اختها أسماء ومهرها ألف ألف درهم فلما أحس بقدوم الخيزران استقبلها فقالت : ما خبر اسماء وكم وهبت لها ، قال : من اسماء قالت : امرأتك . قال . ان كانت اسماء امرأتي فهى طالق ، فقالت له : طلقتها حين علمت بقدومي ، قال : اما إذ علمت فقد مهرتها ألف ألف درهم ووهبت لها ألف ألف درهم ثم تزوج الخيزران ،، قال . كانت نخلة جارية الحسين الخلال قبل أن يتولى المتوكل الخلافة تقعد بين يديه وتغنيه فولدت للحسين ابناً فلما ولي المتوكل الخلافة طرقه ليلا فقال له الحسين ربما جعلت فداك ، قال اشتهيت أن أسمع غناء نخلة فأخرجها اليه مطمومة الشعر فقال يا خلال أليس قد ولدت منك ابناً ، قال بلى ، قال فأنا أحب أن تعتقها ، قال فانها حرة ، قال فاشهد اني قد تزوجتها قومي يا نخلة ، فاستدعت على الحسين فعوضه منها خمسة عشر ألف دينار وحول اليه نخلة ،، قيل ووصف المتوكل ابنة لسليمان بن القاسم بن عيسى بن موسى الهادى وعدة من الهاشميات فحملن اليه وعرضن عليه فاختارها من بينهن وصرف البواقي وبرات منه منزلة حتى ساوى بينها وبين قبيحة فى المنزلة وكانت جارية لها لباقة وملاحة ووصفت له رابطة بنت العباس بن علي فحملت اليه فتزوجها ثم سألها ان تطم شعرها وتتشبه بالمماليك فأبت عليه فأعلمها أن لم تفعل فرقها فاختارت الفرقة فطلقها ووصفت له عائشة بنت عمرو بن الفرج الرخجي فوجه في جوف الليل والسماء تهطل الى عمر أن احمل إلي عائشة فسأله أن يصفح به ، فأبى فتقدمه بأمره فأتى فانصرف عمر وهو يقول اللهم قني شر عبدك جعفر ثم جامع ليلته فوصفها ثم ردها الى منزل أبيها ،، قال وكان الهادى يشاور من اصحابه عبد العزيز بن موسى وعبد الله بن دينار والعزيري وعبد الله بن مالك فخرج ذات يوم اليهم وهو مغضب كأنه جمل هائج مسبح الأوداج منتقع اللون فأقبل حتى جلس في مجلسه وكان العزيري أجرأهم عليه فقال يا أمير المؤمنين انا نرى بوجهك ما يكدر دابة عيشنا وانقص انفسنا به فان رأى أمير المؤمنين أن يخبرنا بالسبب وان كان سبب حدث أعلمناه به وان يكن مسترخياً فيها ... وان أمكن احتمال الغم عنه وقيناه بأنفسنا وحملنا الغم عنه فقد قصر و طويلا والعزيري.

قائم فقال له اجلس يا عزيزي فاني لم أر كصاحب الدنيا قط أكثر آفات وأعظم نائبة ولا أنغص عيشاً ، قال العزيزي : وما ذاك يا أمير المؤمنين ، قال : لبابة بنت جعفر بن أبي جعفر قد علمتم موقعها مني وإيثارها عندي كلمتني بادلال فاغلظت فلم يكن لها عندي احتمال ولا عندها إقصار حتى وثبت عليها وضربتها ضربا موجعاً ، قال وسكت فقال ابن دأب : يا أمير المؤمنين انك والله لم تأت منكراً ولا بديعاً قد كان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يؤدّبون نساءهم ويضربونهن هذا الزبير بن العوّام حوّاري رسول الله صلى الله عليه وسلم وابن عمته وثب على امرأته اسماء بنت أبي بكر وهي أفضل نساء أهل زمانها فضربها في شيء عتب عليها فيه ضربا مبرحا حتى كسر يدها وكان ذلك سبب فراقها وذلك انها استغاثت بولدها عبد الله فجاء يخلصها من أبيه فقال هي طالق ان حلت بيني وبينها ففعل وبانت منه وهذا كعب بن مالك الأنصاري عتب على امرأته وكانت من المهاجرات فضربها حتى حال بنوها بينه وبينها فقال

فلولا بنوها حولَها لَخَطَتُها كخبطةِ فرُّوجٍ ولم أتلعثمِ

قال . فسُرِّي عن موسى الغضب وطابت نفسه ودعا بالطعام فأكلنا وأمر له بعشرة آلاف درهم وثلاثين ثوبا فتابعت وبحثت من انقطاعي عن الحديثين وهما في بالي وان اعلم بهما منه



المطلقات

قيل كانت أم الحجاج بن يوسف الفارعة بنت همام بن عروة بن مسعود وكانت عند المغيرة بن شعبة فرآها يوما تخلل بكرة فقال أنت طالق والله لئن كان هذا من غداء يومك لقد شرهت وان كان من عشاء امسك لقد نتنت فقالت لا سعد الله غيرك والله ما هو إلا من السواك فخلف عليها بعده يوسف ابو الحجاج فولدت الحجاج ..

وفيه سعار منه

أهاجتك الظعائنُ يومَ بانوا ... بذي الزيّ الجميلِ من الأثاثِ

ظعائنُ أسلكت نقب المنقّى ... تحثّ إذا ونت أيّ احتثاثِ

كأنّ على الحدائجِ يومَ بانوا ... نعاجاً ترتعي بقل البراثِ

تؤمّلُ أن تلاقي أهلَ بصرى ... فيا لك من لقاء مستراثِ

تهيّجنا الحمامُ إذا تداعى ... كما سجع النوائحُ بالمراثي

وفي زينب أخت الحجاج يقول النميري

ولم ترَ عيني مثل سربٍ رأيته ... خرجن من التنعيم معتمراتِ

ولما رأت ركب النميريّ أعرضت ... وكنّ من أن يلقينه حذراتِ

تضوّع مسكاً بطن نعمان إذ مشت ... به زينبٌ في نسوة عطراتِ

مررن بفخٍّ ثم رحن عشيّة ... يلبّين للرحمن مؤتجراتِ

دعت نسوة شمّ العرانين بدّنا ... نواعم لا شعثاً ولا غبراتِ

فأدنين لما قمن يحجبن دونها ... حجاباً من القسيّ والحبراتِ

أحلّ الذي فوق السموات عرشه ... أوانس بالبطحاء معتجراتِ

يخبّين أطراف البنان من التقى ... ويخرجن بالأسحار معتمراتِ

عوانة عن محمد بن زياد عن شيخ من كندة قال خرج الحارث بن سليل الأسدي زائراً لعلقمة بن خصفة الطائي فلما قدم عليه نظر ابنة له يقال لها الزباء وكانت من أجمل نساء أهل عصرها فأعجب بها فقال لأبيها أتيتك زائراً وقد ينكح الخاطب ويكرم الطالب ويفلح الراغب ، فقال انت امرؤ كريم يقبل منك الصفو ويؤخذ منك العفو فقم فنظر في أمرك ثم انكفأ الى أهله فقال ان الحارث بن سليل سيد قومه منصباً وحسباً وبيتاً فلا ينصرفن من عندنا الا بحاجته وأريدي ابنتك عن نفسها لخاطب بالزباء فقالت

يا بنية أي الرجال أحب اليك الكهل الجحجاح الفاصل المباح أم الفتى الوضاح . قالت . الزمور الطماح . قالت يا بنية ان الشيخ يميرك ولا يغيرك وليس الكهل الفاصل الكثير النائل كالحدث السن الكثير الطل . قالت يا أماه احشى الشيخ ان يدنس ثيابي ويشمت بي اترابي ويبلي شبابي . قال فلم تزل بها أمها حتى غلبتها على رأيها فتزوجها الحارث بن سليل على خمسين ومائة من الابل وألف درهم وابتنى بها ثم رحل بها الى قومه فبيناهو جالس ذات يوم وهي الى جانبه اذ أقبل فتية من بني أسد يتعاورون يتحترون فلما نظرت اليهم تنفست الصعداء وبكت فقال . ماشأنك . قالت . مالي وللشيوخ الناهضين كالفروخ قال . ثكلتك أمك تجوع الحرة ولا تأكل بثدييها فذهبت مثلا أما وأبيك لرب غارة شهدتها وسبية أردفتها وخمرة شربتها إلحقي بأهلك فأنت طالق .. وقال

تهزأت أن رأتني لابساً كبرا ... وغاية الناس بين الموت والكبر

فإن يكن قد علا رأسي وغيره ... صرف الزمان وتغيير من الشعر

فقد أروح للذات الفتى جذلاً ... وقد أصيد بها عيناً من البقر

عني اليك فإني لا توافقني ... عور الكلام ولا شرب على الكدر

قال . وقال الحجاج لابن القرية ما تقول في التزويج قال وجدت أسعد الناس في الدنيا وأقرهم عيناً وأطيبهم عيشا وأنعمهم سروراً وأرخاهم بالا وأشبهم شانا من رزقه الله زوجة مسلمة أمينة عفيفة حسنة لطيفة نظيفة مطيعة ان أمرها زوجها وجدها أمينة وان قتر عليها وجدها قنعة وان غاب عنها كانت له حافظة تحدر وجها أبداً ناعماً وجارها ساكن وقد كفى الامر بين صهر قد ستر حلمها جهلها وزين دينها عقلها فتلك كالريحانة والتحفه من يجدها وكاللؤلؤة التي لا تثقب والمسكة التي لا تفتق قوامة صوامة صاحكة سمحة ان سرت شكرت وان عسرت صبرت فقد فاز وأنجح من رزقه الله مثل هذه وثانيها من مرده ... على الشيخ الضعيف نحره في الارض جرا فعقلها مشغول وجده ... مردود وقصها مهزول . قال يا ابن القرية قم الآن

فاخطب لي هنداً بنت أسماء ولا تزيدن على ثلاث كلمات فأتاهم فقال : جئت من عند من تعلمون والأمير يعطيكم ما تسئلون افتنكحون أم تدعون . قالوا : انكحنا وعمنا فرجع الى الحجاج فقال . أصلح الله الأمير صلاح من رضي عمله ومدّ في الخيرات أجله وبلغ به أمله جمع الله شملك وأدام طولك وأقرّ عينك ووقاك حينك وأعلى كعبك وذلل صعبك وحسن حالك على الرفاء والبنين والبنات والتيسير والبركة وأسعد السعود وأيمن الجدود وجعلها الله ودوداً ولوداً وجمع بينكما على الخير والبركة فتزوجها الحجاج ثم انه دخل ذات يوم عليها وهي تقول

وما هندُ إلاّ مُهرةٌ عربيةٌ سليلةُ أفراسٍ تحللها بغلُ

فإن نتجت مُهراً كريماً فبالحرى وإن يك إقرافٌ فما أنجب الفحلُ

فخرج من عندها مغضباً ودعا ابن القرّية ودفع اليه مائة ألف درهم وقال ادخل على هند وطلقها عني ولا ترد على كلمتين وادفع اليها المال . فحمل ابن القرّية المال ودخل عليها فقال . ان الأمير يقول كنت فبنت وهذه المائة ألف صداقك . فقالت يا ابن القرّية ما سررت به إذ كان ولا جزعت عليه إذ بان وهذا المال بشارة لك بما جئتنا به . فكان القول أشد على الحجاج من فراقها .. وذكروا أن عبد الرحمن بن أبي بكر الصديق رضي الله عنه كانت عنده عاتكة بنت زيد بن عمرو بن نفيل فأحبها حباً شديداً فأمره أبوه بفراقها وان يطلقها تطليقة واحدة ففعل ثم ندم على فعله فقال

فلم أرَ مثلي طلّقَ اليومَ مثلَها ولا مثلَها في غير جرمٍ تُطلّقُ

لها خلقٌ سهلٌ وحسنٌ ومنصبٌ وخلقٌ سويٌّ ما يعابُ ومنطقُ

أعاتكَ قلبي كلَّ يومٍ وليلةٍ إليكِ بما تُخفي النفوسُ معلّقُ

أعاتكَ ما أنساكِ ما ذرَّ شارقٌ وما لاح نجمٌ في السماء محلّقُ

فسمع ابو بكر ذلك فرقّ له وأمره بمراجعتها .. وعن علي بن عبيدة حدثني أبي قال خرجت ومعي اعرابي ونمضي الى موضع يقال له بصيرة من مصر دخلنا

متعرهين فأكلنا وشربنا فقال الاعرابي : قل بيت شعر فقلت

نلنا لذيذ العيش في نطياتنا

فقال الاعرابي لما حششنا أقدحاً ثلاثا

فقال النبطي وامرأتي طالق ثلاثا

وما زال يبكي حتى الصباح فقلت له · ما يبكيك ، فقال دهبت امرأتي بقافية ،،

قال اسحاق بن ابراهيم الموصلي " كنت انا والحسين بن الضحاك يوما عند المعتصم وحضرت قينة تعرض عليه فاعجب بها فقال للمديين · كيف ترونها ، فقال احدهم · امرأته طالق ان كان رأى مثلها ، وقال آخر امرأته طالق ان لم ، وسكت فقال المعتصم · ان لم ، قال . لا شئ . فضحك وقال له · ويحك ما دعاك الى طلاق أهلك بلا سبب ، فقال : يا أمير المؤمنين كلما قد طلق امرأته بلا سبب ،، ومما قيل في ذلك من الشعر

رحلت أمية بالطلاق ومحوت من رق الوثاق
بانت فلم يجزع لها قلبي ولم تدمع مآقي
لو لم أرح بفراقها لأرحت نفسي بالإباق
وحصيت نفسي لا أريد حليلة حتى التلاقي

وقال آخر

رأت أثاثها وطمعت فيها وقد نصبت اميرك بالأثاث
فطالق وعد النفس عنها سريعاً إن نفسك في التواث
وإلا فالسلام عليك إني سآخذ من عدلك في المراثي

*

محاسن وفاء النساء

قال الكسروي كتب بلاش بن فيروز الى ملك الهند يخطب ابنته فلم يتم له ورد رسوله خائبا فتجشم وسار اليه في خيله ورجله فلما اصطفت الخيلان دعاه بلاش الى المبارزة وقال انه عار على الملوك ان يوردوا جنودهم الهلاك ويصونوا انفسهم فبرز اليه ملك الهند فاختلفت بينهما ضربتان قدمت بلاشاً حصانة درعه وضرب بلاش الهندي على عاتقه فقطع حمله حتى انتهى السيف الى سندوته فخر ميتاً وانهزمت خيله فافتتح بلاش مدينته وامر ثقاته فاحدقوا بقصر ابنة الملك فلما احتوى على أمواله بعث الى ابنة الملك أن تأتيه فقالت للرسول وهي تبكي قل للملك المرشد بالحلم المحسن في رعيته السعيد بالظفر انك قد ملكتني وصرت ممن يستحق عطفك ورأفتك فان رأيت أن تطيب نفساً عن النظر إلي حتى ترجع الى دار مملكتك فافعل . فانصرف الرسول الى بلاش واخبره فاجابها الى ما سألت وسار وحملها حتى قدم دار المملكة فهيأ لها مقصورة مفردة عن سائر حرمه فانزلها فيها وأمر لها بتعليق الديباج وفاخر الجوهر واسفاط من الذهب والصلاة والجوائز والأثاث مما يأمر لغيرها من نسائه واستأذنها في الدخول عليها فأذنت له فدخل عليها وأقام عندها تسعة أيام ولياليها مجتمعاً معها لا يخرج اليها حوائج ولا يخف عن صدره شيء خرج من عندها اليوم الثامن وقد وقع في قلبه ما أضمرت من حجة محبته عليها وانت اشهر لا يدخل عليها فقالت يوما لخاصتها ما أعجب أمر الملك بذل دمه في طلبي حتى اذ ظفر بي سلا عني اطلقي حتى تسألي عن عدة نسائه وبين اكرم عليه وبني بعد ذلك . فا ... حتى عرفت ذلك وانصرفت فقالت انى وجدت له اربعة نساء ما بين امة وحرة وليس فيهن أكرم عليه من امة سائس من سوسه يحبه وتزوجها فقالت ... اليها واقرئيها مني السلام واعلميها اني اريد مؤاخاتها ولا اعطيها الا ... فمضت الخاصة الى امة السائس فابلغتها رسالة مولاتها . فقالت لها اقرئيها مني السلام واعلميها اني قد حسبها وأحببتها الى ما سألت فصيري إلي فانصرفت واخبرتها بقولها فوثبت حتى هيئة

وأقبلت اليها ودخل عليها ورفعت مجلسها وأقبلت عليها فذكرت حبها لها ورغبتها فى مواصلتها فردت عليها ابنة السائس أحسن رد وأسلمتها سرورها بذلك ثم تحدثتا ساعة وانصرفت وجعلت الهدية تأتيها عنها وتظهر الأنس بها فلما أنست بها قالت لها انك قد استملت قلب الملك وقهرت جميعنا بفضلك وليس لواحدة منا نصيب فاعلمينا الأمر الذي فضلتينا به لنزداد سرورا بما أوتيت ومحبة لك والانقطاع اليك . قالت انى لما عرفت ضعف نسبي وقلة حالي علمت انه لا يرجع الملك منى الى شئ أحظى به عنده من المؤاتاة في الخلوة وان انبسطه اذا هم بالحركة واستميل قلبه باللطف وفضل الخدمة والمدارآة على ذلك مستمرة ورأى من سائر نسائه أبنة الأكفاء وزهو الجمال وخيلاء الملك وعلمت انى ان أحدث ما أحدثه مع خمول نسبي وقلة حالي ودقة خطرى لا يلحق بى مثل الذي يلحق من فضلي على جميع نسائه بذلك . فلما سمعت ابنة الملك ذلك علمت ان قلوب الرجال لا تستمال إلا بالمؤاتاة وسرعة الاجابة في الباه عند المشغلة فعزمت أن تحمل ذلك عدة لاستعطاف قلب الملك فانصرفت الى قصرها وقالت لبعض جواريها . اذهبي الى فلانة — تعني ابنة السائس — فان رأيت الملك عندها فاعلميها انى عليلة من وجع عرض لي فانطلقت الجارية فاذا الملك عندها فأخبرتها بذلك ورق الملك لها وذكر غربتها وقلة أنسها فقال لابنة السائس ما ترين فى اتيانها . فقالت ايها الملك انه ليس فى نسائك من لها عندي مثل منزلتها فصر اليها فانها غريبة قد فارقت أهلها وهي فى موضع رحمة . فقام الملك حتى دخل عليها ودنى الى باب مجلسها فقامت اليه تمشي بأحسن هيئتها متكسرة فى حليها وريها عبقة بمسك وعنبر فقبلت بين عينيه وأخذت بيده حتى أجلسته في صدر فرشها وجعلت تقبل يديه ورجليه ضاحكة اليه مظهرة السرور به ، فجذبها الى نفسه فدعاها الى المضجعة فآتته ولم ترد في الخلوة شيئاً إلا أجابته اليه فلما قضى حاجته منها أقبل يحدثه فقال اني قد ذكر رسولك مرسدة وجعك . قالت ياسيدى كان موجعه لفراقك حتى شفاني لقاؤك وقال ذلك ما نالنى من تباريح الشوق اليك وطول صدودك وسلوتك ثم أخذ معها فى المداعبة وأقام عندها سبعة أيام فيما هما يتلاعبان ويتعاتبان اذ دخلت جارية لابنة السائس فحيت الملك تحية الملوك ثم قالت

للهندية ان سيدتي — نعى اسة السائس — تقول قد احتمع فيك ثلاث خصال الأولى الغدر عملتك والثانيـة فصل تطاولك والثالثة كفران النعمة للمنعم واني عن قريب رادتك من الملك الى عصص الغيظ ، فاخمتها وهمات عيناها ونظرت الى الملك كالمستغيثة به ، فقال لها الملك يا حبيبتي ما تنكرين من أمتك قد وهبتها لك وجميع ما تملك ، فتحلى عنها عمها فقالت لرسولها انطلقي اليها فاعلميها ان الملك قدومها وما تملك لي وقولي لها أرجعك لحش نفسك الى لؤم حسبك واهمال أدبك إنّي في الساعة نصار المدلة ورقة العبودية ولما ابلغتها الرسول ذلك أقبلت فدخلت عليها حيث الملك وقامت بين يديه ، فقالت لها الهندية ما كان أعظم زهوك في رسالتك ، قالت يا سيدتي أتأذن لي في الكلام ، قل تكلمي ، قلت أيتها السيدة لست متوجهه اليك بشيء هو أملك بك من حلمك ولا اعطف عليّ من فضلك ولم يعظم من رفع فوقي من هو أفضل مني وكل فرع يرجع الى أصله وكل زهر ينسب الى سنحه ، فقالت صدقت فدعي عنك كلام الأدب فقد ملكتك على رغم أنفك وانا مروحتك من فلان خادمي فليس لك فضل عليه ، قالت امة السائس من اعتاد معالي الأمور لم تطب نفسه بأسافلها ومن صاحب العظماء أنف عن نزنة الأدنياء وانما ترقت عطفك ورجوت حسن نظرك فاما اذ عزمت على هذا فقد طب الموت ومن الذي أستقي منك ثم قالت أيها الملك ان حنّل المرء منه لا مستقره تقع موقعه لا تعد في المخالفة عدلا فاحترس من هذه الهندية فانها لا تؤمن عليك لأنها ليست من حسبك ويعطفها عليك الرحم ولا من أهل مماكتك فتعرف بصونك عنها وانما هي شبيهة بنوره قد قاتلت أباها وهدمت عزها فاحترس منها ولا يذهب موقعها من قلبك فمن متى احتلت في قلبك لم تكن في ايديها من الصغر الا قتلتها كما كان من أمر الثعلب وعظيم الطير فقال الملك وما كان من حديثهما ، قالت يقال ان عظيم جمع في بيته فرخين سحرة ليأكل منها فسال الوادي الذي فيه تلك الشجره بسيل شديد فقتعها والثعلب عليها ثم رفعها ووضعها حتى ألقى الثعلب الى أرض بعيدة من أرضه فأصبح وقد أدته السيل الى سفح جبل كثير الأشجار مثمر الأغصان وعلى بنات الأشجار حسن من الطير لا يحصي عدداً فاقبل الى شجرة قصباً مقشعراً لا عرف أرضه ولا يقدر على

مؤالفة الدواب فمر به عظيم الطير فقال له ما أنت فقال انا دابة سال بي السيل فألقاني في محلكم وقد أصبحت غريباً فقال له عظيم الطير فهل لك حرفة قال نعم اعرف الثمار اذا بلغت حد نضجها وأصنع للطير أكناناً في الأرض تكن فيها وراحها من الحر والبرد فقال له عظيم الطير قد أدركت عندنا بغيتك فقم عندنا بواسك وبعرف حق مجاورتك فأقام الثعلب عند ملك الطير فكان يعرفهم الثمار المدركة ويحفر لهم بمخاليبه قبوراً في الأرض يفرحون فيها وكان الثعلب اذا جن عليه الليل وقرم الى اللحم ادخل يده في حجر من تلك الأحجرة فأخرج طيراً أو فراخه فأكله ودفن ريشه وجعلت الطير تتفقد ما كان يأكل واحداً بعد واحد فقال بعضها لبعض ما فقدنا أفاضلنا الا منذ صارت هذه الدابة بين أظهرنا وما كانت هذه الطير تطيل الغيبة وما ندري ما دهاها فقال لها عظيمها ان هذا حسد منكن لهذه الدابة ولا معنى لما أصبحتن فيه من فضل الطعم وما فيه من راحتكن من هذه الأكنان التي لا يخاف عليها برد فيها ولا حر فقالت الطير أنت سيدنا وأبصرنا بالأمور ما قال وعلى أن أقطع هذا القول وأتبين حق ذلك من باطله بنفسي فلما أظلم الليل نزل من الشجرة ودخل بعض تلك الأكنان وأقبل الثعلب على العادة التي اعتادها الى ذلك الكن فأدخل يده فقبض على رأس الملك فقال الملك للثعلب لقد نصحتني الطير لو قبلت نصحها قال الثعلب أنت هو قال نعم قال ما صنت أن يبلغ من حمقك كل هذا قال ملك الطير دعني أرد في منزلتك بحسب ما رأيت من فضل علمك ولطيف حيلتك قال له الثعلب ان أفوى بنفسي أن لا أعاق لي الى شيء وأتركه إذ اناس من جهلاك ان لا تجرأ من الثمار ومن الأكنان عما كان آباؤك يكمنون به ولم ترض حتى احتقرت أمري [illegible] ولم تجعل التعزير في ذلك عبرك ثم أكله ودفن ريشه وفقدت الطير عظيمها واستوحشت منه الثعلب فصيره بمخاليبها ونقرها حتى قتلته ولم تصل في عظيم خطر ملكهن الى أكثر من قتل الثعلب فاحترس من هذه الهندية . قالت الهندية انما تقرب امرأة [illegible] رجل منه وجنها وولدها وبعلها وأفضل النساء لمجاورة بعلها على [illegible] هم وورده على نفسه فكيف من ذهب أبوها وأخوها وبقي بعلها أفضل [illegible] في يد [illegible] وحيث بينك مثل الغراب والحمامة . قال الملك

وما كان من حديثهما ، قالت زعموا ان غرابا ألف مطبخا لبعض الملوك فأخذ من أطيب الطعام التي قد صارت فيه شيئاً فظنوا ان الغراب أخذه لقلة وفائه ولؤم جوهره فطردوه عن مطبخهم وقالوا ما نرجوا من هذا الغراب وهو من الطيور التي تعاف ويتطير منها فأفشى ذلك الغراب أمره الى حمامة قد كان بينهما معرفة وفزع الى رأيها واخبرها ما كان فيه من نعيم المأكل والمشرب فقالت له الحمامة انطلق بى حتى ترينى هذا المطبخ فانطلق حتى أتي سطح المطبخ فقالت الحمامة اني أرى هذا البيت ليس فيه موضع مدخل فاحفر لي بمنقارك قدر ما أدخل فان منقاري يضعف عن ذلك فحفر الغراب في سقف البيت بمنقاره حتى دخلت فيه الحمامة وتوسطت فى البيت فأعجبهم حسن خلقها وصنعة لونها فجعل لها خازن المطبخ موضعاً تأوى اليه فلبثت فى ذلك البيت قريرة عين فناداها الغراب ما هكذا قدّرت فيك فقالت الحمامة لو وفيت لك حلّ بي غدرك وان القوم عرفوا وفائى وحسن جوارى وعرفوا غدرك وقلّة وفائك ونكث عهدك فهذا مثلي ومثلك يا امة السائس انى لو وفيت لك اردانى غدرك وقتلنى مكرك . قالت امة السائس انها السيدة ان الذي سمعت من كان لشدة الأنفة فأردت أن أنهي عن نفسي الذى أردت من انكاحي خادمك فلاناً ، قالت الهدهدة لا بد من ذلك ، فقالت امة السائس من اعتاد معالي الأمور لم تطب نفسه بأسافلها الآن استعددت الموت فعمدت الى سمّ كان معها فدفنه في فيها فخرت ميتة ووقفت الهدهدة لروحها فأفاقت ومنهن شيرين امرأة برويز بن هرمز بن ابرويز لما قتل أباه وتوطد له الملك بعث الى شيرين يدعوها الى نفسه فامتنعت عليه وأبت أن تجيبه الى ذلك فغصبها ضياعها وعقارها وذخائرها وأموالها وقذفها بكل فاحشة ورماها بكل معصية فلما بلغها ذلك هان عليها ما أخذه من أموالها مع ما رماها به فبعثت اليه وقالت أيها الرجل ان لم يكن بد مما سألت بد فاقض لي ثلاث حوائج حتى أصير الى ما تريد فقال وما هذه الحوائج قالت احداها أن ترد على ضياعي وأموالي والثانية أن تجمع مرازبتك وأساورتك وعظماء أهل مملكتك وتبرئني مما قذفتني به والثالثة أن تودعني وديعة فتأمر أن تفتح لي باب الناووس حتى أردها عليه فاجابها الى ذلك وأمر بفتح باب الناووس فدخلته ومعها خاتم وفيه سمّ ساعة فدفنته في فيها ووقفت على روحها فى

﴿ ضـده ﴾

قيل ،، كان لكسرى ابرويز رجل يقال له بسطام يخالف على كسرى وجمع جمعه كثيراً وواقع ابرويز فلما أعيت ابرويز الحيلة فيه دعا بكردي أخي بهرام جور ويقال ان كردياً كان غلاما له رباه واتخذ منه مبلغ الرجال وكان من خاصته والناصحين له فقال له قد ترى ما نزل بنا من هذا العدو بسطام وقد رأيت رأيا ان طاوعتني عليه رجوت الظفر ، قال كردي وما ذاك أيها الملك احرى بى فما شئ يريدك الله به عزاً ويريد أعداءك به ذلا إلا بادرت اليه بنصح وصدق لعظيم حقك ووجوب طاعتك ، قال له كسرى قد عرفت حال كردية أختك امرأة بسطام وجراءة قلبها وبسطام يأوى اليها كل ليلة اذا انصرف عن الحرب وانا جاعل لها عهد الله وميثاقه وذمة انبيائه ان هي أراحتني من بسطام واحتالت لي فى قتله ان اتزوجها واجعلها سيدة نسائي وابلغ فى اكرامها والسمو بها أفضل ما بلغ ملك بامرأته ، قال كردي يا أيها الملك ما أشك فى قدرتها عليه فاكتب اليها بخطك بما رأيت لأوجهه فى الكتاب اليها مع امرأتي ارجية فان لها عقلا ورفقا وبصيرة فكتب كسرى بخطه (بسم الله الرحمن الرحيم) هـذا كتاب لكردية بنت بهرام جشنس كتبه لها كسرى ابرويز بن هرمز ان لك عندى عهد الله وذمته وذمة انبيائه ورسله ان أنت قتلت بسطام وتحيلت فيه ان اتزوج بك واجعلك سيدة نسائى وابلغ من كرامتك ما لا يبلغ ملك من الملوك لأحـد وأشهد الله على ذلك وكفى بالله شهيدا وكتب كسرى بخطه وختمه بخاتمه يوم كذا من شهر كذا فسارت ارجية حتى دخلت عسكر بسطام كهيئة الزائرة لكردية الناظر اليها وكان بينهما قرابة فلما خلت بها دفعت اليها كتاب كسرى وقالت لها يا ابنة عم احمدي الملك الى ما سألك واعطى بذلك الرجوع الى مصرك فرغبت لشدة شوقها الى اهلها وحاجتها الى ذلك وانصرفت ارجية الى عسكر كسرى وعرفت زوجها ما كان بينها وبين كردية فمضى كردي الى كسرى فاعلمه ثم ان بسطام دخل على كردية فأتته بعشاء فتناول منه ثم اتته بشراب فسقته

وجعلت تحدثه وتظهر له المحبة حتى مضى ثلث الليل فنام بسطام فلما استثقل نوما قامت اليه كردية بسيفها فوضعته على ثندؤته ثم اتكأت فأخرجته من ظهره فمات وعمدت من ساعتها الى دوابها فحملت حشمها وأثقالها على البغال وخرجت نحو عسكر كسرى وقد كانت وجهت مع أرجية الى أخيها ان يجلس لها على الطريق فلما وافته سار معها حتى أدخلها على كسرى ففرح بذلك فرحا شديداً فلما أصبح أصحاب بسطام ورأوه قتيلاً ولوا هاربين على وجوههم فانصرف كسرى الى المدائن فاتخذ لكردية تاجاً مكللاً بالدر وصنوف الجوهر وأعد لها وليمة عظيمة دعا فيها جنوده فطعموا وشربوا ثم دعا كردياً أخاها فزوجه أياها ومهرها وأعطاها خاتماً فصه من الكبريت الأحمر يضيء في الليلة الظلماء كما يضيء السراج فلما دخل بها كسرى ونظر الى جمالها وعقلها سربها واعطاها الأموال واقطعها الضياع وأكرم أخاها كردياً وولاه أرض فارس وبلغ بها من رفعه اياها وتشريفه لها مالم تبلغه امرأة قبلها ولا بعدها ثم ان كردية قالت لكسرى ياسيدي أخرج بنا الى الميدان لألعب بين يديك بالكرة والصولجان فخرج معها الى الميدان وخرجت امرأته شيرين وخواص نسائه ودعا بخيل فأسرجت وركبت وركب هو وجعلت تلاعبه بالصولجان وتناولت السيف وركضت في الميدان ولعبت بالسيف لعباً معجباً ثم أخذت الرمح فلعبت به فقالت شيرين أيها الملك ما يؤمنك من هذه الشيطانة قال هيهات انها أعرف بحقنا وأشد حباً لنا من أن تخافها على أنفسنا . فلما نزلت قال كسرى أما في كل ربع من ربع مملكتنا قائد في اثني عشر ألف رجل وفي قصري اثني عشر ألف امرأة وقد جعلتك قائدة عليهن . قالت ياسيدي ما للنساء والفروسية وانما علينا أن نزين بك ونطيب ونسرك بأنفسنا وأردت بما كان مني سرورك وتسليه همومك فأمر كسرى بحمل طعامه وشرابه الى منزلها وبقي عندها اسبوعاً لا يخرج الى الناس ولا يأذن لأحد بالدخول عليه ثم خرج من عندها الى منزل شيرين فأتاه صياد بسمكة عظيمة فأعجب بها وأمر له بأربعة آلاف درهم . فقالت له شيرين أمرت لصياد بأربعة آلاف درهم فان أمرت لرجل من الوجوه قال انما أمر لي بمثل ما أمر للصياد قال كيف أصنع وقد أمرت به . قالت اذا أتاك فقل له اخبرني عن السمكة أذكر هي أم أنثى فان قال أنثى فقل لا تقع عيني

عليك حتى تأتيني بالذكر وان قال ذكر فقل مثل ذلك فلما غدا الصياد على الملك قال له اخبرني عن السمكة أذكر هي أم أنثى ، قال : بل أنثى ، قال : فأتني بذكرها ، فقال : عمّر الله الملك انها كانت بكراً لم تتزوج بعد ، قال الملك : زه زه وأمر له بأربعة آلاف درهم وأمر أن يكتب في ديوان الحكمة : ان الغدر ومطاوعة النساء يورثان الغرم ،،

قال وكان الموبذان اذا دخل على كسرى قال : عشت ايها الملك بسعادة الجد ورُزقت على أعدائك الظفر وأُعطيت الخير وجُنبت طاعة النساء ، فغاظ ذلك شيرين وكانت أجمل نساء عصرها وأتمهن عقلا فقالت لكسرى : ايها الملك ان هذا الموبذان قد طعن في السن ولست مستغنياً عن رأيه ومشورته وقد رأيت لحاجتك اليه ان أهب له مسكدانة جاريتي وقد عرفت عقلها وجمالها فان رأيت أن تسأله قبولها فافعل ، فكلم كسرى الموبذان في ذلك ، فهشّ للجارية لمعرفته بجمالها وفضلها فقال : قد قبلتها أيها الملك لايثارها إياي بافضل جواريها ، فقالت شيرين لمسكدانة : اني أريد ان تأتي هذا الشيخ فتبدي له محاسنك وتجيدي خدمته فاذا هشّ لمصاحبتك فامتنعي عليه حتى يركبك وتركبيه وتعلميني الوقت الذي يتهيأ لك ذلك حتى لا يعود ان يريد في تحية الملك ـ ووُقّيت طاعة النساء ـ فقالت مسكدانة : افعل يا سيدتي ، ثم انطلقت الى الشيخ فصارت عنده في داره التي يخلها من قصر الملك فجعلت تخدمه وتبرّه وتظهر له الكرامة وهي مع ذلك تبرز له محاسنها وتكشف له عن صدرها ونحرها وتبدي له ساقيها وخدها فارتاح الموبذان اليها وشرح صدره لمصاحبتها فجعلت تمتنع عليه فيزداد في ذلك حرصاً فلما ألحّ عليها قال لها : ايها القاضي ما انا بمجيبتك الى ما سألت حتى أركبك وأركبك فان احتجت الى ذلك صرت طوع يدك فيما تريد وتدعو اليه من مسرتك فامتنع عليها ايماً وقيت تريه اذ ريها وتكشف له عن محاسنها حتى عيل صبره فقال لها : افعلي ما احببت ، فهيأت له بردعة صغيرة وإكافاً صغيراً وحزاما وثفراً وأقامته عريانا على اربع ووضعت على ظهره البردعة والاكاف وجعلت الثفر تحت خصيتيه وهي قائمة وركبته وهي تقول حر حر وأرسلت الى سيدتها شيرين تعلمها بذلك فقالت شيرين للملك : قم بنا الي قصر بيت موبذان لننظر من الروزنة ما يكون بينه وبين الجارية فصعدا

ونظرا فاذا هي قد ركته فوق الاكاف . فناداه كسرى : ويحك أي شيء هذا ، فرفع المويذان رأسه ونظر الى الروزنة ورأى الملك فقال : هو ما كنت أقول لك في اجتناب طاعة النساء . فضحك كسرى وقال قبحك الله من شيخ وقبح مستشيرك بعد هذا .

حديث الزباء ومنهن الزباء واسمها هند وملكت الشام بعد عمها القسور وكان جذيمة الأبرش قتل عمها فبعث اليها جذيمة يخطبها فأظهرت البشر والسرور لرسوله وكتبت اليه بالقدوم عليها لتزوجه نفسها فاستشار أصحابه فقالوا . ايها الملك ان تزوجت بها جمعت ملك الشام وملك الجزيرة الى ملكك . فاستخلف ابن أخيه عمرو بن عدي وسار في ألف فارس من خاصته فلما انتهى الى مكان يسمى بقة وهو حد مملكتها ومملكته نزل في ذلك المكان واستشار أصحابه أيضا في المصير اليها والانصراف فرغبوا له الالمام بها وقالوا انك ان انصرفت من ههنا ارتاب الناس بك على جبن ووهن . فدنا منه مولى له يقال له قصير بن سعد فقال له . ايها الملك لا تقبل مشورة هؤلاء وانصرف الى مملكتك حتى يتبين لك أمرها فانها امرأة موتورة ومن شأن النساء الغدر . فلم يحفل بقوله ومضى حتى اقتحم مملكتها فقال قصير ـ ببقة صرم الأمر ـ ثم أرسلها مثلا . فلما بلغ امرأة قدومه عليها أمرت جنودها فاستقبلوا الملك فقال قصير ايها الملك اني رأيت جنودها لم يترجلوا لك كما يترجل للملوك ولست آمن عليك فاركب العصا وانج بنفسك ـ والعصا كانت فرساً لجذيمة لا تشق غبارها ـ فلم يعبأ جذيمة بقوله وسار حتى دخل المدينة وأمرت هند الزباء بأصحابه ان ينزلوا فأنزلوا وأخذت منهم أسلحتهم ودوابهم ونصب لجذيمة فدخل عليها وهي في قصر لها ولم يكن معها في قصرها الا الجواري فأومأت اليهن بأن يأخذنه واجتمعن عليه ليكتفنه فامتنع عليهن فلم يزلن تضربنه بالأعمدة حتى أخذنه وكتفنه ثم دعت بنطع فاجلسته فيه وكشفت عن عورتها فاذا هي حسنة قد ظفرت شعرة وافيه فقالت كيف ترى عروسك أشوار عروس ترى . قال أرى بظراً تفلا ومتاً فاشياً ولا أعلم ما وراء ذلك . قال اما انه ليس من عدم المواسي ولا انه لأواسي ولكنه شيمة من أناسي ثم أمرت به فقطعت عروقه فجعلت دماؤه تشحب في النطع فقالت لا يحزنك ما ترى فانه دم هراقه أهله فأرسلتها مثلا . واحتال قصير للمصاحبة

وصل اليها وركبها ثم دفعها فحملت تهوى به كأنها الريح وكان المكان الذي قصد فيه جذيمة مشرفاً على الطريق فنظر جذيمة اليه وقد دفع الفرس فقال لله حزم على رأس العصا فلم تزل دماؤه تشخب حتى مات . ثم أمرت بأصحابه فقتلوا بأجمعهم وكان عمرو بن عدي يركب كل يوم من الحيرة فيأتي طريق الشام يتحسس عن خبره وخاله فلم يبلغه أحد خبره فبينا هو ذات يوم في ذلك اذ نظر الى فرس مقبل على الطريق فلما دنا منه عرف الفرس وقال : ياخير ما جاءت به العصا فذهبت مثلا فلما دنا منه قصير قال له ماوراءك قال : قتل خالك وجنوده جميعا فاطلب ثارك . قال وكيف لي بها وهي أمنع من عقاب الجو . فذهبت مثلاً ثم ان قصيراً أمر بأنف نفسه فجدع ثم ركب وسار نحو الزباء فاستأذن عليها فقيل لها ان مولى لجذيمة وقهرمانه واكرم الناس عليه قد اتاك مجدوعا فأذنت له فدخل عليها قالت من صنع بك هذا . قال ايتها الملكة هذا فعل عمرو بن عدى اتهمني وتجنّى عليّ الذنوب وزعم انى أشرت على خاله بالمصير اليك حتى فعل بي ما ترين ولم آمنه ان يقتلني فخرجت هاربا اليك وقد أتيتك لأكون معك وفي خدمتك ولي حذاء وعندى غناء . قالت نعم اقم فعندي لك ماتحب وولته نفقتها فجعل لها ورأس منه الرشاقة فيما أسندته اليه فأقام عندها حولا ثم قال لها ايتها الملكة ان لي بالعراق مالا كثيراً فاذا أذنت لي في الخروج لحمله فافعلي فدفعت اليه مالا كثيراً وأمرته أن يشترى له شيئا من الخز والوشي ولآلئ وياقوتاً ومسكا وعنبرا والطيب فانطلق حتى اتى عمرا فأخبره فاخذ منه ضعفي مالها وانصرف نحوها فاسترخصت ما جاء به وردّته الثانية والثالثة فكان يأخذ في كل مرة مثل أضعاف مالها فيشترى لها جميع ماتريد فتسترخصه ووقع قصير بقلبها فاستخانته ثم بعثته في الدفعة الرابعة بمال عظيم وأمرته ان يشترى ... ومتاعا وفرشاً وآنية فانطلق الى عمرو فقال قد قضيت ما عليّ وبقي ما عليك . فقال وما الذي تريد قال اخرج معي في ألفي فارس من جندك وكونوا في أجواف الجواليق على كل بعير رجلان فانتخب عمرو ألفي فارس من أصحابه فخرج وخرجوا معه في الجواليق كل رجل بسيف وكان يسير النهار فاذا أمسى الليل فتح الجواليق ليخرجوا فيطعموا ويشربوا ويقضوا حوائجهم حتى اذا كان بينه وبين مدينتها مقدار ميل تقدم

قصير حتى دخل عليها وقال : أيتها الملكة اصعدي على القصر لتنظري ما أتيتك به ،
وصعدت فنظرت الى ثقل الأحمال على الجمال فقالت

ما للجمالِ مشيُها وئيدا　　أجندلاً يحملنَ أم حديدا
أم صرفاناً بارداً شديدا

فأجابها قصير سراً وقال

بل الرِّجالَ جثَّماً قعوداً

فقال : لما عليها من المتاع الثقيل النفيس فأمرت بالأحمال فادخلت قصرها وكان وقت المساء فقالت . اذا كان غداً نظرنا الى ما أتيتنا به ، فلما جنّ عليهم الليل فتحوا الجواليق وخرجوا فقتلوا جميع من في القصر وكان لها سرب قد اعدّته للفزع والهرب ان حل بها روع تخرج الى الصحراء وقد كان قصير عرف ذلك المكان ووصفه لعمرو فبادر عمرو الى السرب فاستقبلته الزّباء فولت هاربة نحو السرب فاستقبلها بالسيف فمصت فصها وكان مسموما وقالت بيدى لا بيدك ياعمرو ولا بيد العبد ، فقال عمرو يده ويدى سواء وفى كليهما شفاء وضربها بسيفه حتى قتلها ، وأقبل قصير حتي وقف عليها فجعل يدخل سيفه فى فرجها ويقول

ولو رأوني وسيفي يومَ أدخلهُ　　في جوفِ زبَّاءَ ماتوا كلُّهم فرحا

وغنم عمرو وأصحابه من مدينها أموالاً جليلة وانصرفوا الي الحيرة فكان الملك بعد خاله جذيمة وعمرو هذا هو جد النعمان بن المنذر بن عمرو بن عدى .. ومنهن صاحبة الجعد بن الحسين ابى صخر بن الجعد وكان جعد قد طعن في السن وكان يكنى أبا الصموت وكانت له وليدة سوداء فقالت يا أبا الصموت زعم بنوك أن يبتلوني اذ أنت مت قال ولم ذاك ، قالت مالي اليهم ذنب غير حبك فاستقني وأعتقها فمكثت يسيراً ثم قالت يا أبا الصموت هذا عرابة من أهل عدن يخطبني ، قال من كان هذا ظني بك ، قالت انما أريد ماله لك ، فدل أتني به فجاءت به فزوجها منه فولدت منه وقربته من مال

حمد وكانت تأتى الجعد فتخضب رأسه ثم قطعته فقال الجعد

أَبلغْ لديكَ بني عَمْرٍ مُغَلْغَلةً عوفاً وعَمْراً فما قولي بمردودِ
بأنَّ بيتيَ أَمسى فوقَ داهيةٍ سوْداءَ قدْ وَعدَتْني شرَّ موْعودِ
تُعطي غرابةَ بالكفينِ مختضباً منَ الخلوقِ وتُعطيني على العُودِ
أَمسى غرابةُ ذا مالٍ وذا وَلدٍ منْ مالِ جعدٍ وجعدٌ غيرُ محمودِ

ومنهن ٠٠ امرأة مروان بن الحكم وكانت أم خالد بن يزيد بن معاوية وهي ابنة هشام ابن عتبة فاراد مروان الخروج الى مصر فقال لخالد · اعرني سلاحك فأعاره فلما رجع قال له خالد رُدَّ عليَّ سلاحي فأبى عليه وكان مروان فحاشاً فقال له يا ابن الرطبة فجاء خالد الى أمه فقال هذا ما صنعت بي سبَّني على رؤس الملأ وقال لي كيت وكيت قالت اسكت فاني اكفيك أمره ، فجاء مروان فرقد عندها فأمرت جواريها فطرحن عليه الشواذكين ـ يعني الملاحف ـ ثم غططه حتى قتلته وخرجن يصحن وا أمير المؤمنيناه فدعا عبد الله بامرأة أبيه ليقتلها فقالت ان الذي يبقى عليك من العار اعظم من قتل أبيك ، قال . وما ذاك . قالت يقول الناس ان أباك قتلته امرأة . فأمسك عنها

*

محاسن مكر النساء

ذكروا ان الحجاج بن يوسف أرق ذات ليلة فبعث الى ابن القرّية فقال انى أرقت فحدثني حديثاً يقصر عليَّ طول ليلي وليكن من مكر النساء وفعالهن ، فقال أصلح الله الأمير ذكروا ان رجلا يقال له عمرو بن عامر من أهل البصرة كان معروفا بالنسك والسخاء وكانت له زوجة يقال لها حميلة وله صديق من النساك فاستودعه عمرو ألف دينار وقال ان حدث بي حادثة ورأيت أهلي محتاجين فاعطهم هذا المال فمات عمرو بن عامر ومكثت حميلة بعده حيناً ثم ساءت حالها وأمرت خادمتها يوماً

ببيع خاتمها لغداء يوم أو عشاء ليلة فبينا الخادمة تعرض الخاتم على البيع اذ لقيها الناسك صديق عمرو فقال . فلانة . قالت : نعم ، قال : ما حاجتك ، فأخبرته بسوء الحال وما اضطرت اليه مولاتها من بيع خاتمها ، فهملت عيناه دموعا ثم قال : ان لعمرو قبلي ألف دينار فاعلمي بذلك صاحبتك ، فأقبلت الجارية ضاحكة مستبشرة وهي تقول رزق حلال عاجل من كد مولاي الكريم الفاضل ، فلما سمعت مولاتها ذلك سألتها عن القصة فاخبرتها فخرت ساجدة وحمدت ربها وبعثت بالجارية الى الناسك فأقبل الناسك ومعه المال فلما دخل الدار كره أن يدفع المال الى أحد سواها فخرجت فلما نظر الى جمالها وكمالها أحدث مجامع قلبه وفارقه النهى وذهب عنه الحياء وأنشأ يقول

قَدْ سَلَبْتِ الجِسمِ والقلبَ مَعًا   وبَرَيتِ العَظمَ مِماَّ تلحَظِينْ

فأَرْدُدى قَلْبَ عَمِيدٍ وأَقبِلِى   صِلَةَ الضَّعفينِ مِماَّ تَرتَجِينَ

فأطرقت جميلة لقوله طويلا ثم قالت . ويحك ألست المعروف بالنسك المنسوب الى الورع ، قال . بلى ولكن نور وجهك سل جسمى فتداركيني بكلمة تقيمين بها أودي فهذا مقام اللائذ بك ، قالت أيها المرائي المخادع اخرج عني مذموما مدحورا فخرج عنها وقد هام قلبه واصبحت جميلة تعمل الحيلة في استخراج حقها فأتت الملك ترفع اليه ظلامتها فلم تصل اليه فأتت الحاجب فشكت اليه فأعجب بها اعجابا شديدا وقال ان لوجهك صورة ارفعها عن هذا ولا يحمل بمثلك الخصومة فهل لك فى صغو مالك في ستر ورفق . فقالت سوأة لامرأة حرة تميل الى ريبة فانصرفت الى صاحب الشرطة فأنهت ظلامتها اليه فأعجب بها وقال ان حجتك على الناسك لا تقبل إلّا بشاهدين عدلين وانا مشتر خصومتك ان انت نزلت عند مسرتى فانصرفت عنه الى القاضى فشكت اليه فأحدت نظره وكاد القاضى يجن اعجابا بها وقال يا قرة العين انه لا يزهد في أمثالك فهل لك فى مواصلتى وعناء الدهر فانصرفت وباتت تحتال فى استخراج حقها فبعثت الجارية الى نجار فعمل لها تابوتاً بثلاثة أبواب كل منهم مفرد ثم بعثت الجاريه الى الحاجب أن يأتيها اذا أصبح والى صاحب الشرطة ان يأتيها ضحوة والى القاضى أن يأتيها اذا تعالى النهار والى

الناسك أن ياتيها اذا انتصف النهار فاتاها الحاجب فاقبلت عليه تحدثه فما فرغت من حديثها حتى قالت لها الجارية صاحب الشرطة بالباب فقالت للحاجب ليس في البيت ملجأ الا هذا التابوت فادخل أي بيت شئت منه فدخل الحاجب بيتا من التابوت فأقفلت عليه ودخل صاحب الشرطة فاقبلت حميلة عليه تضاحكه وتلاطفه فما كان باسرع من أن قالت الجارية القاضي بالباب فقال صاحب الشرطة اين أختبي فقالت لا ملجأ الّا هذا التابوت وفيه بيتان فادخل أيهما شئت فدخل فاقفلت عليه فلما دخل القاضي قالت مرحبا وأهلا وأقبلت عليه بالترحيب والتلطيف فبينا هي كذلك اذ قالت الجارية الناسك بالباب فقال القاضي ما ذا ترين في رده فقالت مالي الى رده سبيل قال فكيف الحيلة قالت انى مدخلتك هذا التابوت ومخاصمته فاشهد لي بما تسمع واحكم بيني وبينه بالحق قال نعم فدخل البيت الثالث فاقفلت عليه ودخل الناسك فقالت له مرحبا بالزائر الجاني كيف بدا لك في زيارتنا قال شوقا الي رؤيتك وحنيناً الي قربك قالت فالمال ما تقول فيه اشهد الله على نفسك برده أتسمع رأيك قال اللهم اني أشهدك ان لحميلة عندى الف دينار ودىعة زوجها فلما سمعت ذلك هتفت بجاريتها وخرجت مبادرة نحو باب الملك فانهت ظلامتها اليه فأرسل الملك الي الحاجب وصاحب الشرطة والقاضي فلم نقدر على واحد منهم فقعد لها وسألها البينة فقالت يشهد لي تابوت عندى فضحك الملك وقال نحتمل ذلك لجمالك فبعث بالعجلة فوضع التابوت فيها وحمل الى بين يدي الملك فقامت وضربت بيدها الى التابوت وقالت أعطي الله عهداً لتنطقن بالحق ولتشهدن بما سمعت أو لاضرمنك ناراً فاذا ثلاثة أصوات من جوف التابوت اشهد على اقرار الناسك لحميلة بألف دينار فكبر ذلك على الملك فقال حميلة ما أحد في امانكه قوما أوفى ولا أقوم بالحق من هؤلاء الثلاثة فأشهدتهم على غريمي ثم فتحت التابوت وأخرجت الثلاثه نفر وسألها الملك عن قصتها فاخبرته وأخذت حقها من الناسك فقال الحجاج لله درها ما احسن ما احتالت لاستخراج حقها قال وكان يعقوب بن يحيى المدائنى ويحيي الكاتب كاتب سهل بن رستم يحدثان أني مهدية جارية سليمان بن الشاحر فقال يعقوب يوما ليحيي انا اشتهي ان أرى بطن مهدية فقال يحيي متحعن في .... حتال لك بحيله حتى تراه قال ماشئت قال بردونك هذا

قال : نعم ، قال : فتوثق منه وأتى مهدية فقال لها كان لي بردون موافق فاره فنفق وأنت لو شئت لحملتني على بردون فاره ، قالت . انا افعل وأشتريه لك بما بلغ الثمن ، قال : أنت قادرة عليه بغير الثمن ، قالت . كيف ذلك ، فأخبرها بالقصة فقالت : قد حملك الله على البردون وارحك النظر الى بطن حسن فاذا كان غداً فتعال انت ويعقوب فاجلسا فان سليمان يبعث بوصيفته فلانة كثيراً فاذا فعل ذلك وجئت انا فقل أنت يا مهدية لو علمت ما صنع فلان لقتلته ، قال نعم ، فلما جاءت مهدية قال لها ان أمر سليمان مع وصيفته اشنع مما تقدرينه ، فوثبت مستشيطة غضباً وقالت مثلك يا ابن الساحر يفعل هذا مرة بعد أخرى وشقت جيبها الى أن جاوزت أسفل البطن وهي قائمة فنظر الى بطنها فتأملها ساعة وهي تشتم ابن الساحر فقام اليها يترضاها ويسكنها ويعقوب يقول والبردون فأخذه منه يحيي ،، وعن المساور قال كان عندنا بالأهواز رجل متأهل وكان له أرض بالبصرة وكان في السنة يأتيها مرة أو مرتين فتزوج بها امرأة ليس لها إلا عم في الدار وكان يكثر الانحدار بعد ذلك الى البصرة فانكرت الأهوازية حاله فدست من يعرف خبره ثم احتالت وبعثت من أورد خطاً لعم المرأة البصرية وسألت من كتب كتاباً من عم البصرية الى زوجها على خطه بأن ابنة أخيه توفيت وسأله القدوم لأخذ ما خلفت ودست الكتاب مع انسان شبيه بالملاح فلما أتى بالكتاب خرج اليه فدفع الكتاب وهو نشك ان امرأته البصرية ماتت فقال لامرأته اجعلي لي سفرة ، قالت لمه ، قال اريد الخروج الى البصرة ، قالت وكم هذه البصرة قد رابني أمرك ومن أنسك ان هناك لك امرأة ، فأنكر ذلك فقالت ان كنت صادقا فاحلف بطلاق كل امرأة لك غيري فقال في نفسه تلك قد ماتت وليس علي ان احلف بطلاقها ورضي هذه فحلف لها بطلاق كل مرأة له سوى الأهوازية فقالت الأهوازية يحريه هي البصرة وقد أغناه الله عن الخروج قال وما ذلك ، قالت قد صادفت الفسقة وقصت عليه القصة فعرف مكرها وأقام

مساوى مكر النساء

وذكروا .. ان لقمان بن عاد صاحب لبد خرج يجول فى قبائل العرب فنزل بحي من العماليق فبينما هو كذلك اذ ظعن القوم فظعن معهم فسمع بامرأة تقول لزوجها فلان لو حملت سفطي هذا حتى تجاوز به الثنيّة فان فيه من متاع النساء مالا بد لهن منه وان لم تفعل يقع فيتكسر وذلك من لقمان بمنظر ومسمع فقال افعل فاحتمله على عاتقه فلما انحدر وجد بللا فى صدره فشمه فاذا هو ريح بول قد جاء من السفط الذي على رأسه ففتح السفط فاذا هو بغلام قد خرج منه يعدو ، فلما نظر لقمان قال يا احدى بنات طبق — وبنات الطبق أن تأتى الحية السلحفاة فتلتوي عليها فتبيض بيضة واحدة فتخرج منها حية شبرا او نحوه لا تضرب شيئاً الا أهلكته — فتبعه لقمان حتى لحقه فجاء به يحمله واجتمع الناس اليه وقالوا يا لقمان احكم فيما ترى فقال ردوا الغلام في السفط يكون له مثوى حتي ترى ويعلم ان العقاب فيما أتى ونحمله المرأة فعلها حملوها ما حملت زوجها ثم شدوه عليها فان ذلك جزاء مثلها فعمدوا الى الغلام فشدوه فى السفط ثم شدوه فى عنق المرأة ثم تركوهما حتى ماتا ثم فارقهم لقمان فأتى قبيلة أخرى فنزل بهم فبينما هو كذلك اذ بصر بامرأة قد قامت عن بنات لها فسألها احداهن أين تذهبين قال الى الخلاء ثم خرجت الى بيوت الحي فعارضها رجل قصيا خربا ولقمان ينظر فوقع الرجل عليها وقضى حاجته منها فقالت المرأة هل لك ان اتماوت على اهلى فاذا هو ثلاثة ايام اكون في رحمي ثم تجيء فتستخرجني فنتمتع فقال الرجل افعلي وكان اسمه الخيّ وزوج المرأة اسمه الشحي فقال لقمان — ويل للشحي من الخيّ — فذهبت مثلا فلم تلبث المرأة الا أياما حتى تماوتت على أهلها وكان الميت منهم اذا مات نحمل فوقه الحجارة ولم تكن اذ ذاك قبور فلما كان اليوم الثالث جاءها خليلها وأخرجها ولحق بها فى منزله وتحوّل الحي من ذلك المكان وخافت المرأة أن تعرف فجزت شعرها وتركت لنفسها جمة فبينما هم كذلك اذ خرج بنات المرأة فاذاهن بامرأة جالسة ذات جمة فقالت الصغرى أمي والله قالت الوسطى صدقت والله قالت المرأة

كدتما ما أنا لكما بأم ، قالت الكبرى صدقت والله لقد دفنا أمها غير ذات حمة ما كان لأمها إلا لمة ، قالت الصغرى هنك أنكرت أعلاها أما تعرفين أحراها فتعلقت بهما فقالت الأم صغراهن مراهن فذهبت مثلا واجتمع الناس وجاء زوج المرأة فارتفعوا الى لقمان فقالوا احكم بيننا ، فقال لقمان * عند جهينة الخبر اليقين *

فذهبت مثلا وكان يلقب بجهينة فقال لقمان للمرأة أخبرك أم تخبريني ، قلت بل قل، قال انك قلت لهذا انى متماوتة على أهلى فاذا دفنوني فى رحمي جئت فاستخرجتني وأنكر لهم فلا تعرفوني فدمع ما نقيا ، فاعترفت المرأة فقيل للقمان احكم بينهما ، قال ارجموها كما رجمت نفسها ، فحفر لها حفرة وألقوها فيها ورجموها وكانت أول مرجومة في العرب ثم ان زوجها تعلق بالحلى فقال يا لقمان هذا فرق بيني وبين أهلى ، فقال نعم لكل ذكر أنثى ولكل أول آخر فرق بينك وبين أشباله وفرق بين ذكره وبين أنثييه فقطع ذكره فمات

محاسن الغيرة

روى انه اذا أغير الرجل فى أهله أوفي بعض مناكحه أو مملوكته فلم يغر بعث الله جل اسمه اليه طيراً يقال له القرقفنة حتى يسقط على عارضة بابه ثم يمهله أربعين صباحا يهتف به ان الله غيور يحب كل غيور فان هو تغير وأنكر ذلك و لا طار حتى يقع على رأسه فيخفق بجناحيه على عينيه ثم يطير عنه فينزع الله منه روح الايمان و سمته الملائكة الديوث ، وقال النبي صلى الله عليه وسلم باعدوا بين أنفاس الرجال والنساء فان كانت المعاينة واللقاء كان الداء الذى لا دواء له ،، وروى ان مرثد ذات عقل فرأى جاف من فاجر فقيل لها في ذلك فقالت قرب الوساد وطول السواد ، تريد قرب مضجعه منه وطول مسارته اياها ،، وقال صلى الله عليه وسلم النساء حبائل الشيطان وقال سعيد ابن مسلم لأن يرى حرمتى ألف رجل على حال تكشف وهي لا تراهم أحب الي من

ان ترى حرمتي رجالا مواجهة ،، وقيل لعقيل بن عُلّفة ألا تزوج بناتك ، فقال اجيعهن فلا يأشرن واعريهن فلا يظهرن ، فوافق احدى كلمتيه قول النبي صلى الله عليه وسلم : الصوم وِجاء الشهوة ، والأخرى قول عمر بن الخطاب رضي الله عنه . استعينوا عليهن بالعري ،، وغاية أموال الرجال وكسبهم وهمهم وما يملكون انما هو مصروف الى النساء فلو لم يكن الّا ما نعدّ لهن من الطيب والحلي والكساء والفرش والآنية كان في ذلك ما كفى ولو لم يكن الّا الاهتمام بالحفظ والحراسة وخوف العار من جناياتهن والجناية عليهن لكان في ذلك المؤونة العظيمة والمشقة الشديدة غير ان أولى الأشياء بالرجال حفظهن وحراستهن فليس شيء لهن أصلح من مباعدتهن عن الرجال وقمعهن بالعري والجوع ومن حق الملوك ان لا يرفع أحد من خاصتها وبطانتها رأسه الى حرمة لها صغرت أم كبرت فكم من فيل وطيء هامة عظيم وبطنه حتى بدت أمعاؤه وكم من شريف وعزيز قوم قد مزقته السباع ونهشته وكم من جارية كريمة على قومها عزيزة في أهلها قد أكلها حيتان البحر وطير الماء وكم من جمجمة كانت تصان وتعل بالمسك والبان قد ألقيت بالعراء وعيثت حشتها في البري بسبب الحرم والخدم والغلمان ولم يأت الشيطان أحداً قط من باب حتى يراه يحيث من يهوى مستقيم اللحم والأعضاء هو ابلغ من مكيدته وأحرى ان يرى فيه أُمنيّة من هذا الباب اذ كان من ألطف مكائده وأدق وساوسه وأحل ترابيه ،، وقيل لابنة الخُسّ لِمَ زنيت بعبدك ولم تزني بحرّ ، قالت طول السواد وقرب الوساد ،، وقيل لو أن أقبح الناس وجها وأنتنهم رائحة وشرهم فقراً وأسقطهم نفساً وأوضعهم حسباً قال لامرأة تمكن من كلامها ومكنته من سمعها والله يا مولاتي لقد أسهرت ليلي وأرّقت عيني وشغلتني عن مهم أمري فما أعقل أهلا ولا ولدا ولو كانت أبرع الناس جمالا وأكملهم كمالا وأملحهم ملاحة ولو كانت بينه تدمع بدت ثم كانت تكون مثل أم الدرداء او معاذة العدوية أو رابعة القيسية لمالت اليه وأحبته ... ولهذا قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه اضربوهن بالعري فان النساء يخرجن الى الأعراس ويقمن في المناحات ويظهرن في الأعياد وفي كثر خروجهن ... من أن يرين من هو من شكلهن ولو كان بعلهن احسن حسناً واحسن وجهاً ولدى ... أقصر حسناً وكان ما لا تملكه أطرف عندها مما

تملكه ولكان ما لم تملكه أو تستكثر منه اشد لها اشتغالا واحتذانا .. قال الشاعر

وَلِلْعَيْنِ مَلْهًى بِالنِّسَاءِ وَلَمْ يَقُدْ   هَوَى النَّفْسِ شَيْءٌ كَاقْتِيَادِ الطَّرَائِفِ

وكانت الأكاسرة اذا امتحنت الخاصة من أصحابها وحصل الواحد عنهم على قلب الملك وكان الرجل عالماً بالحكمة موضعاً للامانة في الدماء والفروج والأموال على ظاهره فيأمره ان يتحول الى منزله وان تفرغ اليه حجرة وان لا يتحول اليه بامرأة ولا جارية ولا حرمة ويقول له أريد بك الانس فى ليلي ونهاري ومتى كان معك بعض حرمك قطعك عني فاجعل منصرفك الى منزلك فى كل خمس ليال فاذا تحول الرجل أنس به وخلا معه وكان آخر من ينصرف من عنده فيتركه على هذه الحالة أشهراً .. امتحن ابرويز رجلا من خاصته بهذه المحنة ثم دس اليه جارية من بعض جواريه ووجه معها اليه بألطاف وهدايا وأمرها ان لا تقعد عنده فى أول مرة فأتته بألطاف الملك وقامت بين يديه ولم تلبث أن انصرفت حتى اذا كانت المرة الثانية امرها ان تقعد هنيهة وان تبدي عن محاسنها حتى يتأملها ففعلت ولاحظها الرجل وتأملها وجعل الرجل يجد النظر اليها ويسر بمحادثتها ومن شأن النفس أن تطلب بعد ذلك العرض من هذه المطايبة فلما أبدى ما عنده قالت أخاف أن يعثر علينا ولكن دعني حتى أدبّر فى هذا ما تم به الأمر بيننا ثم انصرفت فأخبرت الملك بذلك وبكل شيء جرى بينهما فلما كانت المرة الثالثة أمرها أن تطيل القعود عنده وان تحدثه وان أرادها على الزيادة فى المحادثة [illegible] ففعلت ووجه اليه أخرى من خواص جواريه وتقاتهن بألطافه وهداياه فما جاءت [illegible] فلانة قالت اعتلّت واريد [illegible] الرجل ثم لم [illegible] القعود عنده [illegible] ففعلت أكثر من المقدار الأول وأبدت بعض محاسنها حتى [illegible] وطال القعود والمضاحكة [illegible]

من الملك على حصاً يسيرة [illegible] ولكن [illegible] لسانه الذي [illegible] فان حركت من الانصراف الى [illegible]

لا تقدر على الحركة فان أحلك الى ذلك جئت من أول الليل فأ كون معك الى آخره فسكن الرقيع الى قولها وانصرفت الجارية فأخبرت الملك بكل ما دار بينهما فلما كان فى الوقت الذي وعدته ان يخرج الملك فيه دعاه الملك فقال للرسول أحضره انى عايل فلما جاءه الرسول وأحضره تبسم وقال هذا أول الشر فوجه اليه مخمة يحمل فيها فأتاه وهو معصب فلما بصر به قال والمخمة الشر الثاني فيّن العصابة فقال والعصابة الشر الثالث فلما دنا من الملك سجد فقال له متى حدثت بك هذه العلّة قال هذه الليلة قال فأي الأمرين أحب اليك الانصراف الى منزلك لتمريضك أم المقـام ههنا لوقت رجوعي قال المقام ههنا ايها الملك أوفق لقلّة الحركة فتبسم ابرويز وقال حركتك ههنا ان تُركت أ كثر من حركتك فى منزلك ثم أمر له بعصا الزناة التي كان يرسم بها من زنى فأيقن الرجل بالشر وامر ان يكتب ما كان من أمره حرفا حرفا فيقرأ على الناس اذا حضروا وان ينفى الى أقصى مملكته وتجعل العصا فى رأس رمح يكون معه حيث كان ليحذر من يعرفه منه فلما خرج الرجل من المدائن متوجها به نحو فارس أحد مدية كانت مع بعض الموكّلين به فجبّ بها ذكره وقال من أضاع عضواً صغيراً من أعضائه افسـد عليه جميع أعضائه فمات من ساعته ،، وفيما يذكر عن انو شروان انه اتهم رجلا من خاصته في بعض حرمه فلم يدر كيف يقتـله لانه لم يجد أمراً ظاهراً يحكم بمثله الحاكم فيسفك به دمه ولا قدر على كشف ذنبه لما في ذلك من الهون على الملك والمملكة ولا وجـد عذراً لنفسه فى قتله غيلة اذ لم يكن في شرائع دينهم ووراثة سلفهم فدعا الرجل بعـد جنايته بسنة فى خلوة فقال قد حزبني أمر من أسرار ملك الروم وبي حاجة الى علمها وما أجدني أسكن الى أحد سكوني اليك اذ حصلت من فاي المحل الذي أنت به وقد رأيت أن تحمل لي مالا الى هناك للتجارة وتدخل بلاد الروم فتقيم بها فاذا بعت ما معك حملت مما في بلادهم من تجاراتهم وقفلت الي وفى خلال ذلك تصغي الى اخبارهم وتطلع الى ما بنا الحاجة لي معرفته من أمورهم وأسرارهم فقال افعل أيها الملك وأرجو أن أبلغ في ذلك محبة الملك ورضاه فامر له بمال وتجهز الرجل وخرج بتجارته فاقام فى بلاد الروم حتى [illegible] وفهم من كلامهم وا[illegible] ما عرف به مخاطباتهم وبعض أسرار ملكهم

وانصرف الى انو شروان بذلك فاراه الايثار به وزاد فى بره ورده الي بلادهم وأمره بالمقام والتربص بتجارته ففعل حتى عرف واستفاض ذكره فلم تزل تلك حاله ست سنين حتى اذا كانت السنة السابعة أمر الملك أن تصوّر صورة الرجل في جام من جاماته التي يشرب فيها وتجعل صورته بازاء صورة انوشروان ويجعل مخاطبا لأنوشروان ومشيراً عليه واليه ويدنى رأسه من رأس الملك فى تلك الصورة كأنه يساره ثم وهب ذلك الجام لبعض خدمه وقال ان الملوك يرغبون فى مثل هذا الجام فاذا أردت بيعه فادفعه الى فلان اذا خرج نحو بلاد الروم بتجارته وقل له بعه من الملك نفسه فانه ينفعك فان لم يمكنه بيعه من الملك باعه من وزيره أو بعض خاصته فجاء غلام الملك بالجام وقد وضع الرجل رحله في الركاب فسأله أن يبيع جامه من الملك وان يتخذ عنده بذلك يداً وكان الملك يعز ذلك الغلام وكان من خاصة غلمانه وصاحب شرابه فاجابه الى ذلك وأمر بدفع الجام الى صاحب خزانته وقال احفظه فاذا صرت الى باب الملك فليكن مما أعرضه عليه فلما صار الى باب الملك دفع صاحب الخزانة اليه الجام فعرضه على الملك فيما عرض عليه فلما وقع الجام في يد الملك نظر اليه ونظر الى صورة ابو شروان فيه والى صورة الرجل وتركيبه عضواً عضواً وجارحة جارحة فقال للرجل اخبرنى هل يصور مع صورة الملك رجل خسيس قال لا قال فهل تصور فى آنية الملك صورة لا أصل لها ولا علة قال لا قال فهل في دار الملك اثنان يتشابهان فى صورة واحدة حتي يكون هذا كأنه ذاك فى الصورة وكلاهما نديما الملك قال لا اعرفه قال له قم قائماً فقام فوجد صورته في الجام فقال له أدبر فأدبر فتأمل صورته فى الجام فوجدهما بحكاية واحدة فضحك وهم يخبر الرجل ان يسأله عن سبب ضحكه اجلالا له واعظاماً فقال ملك الروم ما اشبه احمق من الانسان اذ كان يحمي مدينتها ويدفعها وانما اهديت اليها مدينتك فقال للرجل تعديت قال لا قال قربوا له طعاما قال ايها الملك انا عمه وانعمت لا يأكل محصوره ملك قال الملك انت عبد ما دمت عند ملك الروم مطاعاً على أموره متبعاً لأسراره منذ قدمت بلاد فارس ونديم ملكها اطعموه فأطعم وسقي احمر حتى اذا ثمل قال من سيرة ملوكنا ان لا نقتل الجاسوس الّا في اعلا موضع نقدر عليه ولا نقتله جائعاً ولا عطشاً

فامر به فاصعد الى سطح كان يشرف منه على كل من كان في المدينة اذا صعد فضربت عنقه هناك وأُلقيت جثته من ذلك السطح ونصب رأسه للناس فلما بلغ ذلك كسرى أمر صاحب الحرس أن يضرب باحراس الذهب ويمر على دور نساء الملك وجواريه ويقول كل نفس ذائقة الموت كل أحد ادا وجب عليه القتل فى الأرض يقتل الّا من تعرّض لحرمة الملك فانه يقتل فى السماء ولم يدر أحد من أهل المملكة ما اراد به حتى مات

(ومثله من أخبار العرب) ذكروا انه كان لطسم وجديس ملك يقال له عمليق ظلوم غشوم وكان لا تزف جارية الى زوجها إلّا بدأوه بها فافترعها وردها الى بعلها ثم ان رجلا من جديس تزوج عفيرة بنت عفار عظيم جديس ورئيسها فلما ارادوا ان يهدوها ليه بدأوا بها عمليق فادخلوها عليه ومعها القيان يتغنين ويضربن بالدفوف ويقلن

إبدى بعمليقَ ومعهُ فاركَي ... وبادِرِي الصُّبحَ بأمرٍ معُجبِ

فسوفَ تلقينَ الذى لم تطلبي ... ولم يكنْ مِنْ دونهِ مِنْ مَذْهَبِ

فخرجت تقول وهي تزف

ما أحَدٌ أذلُّ مِن جديسِ ... أهكذا يُفعَلُ بالعَرُوسِ

يرضى بهذَا ياَلقومي حرٌّ ... من بعدِما أهدى وَسيقَ المَهرْ

لأن يلاقي المرءُ موت نفسهِ ... خيرٌ له من فعلِ ذا بعِرسهِ

فلما دخلت عليه افترعها ثم خلّى سبيلها فخرجت ووقفت على اخيها الاسود بن عفار وهو قاعد في نادي قومه وقد رفعت ثوبها عن عورتها وانشأت تقول

أيصلحُ ما يؤتى الى فتياتكمْ ... وأنتمْ رجالٌ كثرةً عددُ الرَّملِ

وترضونَ هذا ياقومي لأختكمْ ... عشيةَ زُفّتْ في النِّساءِ الى البَعلِ

فان انتم لم تغضبوا بعد هذه ... فكونوا نساء في المنازلِ والحجلِ

وَدُونَكُمُ طِيبَ النِّسَاءِ وَإِنَّمَا ... خُلِقْتُمْ جَمِيعاً لِلتَّزَيُّنِ وَالْكُحْلِ

فَلَوْ أَنَّنَا كُنَّا رِجَالاً وَكُنْتُمُ ... نِسَاءً لَكُنَّا لَا تُقِيمُ عَلَى ذَحْلِ

فَقُبْحاً لِبَعْلٍ لَيْسَ فِيهِ حَمِيَّةٌ ... وَيَخْتَالُ يَمْشِي بَيْنَنَا مِشْيَةَ الْفَحْلِ

فَمُوتُوا كِرَاماً أَوْ أَصِيبُوا عَدُوَّكُمْ ... بِدَاهِيَةٍ تُورِي ضِرَاماً مِنَ الْجَزْلِ

وَإِلَّا فَخَلُّوا دَارَكُمْ وَتَرَحَّلُوا ... إِلَى بَلَدٍ قَفْرٍ خَلَاءٍ مِنَ الْأَهْلِ

وَلَا تَجْزَعُوا لِلْحَرْبِ يَا قَوْمِ إِنَّهَا ... تَقُومُ بِأَقْوَامٍ شِدَادٍ عَلَى رِجْلِ

فَيَهْلِكُ فِيهَا كُلُّ وَغْدٍ مُوَاكِلٍ ... وَيَسْلَمُ فِيهَا ذُو الطِّعَانِ وَذُو الْقَتْلِ

فلما سمعت جديس شعرها أنفت انفاً شديدا وأخذتهم الحمية فتآمروا بينهم وعزموا على اغتيال الملك وجنوده فقالوا ان نحن بادهناهم بالحرب لم نقو عليهم لكثرة جندهم وأنصارهم فاتفقوا على ذلك ثم ان الأسود أتى الملك فقال اني أحب أن تحمل غداءك عندي أنت وجنودك . فقال عمليق ان عدد القوم كثير واحسب ان البيوت لا تسعهم فقال الأسود فتخرج لهم الطعام الى بطن الوادي فقال لقومه اذا اشتغل القوم بالأكل فسلوا سيوفكم واعملوا على ان تحملوا حملة رجل واحد واقتلوهم عن آخرهم وهيأ الأسود ما احتاج اليه من الطعام وجاء الملك فلما أكب القوم على الأكل بادرت جديس الى سيوفهم ثم حملت على الملك وعلى جنوده والأسود يرتجز ويقول

يَا صُبْحَةً يَا صُبْحَةَ الْعَرُوسِ ... حَتَّى تَمَشَّتْ بِدَمٍ خَمِيسِ

يَا طَسْمَ مَا لَقِيتِ مِنْ جَدِيسِ ... هَلَكْتِ يَا طَسْمَ وَبِيسِي هَيْسِي

فقتلوه وجنوده جميعاً .. ومثله المطيون ملك تهمة و لحد ... ... عمليق في ملك طسم وجديس في أمر النساء فأمر أن لا تزف من اليهود في مملكته امرأة الا بدأوه بها فلبث على ذلك عدة أحوال حتى زوجت امرأة من اليهود من ابن عم لها وكانت ذات جمال رائع وكانت أخت مالك بن العجلان من الرضاعة وما أرادوا أن يزفوها

لى روجها حرجت الى نادى الأوس والخزرج رافعة ثوبها الى سرتها فقام اليها مالك بن لعجلان فقال ويحك وما دهاك فقالت ومايكون من الداهية أعظم من ان يطاق بى الى غير بعلى بعد ساعة وأنف من ذلك انفا شديداً فدعا بزة امرأة فلبسها فلما انطلقوا المرأة الى الفطيون صار كواحدة من نسائها اللواتى ينطلقن بها متشبها بامرأة وقد أعد سكينا فى حمه فلما دخلت المرأة على الفطيون مال مالك الى خزانة في ذلك البيت فدخلها فلما خرج النساء ودخلت المرأة قام اليها ليفترعها فخرج اليه مالك بالسكين فوجأه فقتله ثم قال لليهود دونكم جنوده فاقتلوهم فاجتمعت عليهم فقتلوهم عن آخرهم

﴿ ومن أخبار وأمثال ﴾ ذكروا أن اول من قال العجب كل العجب بين جمادى ورجب عاصم بن المقشعر الضبي وذلك ان الخنيفس بن خشرم كان اغير اهل زمانه وأشجعهم وكان لعاصم أخ يقال له عبيدة عزيز فى قومه فهوي امرأة كانت تأتي الخنيفس فعلم الخنيفس ذلك فتواعد عبيدة وركب الخنيفس فرسه وأخذ رمحه وانطلق يترصد عبيدة حتى وقف على ممرّه فاقبل عبيدة وقد قضى من المرأة وطراً وهو يقول

ألا إنّ الخنيفسَ فاعلَموهُ ... كما سمّاهُ والدُه لعينُ
بهيمُ اللونِ مُحتقرٌ ضئيلٌ ... لئيماتٌ خلائقهُ ضنينُ
أيوعدُني الخنيفسُ من بعيدٍ ... ولمّا يَلقَ ما أُنصَهُ الوتينُ
نهوتُ بجارتيهِ وجادَ عنّي ... ويزعمُ أنّهُ أنِفٌ شفونُ

فعارضه الخنيفس وهو يقول

يا ابنَ المقشعرِ لقيتَ ليثاً ... لهُ في جوفِ أيكتهِ عرينُ
تقولُ لهُ صددتَ حِذارَ حينٍ ... وأنّكَ تشوُ أبطالٍ مُبينُ
وأنّكَ قد ابوت بجارتيها ... فهاكَ عُبيدَ لاقاكَ القرينُ
ستعلمُ أيّنا أحمى ذِمارًا ... إذا قصرتْ شمالُكَ واليمينُ

لَهَوْتَ بِها لقــدْ أُبدِلتَ قِرْدًا وبا كِيــةٌ عليكَ لها رَنينُ

فقال عبيدة أذكرك الله وحرمة حشرم فقال والله لاقتلنك فقتله فلما بلغ أخاه عاصما خرج اليه ولبس أطمارا وركب فرسه وكان فى آخر يوم من جمادى فأقبل يبادر دخول رجب لانهم كانوا الايقتلون في رجب أحداً فانطلق حتى وقف بباب خبيص ليلا وقال أجب المرهوق قال وما ذاك قال العجب كل العجب بين جمادى ورجب واي رجل من بنة عصب أخ لي امرأة خرج ستنقذها فقتل وقد عجزت عن قاتله فخرج الخبيص معصاوأخذ رمحه وركب وانطلق معه فلما نحى به عن قومه دنا منه فقنعه بالسيف فابان رأســه ،، ويقال ان أول من قال سبق السيف العذل ضمضم بن عمرو اللخمي كان يهوى امرأة فطلبها بكل حيلة فأبت عليه وطلبها عزيز بن عبيد بن ضمضمة فآتته وتأبّت على ضمضم وكان ضمضم من أشد قومه بأسا فاغتاظ لذلك وانطلق ليلة وهو متقلد سيفه حتى صار بمكان يراهما اذا اجتمعا ولا يريانه فلما نام الناس وطال هدو ضمضم اذا العزيز قد أقبل على فرسه وهو يقول

أُمامَ تُوَلّيني وتأْبَي بنفسِها علي ضَمضمٍ تَعساً وَرَغماً لِضمضَمِ

وضمضم يسمع فنزل وربط فرسه ومشى الى ناحية خبئها فصدح صدوح هام وكان آية ما بينهما فخرجت اليه فعانقها وضمضم ينظر ثم واقعها فلما رآهم مشى اليهم بالسيف وهو يقول

ستعلمُ أني لستُ أعشقُ مُعصِماً فكانَ بنا عنها وعنك عزاء

وقتله فعلم القوم بضمضم فأخذوه فلما أصبح أبرز الى النادي ليقتل فجمعوا يوموه على قتله ابن عمه فقال سبق السيف العذل ،، ويقال ان اول من قال خير قايل وفصحت بنسى فائرة امرأة مرة الأسدي وكانت من اجمل النساء في زمنها وكان زوجها غاب عنها اعواما فهويت عبداً له حبشياً يرعى ابلها فامرته ان يحضر مضجعها وكان زوجها منصرفا قد نزل تلك الليلة منها على مسيرة يوم فبينما هو يطعم ومعه اصحابه اذ نعق غراب

فأخبره أن امرأته لم تعهر قط ولا تعهر الا تلك الليلة فركب فرسه ومر مسرعا وهو يرجوان هو سمعها تلك الليلة أمسها فيما بقى فانتهى اليها حين قام العبد عنها وندمت وهي تقول خير قليل وفضحت نفسي فسمعها زوجها وهو يرعد لما به من الغيظ فقالت له . ما يرعدك فقال يعلمها انه قد علم خير قليل وفضحت نفسي فشهقت شهقة خرت ميتة فقتل زوجها العبد وجعل يقول

لعمرُكِ ماتعتادُني منكِ لوعةٌ ولا أنا منْ وجدٍ بذِكراكِ أسهَدُ

قيل ، وكانت هند بنت عتبة تحت الفاكه بن المغيرة المخزومي وكان الفاكه من فتيان قريش وكان له بيت ضيافة يغشاه الناس من غير اذن فخلا ذلك البيت يوما فاضطجع الفاكه وهند فيه فخرج الفاكه لبعض حوائجه وأقبل رجل ممن كان يغشى ذلك البيت فولجه فلما رأى المرأة ولى هاربا فرآه الفاكه وهو خارج من البيت فأقبل الى هند فضربها برجله وقال من هذا الرجل الذي خرج من عندك قالت ما رأيت أحدا ولا انتبهت حتى نبهتني فقال لها الحقي بأهلك فتكلم الناس فيها فقال لها أبوها يا بنية ان الناس قد اكثروا فيك فاصدقيني فان كان الرجل في قوله صادقا دسست له من يقتله فتنقطع عنك المقالة وان كان كاذبا حاكمته الى بعض كهان اليمن فحلفت له بما يحلفون به في الجاهلية انه لكاذب فقال عتبة للفاكه يا هذا انك قد رميت ابنتي بأمر عظيم فحاكمني الى بعض كهان اليمن فخرج عتبة في جماعة من بني عبد مناف وخرج فاكه في جماعة من بني مخزوم واخرجوا معهم هنداً ونسوة معها فلما شارفوا البلاد قالوا غداً نرد على الكاهن فتغير لون هند فقال لها ابوها اني أرى ما بك فهلاّ كان هذا قبل خروجنا قالت لا والله يا ابتاه ما ذاك لمكروه ولكن تأتي بشراً يخطئ ويصيب فلا آمن أن يسومني مما يكون فيه سبة عليّ فقال عمري فاني سوف اختبره قبل أن ينظر في أمرك فأخذ حبة من حنطة فأدخلها في احليل فرسه وأوكى عليها بسير فلما دخلوا على الكاهن قال له عتبة ما كان مني في طريقي فاني خبأت لك خبأ فقال أحتاج الى أبين من هذا قال حبة بر في احليل مهر فقال صدقت فانظر في هؤلاء النسوة فجعل يدنو من احداهن فيضرب بمنكبها حتى أتي

الى هند فضربت منكبها وقال اخرجي غير رسحاء ولا فاحشة ولتلدين ملكا يقال له معاوية فوثب اليها الفاكه فأخذ بيدها فنزعت يدها من يده وقالت : اليك عني والله لأجهدن ان يكون ذلك من غيرك . فتزوجها أبو سفيان بن حرب فجاءت بمعاوية ،، قيل وكان عمر ابن الخطاب رضي الله عنه يعس بنفسه فسمع امرأة تقول

ألا سبيلٌ إلى خمرٍ فأشربها — أم هل سبيلٌ إلى نصرِ بنِ حجّاجِ

إلى فتىً ماجدِ الأخلاقِ ذي كرمٍ — سهلِ المحيّا كريمٍ غيرِ ملجاجِ

فقال عمر أما ما دام عمر إماما فلا . فلما أصبح قال عليَّ بنصر بن الحجاج فأتي به فاذا هو رجل جميل فقال اخرج من المدينة ، قال ولم وما ذنبي ، قال : اخرج والله ما تساكني ، فخرج حتى أتى البصرة وكتب إلى عمر رضي الله عنه

لعمري لئن سيّرتني وحرمتني — ولم آتِ إثماً إنّ ذا لحرامُ

وما ليَ ذنبٌ غير ظنٍّ ظننتهُ — وبعضُ تصاديقِ الظنونِ إثامُ

وإن غنّتِ الذلفاءُ يوماً بمنيةٍ — فبعضُ أمانيِّ النساءِ غرامُ

فظنَّ بيَ الظنَّ الذي لو أتيتهُ — لما كان لي في الصالحين مقامُ

ويمنعني مما تمنّتْ حفيظتي — وآباءُ صدقٍ سالفون كرامُ

ويمنعها مما تمنّتْ صلاتُها — وبيتٌ لها في قومها وصيامُ

فهذان حالانا فهل أنت مُرجعي — فقد جبَّ مني غاربٌ وسنامُ

قال ،، فردّه عمر بعد ذلك لما وصف من عفته ، ويروى أيضا ان عمر بن الخطاب رضي الله عنه كان يعس بالمدينة ذات ليلة إذ سمع امرأة تهتف وتقول

تطاولَ هذا الليلُ واسودَّ جانبُه — وأرّقني إذ لا خليلَ ألاعبُه

فوالله لولا اللهُ لا ربَّ غيرُهُ — لزعزعَ من هذا السريرِ جوانبُه

ولـكنّ ربي والحياءَ يكُفني   وأكرمُ بعلي أن تُوطَّا مَرا كِبُه

قال ،، ورجع عمر الى منزله فسأل عن المرأة فاذا زوجها غائب فسأل ابنته حفصة كم تصبر المرأة عن الرجل فسكتت واستحيت واطرقت فقال أربعة أشهر خمسة أشهر ستة أشهر فرفعت طرفها فعلم أنها لاتصبر أكثر من سته أشهر فكتب إلى صاحب الجيش ان يقفل من الغزو الرجال إذا أتت ستة أشهر إلى أهاليهم ،، وغزا رجل من الانصار وله جار يهودى فأتى امرأته واستلقى ذات ليلة على ظهره وانشأ يقول

وأشعثَ غرَّهُ الإسلامُ منّي   خلوتُ بعرسهِ ليلَ التّمامِ
أبيتُ علي ترائبهـا ويضحي   علي جرداءَ لاحقـةِ الحزامِ

فسمع ذلك جار له فضربه بالسيف حتى قطّعه فبلغ ذلك عمر بن الخطاب رضي الله عنه فقال انشد الله رجلا كان عنده من هذا علم الا قام ، فقام الرجل فحدثه، فقال أحسنت أحسنت ، وتمام الابيات

كأنَّ مجامعَ الرَّبلاتِ منها   فِئامٌ قد جُمعنَ إلى فِئامِ

﴿ ومن أخبار الشعراء ﴾ قيل .. لما خرج امرؤ القيس بن حجر إلى قيصر ملك الروم ليسأله النصرة على بنى أسد لقتلهم اباه حجر بن الحارث راسل بنت قيصر وأراد أن يختدعها عن نفسها وبلغ ذلك قيصر وأراد أن يقتله فتقدم من ذلك وأمر بقميص فغمس فى السم وقال لامرئ القيس إلبس هذا القميص فانى أحببت أن أوثرك به على نفسى لحسبه وبهائه فعمل السم فى جسمه وكثرت فيه القروح فمات منها فسمي ذا القروح وقد كان قبل لقيصر قبل ذلك انه هجاه فعندها يقول

طلبتُ نَهُ نفسى بأنْ جئتُ زعماً   إليهِ وقد سيَّرتُ فيهِ القَوافيا
فإنْ أكُ مَضنوماً فقِدماً طَلَمتَه   وبالصّاعِ يُجزى مثلَ ما قد جَرابيا

قيل ، وكان النابغة شاب بتجرده امرأة النعمان بن المنذر وكانت أكمل أهل عصرها جمالا فبلغ ذلك النعمان فهم بقتل النابغة فهرب منه وسار حتى أتى الشام والملك

بها جبلة بن الايهم الغساني فنزل عليه وأقام عنده وكتب إلى النعمان

حلفتُ ولم أترك لنفسك ريبةً ... وليس وراء الله للمرء مذهبُ

لئن كنتَ قد بلغتَ عني خيانةً ... لمبلغك الواشي أغشُّ وأكذبُ

قيل ،، وكانت امرأة شداد أبي عنترة ذكرت له أن عنترة أرادها عن نفسها فأخذه أبوه فضربه ضرب التلف فقامت المرأة فألقت نفسها عليه لما رأت ما به من الجراحات وبكته وكان اسمها سُمَيّة فقال عنترة

أمن سُمَيَّةَ دمعُ العينِ مذرُوفُ ... لو كان ذا منكِ قبلَ اليومِ معرُوفُ

كأنَّها يومَ صدَّتْ ما تُكلّمنا ... ظبيٌ بعسفانَ ساجي العينِ مطرُوف

قامتْ تُحلّلني لمّا هوى قبلي ... كأنَّها صنمٌ يعتادُ معكُوفُ

المالُ مالُكمُ والعبدُ عبدُكمُ ... فهل عذابُكِ عني اليومَ مصرُوفُ

قيل ،، ولما أنشد عبد بني الحسحاس عمر بن الخطاب رضي الله عنه قصيدته التي يقول فيها

توسّدني كفًّا وتثني بمعصمٍ ... عليَّ وتحوي رجلها من ورائيا

فما زال بُردي طيِّبًا من ثيابها ... إلى الحولِ حتى أنهجَ البردُ باليا

وهبَّتْ لنا ريحُ الشَّمالِ بقرّةٍ ... ولا ثوبَ إلا درعُها وردائيا

أميلُ بها ميلَ الرديفِ وأتّقي ... بها الريحَ والشفّانَ من عن شماليا

رأتْ قتبًا رثًّا وأخلاقَ شملةٍ ... وأسودَ مما يلبسُ الناسُ عاريا

تجمعنَ شتّى من ثلاثٍ وأربعٍ ... وواحدةٍ حتى كملنَ ثمانيا

سُليمى وسلمى والرَّبابُ وتربها ... وأروى وريّا والمنى وقطاميا

وأقبلنَ من أقصى البلادِ يعدنني ... ألا إنما بعضُ العوائدِ دائيا

قال عمر رضي الله عنه أنت مقتول فلما قال

ولقد تحدّر من كريمة معشر عرقٌ على متن الفراش وطيبُ

وجدوه شاربا ثملا فعرضوا عليه نسوة حتى مرت به التي يطلبونها فاهوى اليها فقتلوه

مساوى شدة الغيرة والعقوبة عليها

حكي عن سليمان بن عبد الملك أنه كان في بعض أسفاره فسمر معه قوم فلما تفرقوا عنه دعا بوضوء فجاءت به جارية فبينا هي تصب الماء على يده اذ استمدها وأشار اليها مرتين أو ثلاثا فلم تصب عليه فانكر ذلك ورفع رأسه فاذا هي مصغية بسمعها مائلة بجسدها الى صوت غناء من ناحية العسكر فأمرها فتنحت فسمع الصوت فاذا رجل يغنى فانصت له حتى فهم ماغنى فدعا بجارية غيرها فتوضأ فلما أصبح أذن للناس فاجرى ذكر الغناء فلم يزل يخوض فيه حتى ظن القوم انه يشتهيه فأفاضوا فيه وذكروا ماجاء في الغناء والتسهيل لمن سمعه وذكروا من كان يسمعه من سروات الناس فقال هل بقى أحد يسمع منه فقال رجل من القوم عندي رجلان من أهل الايلة محكمان قال فأين منزلك من العسكر فأومأ الى ناحية الغناء فقال سليمان ابعث اليهما ففعل فوجد الرسول احدهما وأقبل به وكان اسمه سمير فسأله عن الغناء وكيف هو فيه قال محكم قال متى عهدك به قال البارحة قال وفي أى النواحي كنت فذكر الناحية التي سمع منها الصوت قال وما اسم صاحبك قال سنان قال فاقبل سليمان على القوم فقال هدر الفحل فضبعت الناقة ونبّ التيس وشكرت الشاة وهدل الحمام فزافت الحمامة وغنى الرجل فطربت المرأة ثم أمر به فخصى وسأل عن الغناء أين أصله قالوا بالمدينة وهم المخنثون فكتب الى عامله ان احص من قبلك من المخنثين . وحدث الأصمعي ان الشعر الذي سمعه سليمان يتغنى به هو

محجوبةٌ سمعت صوتي فأرّقها من آخر الليل لمّا بلّها السّحرُ

تُدْنى على الخدِّ مسهامِنْ معصفرةٍ　　والحليُ بادٍ على لَبّاتها خَصِرُ

في ليلةِ البدرِ ما يدري مُضاجعُها　　أوجهُها عندَهُ أبهى أمِ القمرُ

لم يمنع الصوتَ أنيابٌ ولا حرسٌ　　فدمعُها الطُرُوقِ اللحنِ ينحدِرُ

لو تستطيعُ مَشَتْ نحوي على قدمٍ　　تكادُ مِنْ رِقَّةٍ في المشيِ تنفطِرُ

ثم دخل سليمان مصرف الخدم فوجد جارية على هذه الصفة قاعدة تبكي فوجه إلى سنان فأحضره ووجهت الجارية رسولا الى سنان يحذره وجعلت للرسول عشرة آلاف درهم ان سبق رسول سليمان فلما حضر أنشأ يقول

إستبقني إلي الصباح أعتذرْ　　إنَّ لساني بالشرابِ منكسرْ

فأرسلِ المعروفَ في قوم نُكُرْ

فامر به فخصي وكان بعد ذلك يسمي الخصي ،، وعن عليّ بن يقطين قال كنت عند موسى الهادي ذات ليلة مع جماعة من أصحابه اذ أتاه خادم فساره بشيء فنهض سريعا فقال لا تبرحوا فمضى فأبطأ ثم جاء وهو يتنفس ساعة حتى استراح ومعه خادم يحمل طبقا مغطى بمنديل فقام بين يديه فأقبل يرعد وعجبنا من ذلك ثم جلس وقال للخادم ضع ما معك فوضع الطبق وقال ارفع المنديل فرفعه فاذا على الطبق رأسا جاريتين لم أر والله أحسن من وجهيهما قط ولا من شعورهما واذا على رأسيهما الجوهر منظوم على الشعر واذا رائحة طيبة تفوح فأعظمنا ذلك فقال أتدرون ما شأنهما قلنا لا قال بلغني انهما تحابا فوكلت هذا الخادم بهما لينهى إلي اخبارهما فجاءني وأخبرني انهما قد اجتمعتا فجئت فوجدتهما كذلك في لحاف فقتلتهما ثم قال يا غلام ارفع ورجع في حديثه كأنه لم يصنع شيئاً　وحدثنا ابراهيم بن اسماعيل عن ابن القداح قال كانت للربيع جارية تسمى أمة العزيز فأهداها للمهديّ فلما رأى حسنها وجمالها وهيئتها قال هذه لموسى أصلح فوهبها له فكانت أحب الخلق اليه وولدت له بنيه الأكابر ثم ان بعض أعداء الربيع

قال لموسى انه سمع الربيع يقول : ما وضعت بيني وبين الأرض مثل أمة العزيز فعار موسى فدعا الربيع فتعدّى معه وناوله كأسا فيه شراب فقال الربيع فعلمت أن نفسي فيها واني ان رددتها من يدي ضرب عنقي فشربتها وانصرفت فجمع ولده وقال اني ميت فقال الفضل ابنه ولم تقول ذلك جعلت فداك قال ان موسى سقاني شربة فانا أجد عملها في بدني ثم اوصي بماله ومات في يومه ،، قيل وطرب الرشيد الى الغناء فخرج متنكراً ومعه خادمه مسرور حتى انتهى الى باب اسحاق بن ابراهيم الموصلي فقال يامسرور إقرع الباب فخرج اسحاق فلما رأى الرشيد انكب على رجله فقبلها ثم قال ان رأى أمير المؤمنين ان يدخل منزل عبده فنزل الرشيد فدخل فرأي أثر الدعوة فقال يااسحاق انى أرى موضع الشرب من كان عندك قال ما كان عنـدي ياأمير المؤمنين سوى جاريتين كنت أُطارحهما قال فهما حاضرتان قال نعم قال فأحضرهما فدعا الجاريتين فخرجتا مع احداهما عود حتى جلستا فأمر الرشيد صاحبة العود ان تغنى فغنت

بنى الحبُّ على الجورِ فلو ... أُنصفَ المعشوقُ فيه لَسَمُجْ

ليس يُستحسنُ في وصفِ الهوى ... عاشقٌ يُكْثِرُ تأْليفَ الحُجَجْ

فقليلُ الحبِّ صِرْفا خالِصاً ... هو خيرٌ مِنْ كثيرٍ قد مزِجْ

فقال الرشيد يا اسحاق لمن الشعر والغناء فيه قال لاعلم لى به ياأمير المؤمنين فنكس رأسه ساعة ينكت فى الارض ثم رفع رأسه وأخذ العود من حجر هذه ووضعه فى حجر الاخري ثم قال لها غنى فغنت

إنْ تمسِ حبالُكَ بعدَ طولِ تواصلٍ ... خلقا وأَصبحَ بيتكُم مهجورا

فلقدْ أَرى والجديدُ إلى بِلىً ... زمنا بوَصْلِكَ راضياً مَسْرُورَا

كنت الهوى وعزمَ وطىءَ الحصَى ... عندي وكنتُ بذاكَ منكَ جديرًا

فقال يا اسحاق من الشعر والغناء فيه قال لا علم لى ياسيدى فرد المسألة على الجارية فقالت لستى قال ومن ستك قالت عليه أخت أمير المؤمنين فنكس رأسه ساعة ثم وثب

وقال لمسرور خادمه امض بنا الى منزل علية فلما وقف بالباب قال استأذن يامسرور
فخرجت جارية فلما رأت الخليفة رجعت تبادر تعلم ستها فخرجت تستقبله وتفديه فقال
ياعلية هل عندك ماناكل قالت نعم ياسيدي قال وما نشرب قالت نعم فدخل وجلس فقدمت
اليه الطعام فاكل حارا وباردا ورطبا ويابسا ثم رفع الطعام ووضع الشراب والطيب وانواع
الرياحين ودعت جواريها وكان عندها ثلاثون جارية يغنين فالبستهن أنواع الثياب
وصففتهن في الايوان وتناول الرشيد الشراب فامر الجواري يغنين ثم سقى اخته حتى أخذ
الشراب منها واحمرت وجنتاها وفترت اجفانها وكانت من أجل النساء فضرب الرشيد
الى حجر بعض الجوارى في أخذ العود وقال يا علية غنياني غنى

بنيَ الحبُّ علي الجورِ فلو

فعلمت انها داهية فبكت فصاح الرشيد خرج الجوارى وبقي هو وهي فدفعها وأخذ
وسادة فجعلها على وجهها وجاس عليها فاضطربت اضطرابا شديدا ثم بردت فنحي الوسادة
عنها وقد قضت نحبها فخرج وقال للخادم اذا كان غداً فادخل وغربى وركب متوجهاً
الى قصره فلما كان الغد عزاه مسرور فبكى فقال

قبرٌ عزيزٌ علينا لو أنَّ من فيه يفدَي

أسكنتُ قرَّةَ عيني ومهجةَ النفسِ لحدِ

ما إنْ أرى لي عليها مِن التوجعِ بدَّ

ومنه ماحكي عن البهائم قال شيخ من بنى قشير كنا فى نتاج فانتج فرس من حجرة
فشددنا عينه ونزا عليها فلما فرغ فتحنا العصابة فرأى الحجرة وكانت أمه فعمد الى ذكره
بأسنانه فقطعه ،، ومنه فى ذمة الغيرة قال سليمان بن داود لابنه يا بنى لا تكثر الغيرة
على اهلك فترمى بالسوء من اجلك وان كانت بريئة ولا تكثر الضحك فيستخف بك
الرجل الحليم وعليك بخشية الله فانها غالبة كل شيء . وقال عبد الله بن جعفر لابنه
اياك والغيرة فانها مفتاح الطلاق واياك وكثرة العتب فانه يورث البغضاء وعليك بالكحل

فانه أرين الرسة وأطيب الطيب الماء .. قيل وكان كسرى ابرويز يتعشق امرأة رجل كان من مرازبته يقال له البارجان وكانت تأتيه سراً فبلغ زوجها ذلك فامسك عن امرأته واجتنبها ودخل الى كسرى ذات يوم فقال له كسرى بلغني ان لك عين ماء عذبة وانك قد اجتنبتها فلا تقربها ، ففطن فقال له : ايها الملك بلغني ان الأسد ينتاب تلك العين فاجتنبتها خوفا منه فأعجب كسري بمقالته وامر ان يتخذ له تاج لا قيمة له ثم دخل كسري دار نسائه فقاسمهن نصف حليهن فاجتمع من الجوهر ما لا يحصي فبعث به الى امرأة البارجان بالقادسية ووقع ذلك الجوهر الى السائب بن الأقرع وكان على المقسم فباعه وجعل للمسلمين بكتاب عمر بن الخطاب رضى الله عنه .. وقال بعضهم كنت أغار على امرأتي فأشرفت عليّ يوما وانا مع جارية لى فاقيت منها أذاً حتي حلفت أن ابيع الجارية فخرجت اريد شراء حوائج لى ومعي الجارية فأتيت دكان حلاّل لشرى الحل فوجدته خاليا فقلت له ياهذا تأذن لي فى ملامسة جاريتى هذه في دكانك فانى اريد بيعها قال نعم جعلت فداك ادخل حيث شئت فدخلت فاصبت من الجارية فلما خرجت اذا الحلال قد كمن ناحيه وهو فى قميص قد أنعظ فقال فرغت قلت نعم قال بسم الله اتأذن لى جعلت فداك قلت ويلك ما تريد قال اقضي وطرى منها قلت يابن الفاعله حرمتى قال لا يضرك شيئاً فانى اسرع ثم وثب كأنه السبع فصارته حتى تخلص الجارية بعد كل جهد .، قال ودخل رجل من بني زهرة من أهل المدينة على قينة فسمع غناءها عندمولاها فخرج مولاها في حاجة ثم رجع فوجدا جاريته على بطن الزهري فقامت مذعورة فقعدت تبكى فقال ما يبكيك قالت لأنك لا تقبل لأخيك عذراً قال يازانية لو رأيتك على قفاك قلت صريع مغلوب ولو رأيتك على وجهك لقلت وعاء مكبوب اما رأيتك فرساً مصلوبا .. وحكى عن ثمامة ابن المهدي ... شتى شتا وان هشيمة نعت نفسا وكانت هشيمة امرأة ثمامة فسأله المهدي أن ينزل عنها ففعل وأقام المهدى حتى انقضت عدّتها ثم تزوجها وبنى بها ثم طلقها وخرج الى ... فلما انقضت عدتها ... زوجها وقال ابو طاهر أنشدنى بعض ... شعر ... في ...

بني القعقاع أكرمكم لئيم · وأعظم مجدكم ركب حليق
وأنتم في نسائكم اتساع · وفي أخلاقكم نكد وضيق

وعن عبد الله بن ياسين قال : كان في المهدي غزل وشدة حب للخلوة بالنساء فبلغه عن ابنة لابي عبيد الله كانت ذات جمال فقال للخيزران استزيريها ، فزارتها وجاءت اليها فقالت لها هل لك في الحمام ، قالت . نعم ، فلما دخلت الحمام وافاها المهدي فبرزت له ولم تستتر عنه فقال لها المهدي انا واليك فزوجيني نفسك ، فقالت انا امتك ، فتزوجها ونال منها ، فلما انصرفت اخبرت إخوتها بما كان فقالوا امسكي عنه ، فلما كان بعد مدة قالوا لها استزيري الخيزران فاستزارتها فلما صارت اليها قالت : هل لك في الحمام قالت نعم ، فلما دخلتا معاً ماشعرت الخيزران الا بني أبي عبيد الله قد عمدوا عليها فاستترت عنهم فقالوا لو أردنا أن نفعل كما فعلتم بحرمتنا افعلنا ولكنا لا نستحل ، فقالت لهم والله لو رمتم ذلك لأمرت الخدم بقتلكم ، فانصرفوا فلما رجعت الخيزران أخبرت المهديّ بذلك فكان السبب في قتل المهديّ محمد بن ابي عبيد الله على الزندقة . وبلغه ايضا عن عونة بنت ابي عون جمال وهيئة فقال للخيزران استزيريها فاستزارتها فقالت لها الخيزران هل لك في الحمام . قالت نعم ، فلما دخلتا ماشعرت الا بالمهدي قد دخل فاستترت بالخيزران وقالت والله لئن دنوت مني لأضربن بالكرنيب وجهك ، فقال ويلك انما أردت ان اتزوجك ، قالت لاسبيل الى ذلك ، فانصرف عنها وحدث بها فقال أحسنت في فعلك

محاسن العبادة

الحسن الجرجاني قال حدثني سهم بن عبد الحميد الحنفي قال خرجت من الكوفة اريد بغداد فلما نزلت بسط علمانا فهيؤا غداءنا وقدمنا نحن رحالنا حتى نحمله

والهيئة على برذون فاره فصحت بالغلمان فاخذوا دابته فدعوت بالغداء فبسط يده غير محتشم وما أكرمته بشيء الّا قبله وكنا كذلك اذ جاء غلمانه بثقل كثير وهيئة جميلة فتناسبنا فاذا هو طريح بن اسماعيل الثقفي فارتحلنا في قافلة ما لا يدرك طرفاها فقال طريح ما حاجتنا الى هذا الزحام وليست بنا اليهم وحشة ولا علينا خوف فاذا خلونا بالجامات والطرق كان أروح لأبداننا قلت ذلك اليك فنزلنا من الغد الجان وتغدّينا والى جانبنا نهر ظليل بالشجر فقال هل لك ان تستنقع فيه فمررنا اليه فلما نزع ثيابه اذا بين جنبيه آثار ضرب كثير فوقع في نفسي منه شر فنظر الي ففطن وتبسم وقال قد رأينا ذعرك عاترى وحديث ذلك يجري اذا سرنا بالعشية فلما سرنا قلت له الحديث قال نعم قدمت من عند الوليد بن يزيد بالعطاء واليسار وكتب الي يوسف بن عمر فلما أتيته ملأ يدي خيراً فخرجت مبادراً الى الطائف فلما امتد بي الطريق وليس يصحبني فيه احد عنّ لي اعرابي على قعود له فحدث احسن الحديث وروى الشعر فاذا هو راوية فانشد فاذا هو شاعر فقلت من اين اقبلت ، قال لا ادرى ، قلت وما القصة ، قال انا عاشق لامرأة قد افسدت علىّ عيشي وقد حذرني اهلها وجفاني لها أهلي وانما استريح بان انحدر الى الطريق مع منحدر واصعد مع مصعد ، قلت وأين هي ، قال نزل عداً بارائها ، وانا نزلنا أرني طريقاً عن يسار الطريق فقال ترى ذلك الطريق ، فقلت أراه ، قال فترى الخيم التي هناك ، قلت نعم ، قال فانها في الخيمة الحمراء ، وأدركتني اريحية الحدث فقلت والله اني آتيها برسالتك فمضيت حتى انتهيت الى الخيم فاذا امرأة طرمة جميلة كأنها مهرة عربية فذكرته لها فزفرت زفرة كادت تنقض أضلاعها قالت أوحيّ هو قلت نعم تركته في رحلي وراء هذا الطريق ، قالت بأبي أنت وأمي أرى لك وجهاً حسناً يدل على الخير فهل لك في أمر ، قلت نعم فقير اليه ، قالت تلبس ثيابي وتقوم مكاني ودعني حتى آتيه وذلك عند مغيربان الشمس فانك اذا صر لي ... روحي فقال لك يا فاجرة ويا هذه ابنة الهنة فيوسعك شتماً فأوسعه صمتاً ثم يقوم في آخر كلامه فقعي ... ياعدوة الله فضع القمع في هذا السقاء واياك وهذا ... لآخر ... ، قلت ... حتها الى ما سألت فجاء الروح على ما وصفت

وقال اقعي سقاءك خيرني الله ان تركت الصحيح وقعت الواهي فما شعر الا بالّلص يتسسب مين رجليه فعدا الى كسر الخيمة وحلّ متاعه وتناول رشاء من قدّ مدبوغ ثم شاه بأثنتين فحمل لا يتقي رأساً ولا وجهاً ولا رجلا حتي خشيت ان يبدو له وجهي فتكون الأخرى فألزمت وجهي الأرض فجعل يظهري ما تري فلما تعيب عني جاءت المرأة باكية فرأت ما بي من الشر واعتذرت وأحدثتُ ثيابي وانصرفت . قال وحدث بهذا الحديث محمد بن صالح بن عبد الله بن الحسن بن علي بن أبي طالب صلوات الله عليه بسر من راى سنة أربعين ومائتين وكان حُمل من البادية الى المتوكل فأطلقه وكان اعرابيا فصيحا فعجب منه وكان حسن الوجه عجيباً قلّ ما رأيت في الفتيان مثله. قال كان منا فتى يقال له الأشتر بن عبد الله وكان سيد بني هلال واحسنهم وجهاً واسخاهم كفاً وكان معجباً بجارية يقال لها جيداء بارعة الجمال فلما اشتهر أمرهما وظهر خبرهما وقع الشر بين أهل بيتيهما حتي قُتل بينهما القتلى فافترقوا فريقين فلما طال على الأشتر البلاء جاءني يوما وقال يا عمير هل فيك خير قلت عندي ما احببت قال فساعدني على زيارة جيداء قلت بالحب والكرامه فانهض اذا شئت قال فركبنا وسرنا يوما وليلة والغداة حتي امسينا فنظرنا الى أدنى سرب لهم فانخنا رواحلنا في شعب وقعدنا هنالك وقال يا عمير اذهب وانشد واذكر لمن يلقاك انك طالب ضالة ولا تعرض بذكري بشئ ولا بلسان الى ان تلقى جاريتها فلانة راعية الضأن فتقرئها مني السلام وتسألها عن الخبر وتعلمها بمكاني . قال فخرجت لا أتعدى ما أمرني به حتي لقيت الجارية فأبلغتها الرسالة وأعلمتها بمكانه وسألتها عن الخبر فقالت هي مشدّد عليها محتفظ بها وعلى ذلك فموعدكما عند الشجرات اللواتي عند عُقب البيوت مع صلاة العشاء فانصرفت فأخبرته ثم قدنا رواحلنا حتى بينا الموعد في الوقت الذي وعدتنا فيه فلم نلبث الا قليلا حتى اذا جيداء تمشي قد دنت منه فوثب اليها الأشتر فصافحها وسلم عليها ونمت مولّياً عنهما فقالا اقسمنا عليك لا رجعت فوالله ما بيننا من ريبة ولا قبيح نخلو به دونك فانصرفت اليهما وجلست معهما فقال الأشتر ما فيك حيلة يا جيداء فنتزود منك الليلة قالت لا والله ما الى ذلك سبيل الا ان أرجع الى شئ تعلمون البلاء والشر فقال لا بد من ذلك ولو وقعت السماء على الأرض قالت فهل بصاحبك خير فات

ملى وهل الخير الّا عندي فاسألي ما بدا لك فاني منته اليه ولو كان فى ذلك كله ذهاب نفسي فألبستني ثيابها وأخذت ثيابي ثم قالت اذهب الى خبائي فادخل فى ستري فان زوجي يأتيك مع العتمة فيطلب منك القدح ليحلب فيه فلا تعطه من يدك فكذلك كنت افعل فيحلب ثم يأتيك بالقدح ملآناً لبناً فيقول هاك فلا تأخذه منه حتى يطيل عليك نكدك ثم خذه او ذره حتى يضعه ثم يستند بردائه ولست تراه حتى يصبح فذهبت ففعلت ما أمرتني به حتى جاء بالقدح فيه اللبن فاطلت نكدي عليه ثم اهويت لآخذه فاختلفت يدي ويده وانكفأ القدح فاندفق منه اللبن فقال ان هذا لطماح مفرط وضرب يده الى جانب الخباء فاستخرج سوطاً فضربني مقدار ثلاثين سوطاً حتى جاءت أمه وأخواته فانتزعوني منه ولا والله ما فعلوا ذلك حتى زايلتني روحي وهممت أن أوجره بالسكين فلما خرجوا عني وهو معهم قعدت كما كتب الله فما لبثت ان جاءت أم جيداء فحدثتني وهي تحسبني ابنتها فألقيتها بالسكوت وتغطيت بثوبي دونها فقالت يا بنية اتقي الله ولا تتعرضي المكروه من زوجك فذلك أولى بك ثم خرجت من عندي فقالت سأرسل اليك اختك تؤنسك وتبيت الليلة عندك فلم ألبث ان جاءت الجارية تبكي وتدعو على من ضربني وانا لا أكلمها ثم اضطجعت الى جانبي فلما استمكنت منها شددت يدي على فمها وقلت يا هذه تلك أختك مع الأشتر وقد قطع ظهري بسببها وأنت أولى من ستر عليها فاختاري لنفسك فوالله لئن تكلمت لتكونن فضيحة شاملة ثم رفعت يدي عن فيها فاهتزت مثل القصبة من روع ما نالت مني وبات معها الشهوة التامة ووافقتني اصلاح رفيق رافقته ولم أذق شيئاً ألذ مما ذقت منها قط فلم نزل نتحدث ونضحك مني ومما بليت به حتى برق النور وجاءت جيداء فلما رأتنا ارتاعت وقالت من هذا عندك قلت أختك قالت وما السبب قلت هي تخبرك فخذي ثيابك وأخذت ثيابي وأتيت صاحبي فأخبرته بما أصابني وكشفت له عن ظهري وذا فيه ما لله به عليم فقال لقد عظمت منتك عندي ووجب شكرك وخطرت بنفسك فلا حرمني الله مكافأتك .. وعن رجل من بني عامر انه خرج وهو غلام ما بين وجهه وكان ذا جمال وهيئة صاحب غزل فهجم على قوم يحملون وقد شدوا أثقالهم وبرزوا واذا امرأة جميلة قد تحاملت على جمل لها لاصلاح شأنها

قال فوقفت عليها فاذا هي احسن خلق الله وجها واغزله واملحه فتلاقيا كلاما غير كثير فقالت . اسألك شيئاً فهل لك به علم ، قلت : سلي ، فقالت . ايهما احسن جردة الرجل أم المرأة ، قلت : الرجل ، قالت : بل المرأة فان احببت ان تعلم ذلك علمته ، قلت وكيف اعلمه ، قالت . اتجرّد لك من ثيابي وارميها عني ثم امشي حتى ابلغ الأكمة ثم اقبل حتى آتيك فتعطيني عهد الله وميثاقه لتفعلن كما فعلت . فقلت لك عهد الله ان فعلت لأفعلنه ، قال فألقت ثيابها عن احسن ما نظرت اليه قط بياضا ونظافة وحسنا فلما انتهت إلي قلت الوفاء ، قلت الوفاء ونعمة عين فخلعت ثيابي وانا كأشهى الفتيان وأهيأهم حتى مضيت بعد الغاية فلما انتصف بي المدى سمعت جرجرة جملي فاذا هي قد جالت على ظهره لابسة ثيابي متنكبة قوسي قد لزمت المحجة فناديتها فلم تعرج على ولبستُ ثيابها وتخمرتُ بخمارها وركبتُ بعيرها وجررته فاسعت في أثر الحي وأخذت شق الوحشي حتى ما أراها وجعلت أكف عن الجمل اذ خشيت ان ألحق الظعن حتى رأوني من بعيد وجعلوا ينادون ويحك أقبلي وانا صامت لا أتكلم ولا أتقدم فلما طال عليهم أمري بعثوا بجارية لهم مولدة فاقبلت تعدو حتى أتتني وشعت خطام الجمل من يدي وانا متبرقع احسن الناس وجها وعينا فنظرت الجارية في وجهي ساعة ثم قالت لقد امسيت حديدة الطرف وقادت الجمل حتى اتت الحي فقالت يا جارية بنية لقد استحيت من الناس مما دعوتك العشية ثم تأملت ونظرت وسائر الناس وقلن احدهن والله انه لرجل ووطئ وازلتني العجوز وادخلتني الستر وقالت من أنت لا أفلحت ، قلت بل امتك لا أفلحت ولا انجحت وقصصت عليها قصتها ، فقالت ... ... الا اعزبي نفسك هرباً من الابل فانا كما على أن نبي دنيق صاحبة الجمل بنية وما في الحي رجل غير زوجها وهو انسان فيه لوثة ولا بد من أن ندخلك سيه ... امرد فلا ينكرك ولا أراه أقوى منك ان اعتركتما فلك عندي ... ... لامتها وجالتها فالبستني ثوب العروس وطيبتني ثم ادخلتني في خدر تزف بعد العتمة وقالت أمها انا لك الفداء تجلد ساعة بالامتناع فانه منصرف عنك وسنأتيك بكرة فأدخلتني على مثل الأسد الا ان به لوثة كما قال فاعتركنا حتى ... ...

بي الليل حتى سمعت خرخرة حلى فلم الث الا هنيهة حتى حاءت أمها وحالتها وهي معهما فحملها مكانى وفتشتُ عن سرها فدا هي قد طلب مع انسان كانت تهواه وأتيت ثيابى فنهضت مبادراً لا ألوى على شئ حذراً مما لقيت ،، قيل وملك النعمان بن المدر اربعين سنة فلم تُرَ منه سقطة غير هده : وهو انه ركب يوما فبصر بجارية قد حرجت من الكنيسة فاعجبته لجمالها فدعا بعديّ بن زيد وكان نديمه ووزيره فقال له يا عـديّ لقد رأيت جارية لئن لم اظفر بها انه الموت ولا بد من أن اتلطف أو تتلطف لي حتى تجمع بيني وبينها ، قال ومن هي ، قال سألت عنها فقيل هي امرأة حكم بن عمرو رجل من أشراف الحيرة ، قال فهل اعلمت أحـداً ، قال لا . قال فاكتمه فادا اصبحت فجدّد لحكم كرامة وبراً فلما ادن للناس بدأ به فأجلسه معه على سريره وكساه فاستعظم الناس دلك فلما أصبح بدأ أيضاً بالادن له وحمّله فأنكر الناس دلك فقالوا . ما هدا إلا لأمر فصنع به دلك أياما ثم قال له عديّ . أيها الملك عندك عشر نسوة فطلق احداهن ثم قل له فليتزوجها ففعل فلما دخل عليه قال يا حكم ما كانت نفسى تسمح بهدا لولد ولا لوالد فتزوج فلانة فقد طلقتها فخرج حكم الى عدىّ فقال يا أبا عويمر ما صنع الملك باحد ما صنع بى وما أدرى بما أكافيه ، قال له عدىّ طلق امرأتك كما طلق لك امرأته ، ففعل وحظى بها عدىّ عنده وعلم حكم انه قد مكر به فى امرأته ،،

وفيه يقول الشاعر

ما فى البريّةِ من أُنثى تعادِلها إلاَّ الذى أخذَ النُّعمانُ مِنْ حكَمِ

وحدث الفضل بن العباس عن الزبير بن بكار عن محمد بن بشير الخارجي قال قدم علينا رجلان من اهل المدينة يصيدان ومعهما نسوة والفساطيط مضروبة وكان سليمان بن عبد الله لاحى وابن اخ له مقيمين بناحية الروحاء فأرسل النسوة الى سليمان وابن اخيه ان لكما حاجة في الحديث فرد الرسول ان لكن اما فيه حاجة فكيف لنا بدلك مع زوجكن فقلن انا خرج زوجانا للصيد وقد نامنا ان لكم صاحباً يعرف من طلب الصيد ما لا يعرفه غيره فلو طرح لهم شيئاً من دكره لأسرعوا اليه وتخلفتم وتحدثتم

ماشئتم يمين به محمد بن بشير فمضى اليه سليمان وابن اخيه فقالا . يا ابا محمد ارسل الينا النسوة بكذا وكذا وسألوني ان اخرجك الى الصيد فقلت لا والله لا افعل ولا اتعب ولا انصب وانتم تتلهون وتتحدثون انا لهذا اشد حبا واكثر صبابة وشوقا فارسلا الى النسوة فقالتا فارسل الي رسولا وعاهدني لئن اخرجتهم ليحتلن لي حتى احلو معهن ليلة حتى الصبح فصرت اليهم وذكرت لهم الصيد فخرجوا معي فما زلت احدثهم بالصدق حتى احدثت في الكذب مما يصارع الصدق حتى افنيته فاقمت معهم ثلاثة ايام ولياليها ثم انصرفوا من غير ان اصطادوا شيئاً فقلت في ذلك

إني انطلقتُ معي قومٌ ذوو حسبٍ ... ما في خلائقهمْ زهوٌ ولا حمقُ

إني لأعجبُ منهم كيفَ أخدعُهمْ ... أمْ كيفَ آفكُ قوماً ما بهم رهقُ

أُطَلُّ في الأرضِ ألهيهمْ وأُخبرُهمْ ... أخبارَ قومٍ وما كانوا ولا خُلقوا

ولو صدقتُ لقالَ القومُ قد دخلوا ... حينَ انطلقنا وإني ساعةَ انطلقوا

فلو أُجاهدُ ما جاهدتُ دونكمُ ... في المشركينَ لأدركتُ الأُولى سبقوا

إن كنتُ أبداً جاري من خلائقكم ... والدهرُ ذو عنفٍ أيامهُ طُرُقُ

فإنَّ كلَّ جديدٍ عائدٌ خلقاً ... فلنْ يعود جديداً ذلك الخلقُ

قال قطر أصحابي بالحديث والمعارلة وانا بالجهد والخيبة مع [illegible] القيادة [illegible] وكذب المحادثة ، وحدثنا وهب بن سليمان عن عمه الحسن بن وهب قال خرج محمد بن عبد الملك الزيات من عند الواثق [illegible] محمد بن ابي السرج الهاروني [illegible] ابن طاهر واذا بجارية حسناء في منظرة لها فلما [illegible] وكان [illegible] ومأت اليه السلام وأومأت بيدها الى صدرها [illegible] اليه فرأيته بخلاف ما عهدت وكان لا يكسي شيئاً [illegible] رأيت شيئاً [illegible] ثم أنشأ يقول

وابأبي مُخضبٌ أومى إليها بيدِه
أومى بها يخبرني راحتهُ فى كبدِه
أنّ الصبي فى جسدي يخبرني عن جسدِه
فليس للحاسدِ إلاّ خصلةٌ من حسدِه

ثم شرح لي القصة ثم انصرفت من عنده ووافيت مولى الجارية فسألته أن يبيعها فقال اشتريتها للامير عبد الله بن طاهر وليس الى بيعها من سبيل فلم أزل به حتى اشتريتها بخمسين ألف درهم ووجهت بها اليه وكتبت اليه

هذا محبك مطويٌّ على كمده عبرى مدامعهُ تجرى على جسدِه
له يدٌ تسألُ الرحمن راحتها مما به ويدٌ أخرى على كبدِه

فقبلها وحسن موقعه عنده فولاني خراج ديار ربيعه فأصبت فيها الف الف درهم .. قال السجستاني ارق الرشيد ذات ليلة فوجه الى عبد الملك الاصمعى والى الحسين الخليع فاحضرهم وشكا اليهما مدافعة نومه وشدة ارقه وقال لهما عللاني احاديثكما وابدأ أنت يا حسين . فقال نعم يا أمير المؤمنين خرجت فى بعض السنين منحدرا الى البصرة وممتدحا لآل سليمان فقصدت محمد بن سليمان بقصيدتى فقبلها وأمرني بالمقام فخرجت ذات يوم الى المربد وجعلت المهالبه طريقي فاصابني حر وعطش فدنوت من باب دار كبير لاستسقى فاذا انا بجارية أحسن ما يكون كأنها قضيب تتثنى وسناء عينين زجاء الحاجبين مهفهفة الخصر حاسرة الرأس مفتوحة الجربّان عليها قميص لاد جلناريّ ورداء عدني قد غلبت شدة بياض بدنها حمرة قميصها تتلألأ من تحت قميص بدنين كرمانيين ناصعين كطي القباطي وعكن مثل القراطيس لها جمة جعدة بمسك محشوة وهي يا أمير المؤمنين متقلدة حرزاً من ذهب والجوهر يزهر بين ترائبها على صحن جبينها طرة كالسبج وحاجبان مقرونان وعينان كحلاوان وخدان أسيلان وأنف أقنى تحته ثغر كاللؤلؤ وأسنان كالدر وقد غلب عليها سواد المسك والغالية

ودابر العود الهندى على لثها ء ق الحلوق وهي والهة حيرى وامقة في الدهليز وحائية تخطر في مشيتها قد حالط صرير نعلها أصوات خلخالها كأنها تخطر على اكباد محبيها فهي كما قال الافوه الأودي

لَيسَ منها ما يُقالُ لها ... كَمَلَتْ لو أنَّ ذا كملا

كلُّ جزءٍ منْ محاسنِها ... كائنٌ منْ حُسنِها مثلا

لو تَمنَّتْ في بَراعتِها ... لمْ تجدْ في حُسنِها بدلا

فهمتها والله يا أمير المؤمنين ثم دنوت منها لأسلم عليها فاذا الدار والدهليز والشارع قد عبقت بالمسك فسلمت عليها فردت السلام بلسان منكسر وقلب حزين محروق فقلت لها يا سيدتي اني شيخ غريب أصابني عطش فأمري لي بشربة من ماء تؤجري . قالت اليك عني يا شيخ فاني مشغولة عن سقي الماء وادخار الأجر ، فقلت لها يا سيدتي لأية علة ، قالت لأني عاشقة من لا ينصفني وأريد من لا يريدني ومع ذلك فهي ممتحنة برقباء فوق رقباء ، قلت لها يا سيدتي هل على بسيط الأرض من تريديه ولا يريدك ، قالت انه لعمري على ذلك الفضل الذي ركب الله فيه من الجمال والدلال ، قلت لها يا سيدتي فما وقوفك في الدهليز ، قالت هو طريقه وهذا أوان اجتيازه قلت لها يا سيدتي هل اجتمعتما في خلوة في وقت من الأوقات أو حديث مستحدث . فتنفست الصعداء وأرخت دموعها على خديها كطل على ورد ،، وأنشأت تقول

وكنا كغصني بانةٍ وسط روضةٍ ... نشمُّ جنا اللذاتِ في عيشة رغد

وأفرد هذا الغصن من ذاك قاطعٌ ... فيا من رأى فرداً يحن إلى فرد

قلت لها يا هذه ما بلغ من عشقك هذا الفتى قالت أرى الشمس على حائطهم أحسن منها على حائط غيرهم وربما أراه بغتة فأبهت وتهرب الروح من جسدي وأبقى الأسبوع والأسبوعين بغير عقل ، قلت لها عذري بلي وأنت على ما بك من الضنى وشغل القلب بالهوى وانحلال الجسم وضعف القوى ما أرى بك من صفاء اللون و رقة

البشرة فكيف لو لم يكن بك من الهوى شيء أراك كنت مقيمة فى أرض البصرة ، قالت : كنت والله يا شيخ قبل عشقى لهذا الغلام تحفة الدلال والجمال والكمال ولقد فتنت جميع ملوك البصرة وفتنى هذا الغلام ، فقلت . يا هذه ما الذي فرّق بينكما ، قالت : نوائب الدهر وأوابد الحدثان ولحديثي وحديثه شأن من الشأن وأنبيك أمري انى كنت اقتصدت فى بعض أيام النيروز فأمرت فرش لي وله مجلس بأنواع الفرش وأوانى الذهب ونضّدنا الرياحين والشقائق والمنثور وأنواع النوار وكنت دعوت لحبيبي عدة من متظرفات البصرة فيهن من الجوارى جارية شهوان وكان شراؤها عليه من مدينة عمان ثمانمائة ألف درهم وكانت الجارية ولعت بي وكانت أول من أجابت الدعوة وجاءتني منهن فلما حصلت عندي رمت نفسها عليّ تقطّعني عضاً وقرصاً ثم خلونا نتمرر القهوة الى ان يدرك طعامنا ويجتمع من دعونا فتارة هي فوقي وتارة انا فوقها فحملها السكر على ان ضربت يدها على تكتي فحلتها ورفعت هي سراويلها وصارت بين نحدى كتصير الرجال من النساء فبينا نحن كذلك اذ دخل عليّ حبيبي وقد انبرق قرطي مخاخالي فلما نظر اليّ اشمأزّ لذلك وصدف عنى وعنها صدوف المهرة العربية اذا سمعت صلاصل اللجُم وعضّ على أنامله وولّى خارجا فأنا يا شيخ منذ ثلاث سنين أسأل سخيمته واستعطفه فلا ينظر إلي بعين ولا يكتب إلي بحرف ولا يكلم لي رسولاً ، قلت لها . يا هذه أمن العرب هو أم من العجم ، قالت هو من جلّة ملوك البصرة ، قلت : من أولاد بنّائها أو من أولاد تجارها ، قالت من عظيم ملوكها ، قلت لها . شيخ هو أم شاب فنظرت إلي شزراً وقالت انك لأحمق أقول هو مثل القمر ليلة البدر أمرد أجرد وطرة رقعاء كحنك الغراب يعلوه شقره في بياض عطر للناس ضارب السيف صاعق بارع لاعب بالنرد والشطرنج ضارب بالعود والطنبور يعني ويسقر على عدل وزن ذ فيه شيء إلّا انحرافه عنى لا نقصاً لي منه بل حقداً لما رآنى عليه ، قلت يا هذه وكيف صبرك عنه ، فأنشأت تقول

أُوارَ النّارِ مستتابهُ والهٌ وجفونُ عيني ساجماتٌ تدمعُ

والليلَ قد أرعى النجومَ مفكّرًا ... حتى الصباحِ ومقلتي لا تهجعُ
كيف اصطباري عن غزالٍ شادنٍ ... في لحظِ عينيهِ سهامٌ تصرعُ
وجهٌ يضئُ وحاجبانِ تقوّسا ... وكأنّ جبهتهُ سراجٌ يلمعُ
وبياضُ وجهٍ قد أُشيبَ بحمرةٍ ... في وجنتيهِ كأنّهُ مستجمعُ
والقدُّ منهُ كالقضيبِ إذا زهى ... والغصنُ في قنواتهِ يترعرعُ
تمّتْ خلائقهُ وأُكملَ حسنهُ ... كمثالِ بدرٍ بعدَ عشرٍ أربعُ

قلت لها ياسيدتي ما إسمه وأين يكون ، قالت : نصنع به ماذا ، قلت أجتهد في لقائه وأتعرف الفصل بينكما في الحال ، قالت . على شريطة ، قلت . وما هي ، قالت : تلقاه إذا لقيته وتحمل لنا اليه رقعة ، قلت لا أكره ذلك ، قالت هو ضمرة بن المغيرة ابن المهلب بن أبي صفرة يكنى بأبي شجاع وقصره في المربد الأعلى وهو أشهر من أن يخفى ثم صاحت في الدار يا جواري دواةً وقرطاسا وشمرت عن ساعدين كأنهما طومارا فضة ثم حملت القلم وكتبت بسم الله الرحمن الرحيم سيدي تركي الدعاء في صدر رقعتي ينبئ عن تقصيري ودعائي ان دعوت يكون محنة فلولا ان بلوغ المجهود يخرج عن حد التقصير لما كان لما تكلفته خادمتك من كتب هذه الرقعة معني مع ايسها منك وعلمها بتركك الجواب سيدي لحظ نظرة وقت اجتيازك في الشارع الى الدهاليز تحيي بها أنفسا ميتة أسرى وأحطط بخط يدك بسطها الله بكل فضيلة رقعة فاجعلها عوضا من تلك خلوات التي كانت بيننا في الليالي الخاليات التي انا ذاكرتها سيدي الست لك محبة وبك مدنفة فان رجعت مولاي الى الاشبه بك وانقذني من عوارض التلف كنت لك خادمة ولك شاكرة فلما فرغت من الكتاب يا امير المؤمنين دفعته الي فقلت لها يا سيدتي قد وجب حقك علي والزمتك حرمتي لطول وقوفي عليك وكنت قد سألت شربة ماء ولم استغفر الله ما فهمتك عنك ثم صاحت في الدار أخرجن لنا شرابا من ماء وغيره فما كان الا ان اقبل ثلاثون وصيفة بايديهن الطاسات والجامات والاقداح مملوءة ماء

وثلجا وفقاعا وشرابا فشربت الماء ثم قلت ياسيدتى مع قدرتك على هدا من استواء الحال وكثرة الخدم والعبيد والجوارى فلم لا تأمرين احدى الجوارى أن تقف مراعية للغلام حتى ادا مر اعلمتك فتخرجين اليه ، قال لاتغلط ياشيخ فتملك

عَالَةَ عنقِ الليثِ من أجلِ أنّهُ إدا رامَ أمراً قامَ فيهِ بنفسهِ

ثم انصرف عنها يا أمير المؤمنين ولما اصبحت عدوت على محمد بن سليمان فوجدت مجلسه محتفلا بالملوك وأبناء الملوك ورأيت غلاما قد زان المجلس وفاق من فيه حسناً وجمالا قد رفعه الامير فوقه فسألت عنه فقيل ضمرة بن المغيرة فقلت فى نفسى بالحقيقة حلّ بالمسكينة ما حلّ هو والله قاتلها فيما أرى ثم قمت فقصدت المربد ووقفت على باب داره فادا هو قد ورد في موكب جليل فوثبت اليه وبالغت في الدعاء والثناء ثم دنوت منه فاوصلته فى الذي جرى بيني وبينها وناولته الرقعة فلما قرأها ضحك ثم قال يا شيخ قد سبدلنا بها فهل لك في ان تنظر الى البديل ، قلت نعم ، فصاح فى الدار يا جوارى خرجن اليه لبديدا قد كان ألا ان طلعت جارية وصيفة الكمين ناهدة الثديين تمشى مشية متوجل ترتج من دقة خصرها على كبر نحرها دات خدين ومحيريتين تختطفان الانفس حتطاه على رأسها صفيحة من الكافور مكتوب على جبينها

آهٌ من الحبّ آهْ ما أقتل الحبّ وأضناه

ومن دون دلك مكتوب

عيارةٌ ميّاسةٌ فى الخطى رخيمة الدّلِ صيودٌ للرّجالِ

وقد كتبت ... لية على عصابتها ثلاثة اسطر وهى

إدا غضبت رأيت الناس قتلى وإن رضيت فأرواحٌ تعودُ

لها فى عينها لحظاتُ سحرٍ تميتُ بها وتحيى من تريدُ

وتسبي العالمين بمقلتيها فكلُّ العالمينَ لها عبيدُ

فدفعت الرقعة وهو فرح وهى ساحكة فلما قرأت الرقعة اصفرت وعرقت

ومزقتها وصرت بها في وجه الغلام وعادت في الستر . فقال لي : أما أنت ياشيخ فاستغفر الله مما مشيت فيه . قلت : بل أنت استغفر الله من هجرانك اياها وتركك إتيانها والله ماأرى لها في البشر نظيراً . قال لا أفعل ولو أنها في حسن يوسف وكمال حواء فخرجت . ياأمير المؤمنين وأنا أجر ذيلي حتى وردت عليها فاستأذنت ودخلت فبدأت بي . فقالت : ما وراء الشيخ . قلت البؤس واليأس : قالت لا عليك فأين الله والقدر ثم أمرت لي بخمسمائة دينار وعشرة أثواب وخرجت من عندها وأنا ممتدح لآل سليمان فلم يكن لي والله الا معرفة خبرها في العام الذي عدت فيه الى البصرة فوردت عليها فوجدت على بابها أمراً ونهياً وأساساً لاتكون الا على باب الخلفاء فستأذنت فدخلت فاذا فوق رأسها ثلاثون رجلا من شيوخ وشبان وخدم وقوف بسيوفهم فلما نظرت الي عرفتني ووثبت الي وقبلت رأسي وقالت ياشيخ الحمد الله الذي جعل العبيد بالصبر ملوكا وجعل الملوك بالتيه عبيداً ان الذين تراهم وقوفا أصحاب ضمرة يسلون سخيمتي ويسألوني الرجوع اليه والله لانظرت اليه في وجه ولو أنه في حسن يوسف وكمال حواء فسجدت ياأمير المؤمنين شماتة بضمرة وتقرباً الى الجارية فقال بعض أصحاب ضمرة مهلا ياشيخ فمن حب مخصرد طاب مولده ثم انصرفوا فناولتني خريطة فيها أوراق فقال هذا أول ماورد عاتب منه ففتحتها فاذا فيها ثوب حرير أبيض بيقق مكتوب فيه بماء الذهب بسم الله الرحمن الرحيم ولا تعادى عليك أدام الله حياتك لو صفت سطراً من عذرك وانبسط سوط عتبي عليك وحكمت سيف ظلامتي فيك ادركت الجانية على نفسك والمظهرة لسوء العهد وقلة الوفاء المؤثرة علينا غيرنا فخالفت هواي ووفرت نفسك لها على حين جد وهزل وصحو وسكر وتستعدني امة على ما كان من سوء اختيارك وقد صبت . فعلى هذه أبيات شعر قد تعصبت لما نظرها وهي

قطع قلبي فراقكم قطعا وكدت أقضي لبينكم جزعا

ما تكحل العين بالرقاد ولا يسمح حسي في الميل مضطجعا

لاعيش لي مذ نأت ولا وجدت عيناي في الأرض قط متسعا

قلت لها أفلا تحدثيني كيف سلست منه و تبتى ... كيف الأحداث فتبسمت

تفاحة جارية محمد بن سليمان فدعيا الى جوربق لمحمد بن سليمان فلما طعمنا دعت لنا بالشراب فبينا نحن كذلك اذا بخرافة سلطانية قد وردت وفيها عدة من أسماء الملوك وفيهم هذا العيار ولا علم لى بمكانه وكنت حملت العود وغنيت

أَبْلَى فُؤَادِي وشفَّني الأَرَقُ   والدَّمْعُ مِنْ مُقْلَتَيَّ يَسْتَبِقُ

مِنْ حُبِّ ظَبْيٍ أَغَنَّ ذِي دَعَجٍ   وقلبُهُ للشَّفَـاء مُنْطَلِقُ

فلما وجبت العتمة انصرفنا وأبطأت الجارية وأتانى هؤلاء القوم من عنده يسلون سحيتى ويستعطفونى عليه ثم انصرفت عنها يا أمير المؤمنين ودخلت الحمام من ساعتى فما كان الا أن دخلت حتى أتاني غلامي فقال جماعة من جلة الناس قد طرقوا دارك بالملوك فلبست ثيابي وخرجت مسرعا فاذا بصمرة قد كبس دارى في عدة من الرؤساء فقال والله لا برحنا حتى تعلق علينا الخمسمائة دينار التي أخذتها من الجارية سيدتى ،قالت أي والله بالسمع والطاعة ثم حدثي الى نفسه فلم يزل يناظرنى فى أمرها حتى أقبل المساء ثم انصرف الى رحله فلما كان من الغد وردت له رقعة مع خادم وكيس فيه ألف دينار واستزارني فصار ذلك وصرت معه اليه فلما نظر اليَّ تنحى عن مقعده وأقعدني ثم قال هذا قد أعددته للسرور لسيدتي هدية وأنت أولى من تختم مع الخادم اليها قالت السمع والطاعة ثم صاح فى الدار هاتوا الهدية فاذا مائة تخت من ثياب وصندوق من ذهب مقفل عليه فتدلى فى التخت والصندوق مبلغ ثلاثين ألف دينار وأنت أولى من تفصل بالارسال نصرنا اليها وشددنا فلما مثلنا بين يديها أنكرتني ، وقالت من الشيخ ، قالت الخليع بعرف وومعي هدية عندك صمرة فصاحت في الدار تملأ فاذا جارية كأنها [illegible] من الشبكة ، قلت لها خذي هذه الهدايا وفرقيها على جوارى الدار ثم قالت أتصنع خوصن أن تجمع معي [illegible] وولى الهدية في ثلاثين سنة ، قلت لها العفو [illegible] صمرة [illegible] تعتق رقبته ، قالت وفى خمس عشرة سنة . قالت لها انقصنا أولى [illegible] قالت وفى [illegible] سنين قالت لها حطة أخرى وقد احتجمنا ، قالت لا والله لا [illegible] ولا نشرب حتى [illegible] أمرت أن يسرج لها وبادرت الى باب صمرة مبشراً

فما وصلت أو سمعت صلاصل اللجم فاذا هي قد سقتني في حواريها وخدمها فدخلت فاذا هما يتعانقان ويتعاتبان فقلت ياسيدتي ماأنتما الى شئ أحوج منكما الى حلوة ، قالا : هو ذاك فانصرفت عنهما ثم بكرت عليهما فاذا هي في المرقد الأول جالسة عليها جبة وشئ مطير وهي تعصر الماء عن ذوائبها وتصلح قرونها فاستحيتني . وقالت لا تفكرن في ريبة فوالله ماصابنا البارحة حتى بعثت الى عبد الرحمن بن أبي ليلى القاضي فزوجت نفسي سيدي ولكن صر اليه فانه في المرقد الثاني فصعدت اليه فلما نظر الي وثب الي وقبل بين عيني ، وقال : يا شيخ قد جمع الله بيني وبين سيدتي بك ثم دعا بدواة وقرطاس وكتب الى ابن نوح الصيرفي في ثلاثة آلاف دينار وجهت اليها . فقال : هاذا رأت سيدي فاقرأتها الرقعة ، فقالت نعجل اليك مثلها ودعت بمال وصيار ووزنت ثلاثة آلاف دينار ودعت بعشرة أثواب من ثياب مصر وقالت هذه وحيثمك عليها كل يوم فخرجت من عندها وأخذت مرفوعي من آل سليمان وانصرفت الى العراق وكان الرشيد متكئا فاستوى جالسا وقال أوه يا حسين لولا أن صمرة سبقني اليها لكان لي ولها شأن من الشأن

(ومنه مع الشعراء) قال استأذنت بنت لعبد الملك بن مروان في الحج فأذن لها وكتب الى الحجاج يأمره بالقدم الى عمر بن أبي ربيعة أن لا يذكرها في شعره ولما بلغ عمر مقدمها لم يكن له همة الا أن يتهيأ بأجمل مايقدر عليه من الحال والثياب وضربت لها قبة في المسجد الحرام وكانت تكون فيها نهاراً فاذا أمست تحولت الى رحلها مغربيه وتجلس بازاء القبة وقد حضر عمر بشأنها فاذا أرادت الطواف أمرت جواريها فيسترنها بالمطارف وكانت تتطلع الى عمر كثيراً وكانت تسأل من دخل عليها عنه رجاء أن يكون قد قال شيئاً فلم يفعل حتي قضت الحج وارتحلت وبرزت من مكة على أبيات وأقبل راكب من بلد فسألته من أين أقبلت ، قال من مكة ، قالت عليك وعلى مكة لعنة الله قال ولم ياابنة عبد الملك قالت قدمنا مكة فأقمنا أشهراً فما استطاع الفاسق عمر بن أبي ربيعة أن يزودنا من شعره أبياتاً كنا نلهو بها في سفرنا هذا . قال ولعله قد فعل قالت فاذهب اليه واسأله ولك في كل بيت تأتيني به منه عشرة دنانير فأقبل راكب الى عمر ابن أبي ربيعة فأخبره الخبر فقال له قد فعلت ولكن أحب أن تكتمه عني ، قال افعل ثم أنشده

راعَ الفؤادَ تفرّقُ الأحبابِ   يومَ الرّحيلِ فهاجَ لي أطرابي

فظللتُ مكتئباً أكفكفُ عبرةً   سحّاً تفيضُ كوابلِ الأسرابِ

لمّا تنادَوا للرّحيلِ وقرّبوا   بُزلَ الجمالِ لطيّةٍ وذهابِ

كادَ الأسى يقضي عليك صبابةً   والوجهُ منك لبينِ إلفك كابي

قالت سعيدةُ والدموعُ ذوارفٌ   منها على الخدّين والجلبابِ

ليتَ المغيريَّ الذي لم نجزِهِ   فيما أطالَ تصيّدي وطلابي

كانت تردُّ لنا المنى أيّامنا   إذ لا نُلامُ على هوىً وتصابي

أيّامَ سكنتُمْ ودّنا ونودّهُ   سرّاً مخافةَ منطقِ المغتابِ

أُخبرتُ ما قالتْ فبتُّ كأنّما   يرمي الحشا بنوافذِ النُّشّابِ

فبعثتُ جاريتي وقلتُ لها اذهبي   قولي لها في خفيةٍ وتقرابِ

أسعيد ما ماءُ الفراتِ وطيبُهُ   منّي على ظمأٍ وطيبِ شرابِ

ألذّ منكِ وإن نأيتِ وقلّما   ترعى النساءُ أمانةَ الغيّابِ

إن تبذلي لي نائلاً أشفي به   سقمَ الفؤادِ فقد أطلتِ عذابي

وعصيتُ فيكِ أقاربي فتقطّعت   [illegible] وبينهمُ عُرى الأسبابِ

فتركتني كالمبرق فصلاته   في حرِّ هاجرةٍ لِلمعِ سرابِ

ثم غنّى [illegible] الأبيات وغضب [illegible] وأمرت جواريها فحفظتها ثم وفت له بما وعدت
[illegible] في كتب [illegible] وقال أخبرنا محمد بن خلف قال أخبرني أبو بكر
العمري قال حدثني موسى بن عمر بن أوح مولى فاطمة بنت الوليد بن عبد شمس بن
[illegible] بن [illegible] قال حدثني بلال مولى ابن أبي عتيق قال قام

الحارث بن عبد الله بن عياش بن أبي ربيعة من الحج فأتاه ابن أبي عتيق ، فقال : كيف تركت أبا الخطاب فقال هجرت الثريا عمر وقال

مَنْ رَسولي إلى الثريَّا فإني ضِقتُ ذرعاً بهجرِها والكتابِ
سلبتني مجاجةُ المسكِ عقلي فسلوها بما يحلُّ اغتصابي
أبرزوها مثلَ المهاةِ تهادى بين خمسٍ كواعبٍ أترابِ
وهي مكنونةٌ تحيَّرَ منها في أديمِ الخدَّينِ ماءُ الشبابِ
وتكنفنها كواعبُ بيضٌ واضحاتُ الخدودِ والأقراب
في سخابٍ من القرنفلِ والدرّ نفيس واهاً له من سخاب
قلتُ للمُاصرَين بالسّجفِ دوني ليس هذا لودِّنا بثواب
فتبدَّتْ حتى إذا جنَّ قلبي حال دوني ولائدٌ بالثيابِ
حين شبَّ القتولَ والعنقَ منها حسنُ لونٍ يرفُّ كالزرياب
ذكرتني ببهجةِ الشمسِ لما طلعتْ في دُجنةٍ وسحاب
دُميةٌ عند راهبٍ وقسيس صوّروها في مذبح المحراب
فارجحنت في حسنِ خلقٍ عميم تتهادى في مشيها كالحباب
ثم قالوا تحبها قلتُ بهراً عدد الرملِ والحصا والتراب

وقال لغلامه انطلق بكتابي هذا إلى ابن أبي عتيق بالمدينة وادفعه إليه وقبل علامه بالكتاب حتى دفعه إليه فلما قرأه قال والله أنا رسوله إليها وسار حتى قدم مكة لا يعلم أهله فأتى منزله وحده ليلاً فانطلق غلام عمر إلى عمر ، فقال له رجلاً قدم وهو يطلبك من شأنه وهيئته كذا ، قال ويحك ذاك ابن أبي عتيق ذهب إليها فيمن لولاي أتيك الآن وكان عمر على فرسخين من ... ميل من مكة ... علامه

فأخبره فقال اسرح لي أنت بردون عمر فان دابتي قد تعبت وكلت فأسرجه له فركب وأتى الحي وصهل البردون وسمعت الثريا صهيله ، فقالت : لجواريها هذا هو بردون الخبيث عمر ثم دعت بغلة لها فوضعت عليها رحالها فخرجت فاداهي بابن أبي عتيق فقالت مرحباً بعمي ماجاء بك ياعم ، قال أنت والفاسق حبيتما بي ، قالت : أما والله لو تغيرك تحمل علينا ما أجبناه ولكن ليس لك مدفع امرؤ ساقحوه فأقبل حتى انتهى الى عمر فخرج عمر اليــه وقبل يده ثم قال انزل جعلني الله فداك ، فقال ماء مكة عليّ حرام حتى أخرج منها ثم دعا ببغلته فركبها وانصرف الى المدينة وخلا عمر بالثريا • وحدث الزبير ابن بكار عن أبي محرم عن ابراهيم بن قدامة قال قال عمر بن أبي ربيعة ألا أحدثك حديثاً حلواً ، قال قلت نعم قال بينا أنا جالس اذ جاءني خالد الخريت ، فقال يا أبا الخطاب هل لك في هند وصواحبها فقد خرجن الي نزهــة ، قلت وكيف لي بذلك قال تلبس لبسة أعرابي وتعتم عمامته وتركب مركبه كأنك ناشد ضالة ، قال ففعلت وجئت حتى وقفت عليهن أنشد ضالتي فقلن إنزل فنزلت وقعدت أحادثهن وأعارضهن فلمارمت النهوض قالت لي هند اجلس لا جلست أنت ألا ترى أنك وقفت علينا غريباً ونحن والله وقفنا على عرضتك نحن بعثنا خالداً وخدعناه وأطمعناه في أنفسنا حتى جاء بك فقال خالد صدقن والله خدعني وخدعنــك فجلست وتحدثنا وأنشدتهن ، فقالت هند ياسيدي لقد رأيتني منذ أيام وقد أصبحت عند أهلي فأدخلت رأسي في جيبي ونظرت الى هني فاذا هو ملء الكف ومنية المتمني فناديت ياعمراه ياعمراه ياعمراه . قال عمر ، فقلت ياليبك ياليبك ثلاثاً ومددت في الثالثة صوتي فضحكن وحادثتهن ساعة ثم ودعتهن وانصرفت فذلك قولي

عرفتُ مصيف الحيِّ والمتربعا ... ببطن حليّاتٍ دوارسَ بلقعا

إلى السفح من وادي المغمسِ بدّلت ... معالمهُ وبلاً ونكباء زعزعا

لهند وأتراب لهند إذ الهوى ... جميعٌ وإذ لم نخشَ أن يتصدّعا

وإذ نحن مثل الماء كان مزاجهُ ... إذا صفّقَ الساقي الرّحيقَ المشعشعا

وإذ لا نُطيعُ الكاشحين ولا نَرَى	لِواشٍ لَدَينا يَطلُبُ الصَّرْمَ مَطْمعا

وقال عمر ما رأيت يوما عاب عواذله وحضرت عواده بأحسن من يوما ولا صبوة كصبوتنا ولا قيادة كقيادة خالد ولا أملح ولقد وصفت ذلك في شعر ، فقال في تمام ما تقدم

أتاني رَسولٌ مِنْ ثلاثِ حَرائرٍ	ورابعة يَزْكُو لها الحُسْنُ أجمعا
فقلتُ لِمطريهنّ في الحُسْنِ إنَّما	ضَرَرْتَ فهلْ تستطيعُ نفعًا فتنفعا
لئنْ كانَ ما حدَّثتَ حقًّا لما أرَى	كمثلِ الاولى أطريتَ في النَّاسِ أربعا
وهيَّجْتَ قلبًا كانَ قدْ وَدَّعَ الصِّبا	وأشياعَهُ فاشفعْ عسى أنْ تُشفَّعا
فقالَ تعالَ انظرْ فقلتُ فكيفَ لي	أخافُ مقامًا أنْ يشيعَ ويَشنعا
فقالَ اكتفلْ ثمَّ التثمْ وأتِ باغيًا	فسلِّمْ ولا تكثِرْ بأنْ تتورَّعا
فإنِّي سأُخفي العينَ عنكَ ولا تَرَى	مخافةَ أنْ يفشو الحديثُ فيُسمَعا
فأقبلتُ أهوى مثلَ ما قالَ صاحبي	لموعدِهِ أزجي قعودًا موقَّعا
فلمَّا توافقنا وسلَّمتُ أشرقتْ	وجوهٌ زهاها الحُسْنُ أنْ تتقنَّعا
تبالهْنَ بالعرفانِ لمَّا عرفنني	وقلنَ امرؤٌ باغٍ أضلَّ وأوضعا
فلمَّا تنازعنَ الأحاديثَ قلنَ لي	أخفتَ علينا أنْ نُغرَّ ونُخدَعا
فما جئتنا إلَّا على وَفقِ موعدٍ	على مَلأٍ منَّا خرجنا لهُ معا
رأينا خلاءً منْ عيونٍ ومجلسًا	دميثَ الثَّرى سهلَ المحلَّةِ ممرِعا
وقلنَ كريمٌ نالَ وصلَ كرائمٍ	وحقٌّ لهُ في اليومِ أنْ يتمتَّعا
وفيهنَّ هندٌ تُكمِلُ الهمَّ والمُنى	وإخداعُ عيني كلَّما رُمتُ مَهجعا

قال ولما أنشد عمر بن أبي ربيعة ابن أبي عتيق قصيدته التي فيها يقول

فأتتها طبّةٌ عالمةٌ تخلطُ الجدَّ مراراً باللعبْ

ترفعُ الصوتَ إذا لانت لها وتُراخي عندَ سوْراتِ الغضبْ

قال ابن أبي عتيق امرأتي طالق ان لم يكن الناس فى طلب مثل هذه منذ قتل عثمان يخطلونها خليفة فلم يقدروا عليها وأنت تريدها قوادة ، قال ولما هجا كثير بني ضمرة فقال

ويَحْشُرُ نورُ المُسلمين أمامَهُمْ ويحشرُ في أستاهِ ضَمْرةَ نورُها

اشتدت بنو ضمرة عليه وعلى عزة وأرادوا قتله ووضعوا له العيون فمكث شهراً لايصل اليها فالتقى جميل وكثير فشكى أحدهما الى صاحبه مايلقى ، فقال جميل أنا رسولك الى عزة فأخبرني بما كان بينكما ، قال آخر مالقيتها بالطلحة مع أتراب لها قال فأتاهم جميل وهو ينشد ذوداً له فقطنت عزة ، فقالت تحت الطلحة التمس ذوداً هناك فانصرف جميل فأخبر كثيرا فلما كان في بعض الليل أتيا الطلحة وأقبلت عزة وصاحبة لها فتحدثا مليا وجعل كثير يرى عزة تنظر الى جميل وكان جميلا وكثير دميما فغضب كثير وغار عليها وقال لجميل انطلق بنا قبل أن يصبح علينا الصبح فانطلقا فبعد ذلك يقول

رأيتُ ابنةَ الشّمْليّ عزّةَ أصبحتْ كمُحْتَطِبٍ ما يلقَ باللّيلِ يَحْطِبِ

وكانت تُمنّينا وتزعمُ أنّنا كبيضِ الأَنوقِ في الصفا المُتَغيّبِ

ثم قال كثير لجميل متى عهدك بثينة ، قال فى أول الصيف بوادي الدم ومعها جواريها يغسلن ثياباً فخرج كثير حتى أناخ بهم وهو يقول

وقلتُ لها ياعزّ أرسلَ صاحبي على نَعْدِ دارٍ والرّسولُ مُوكَّلُ

بأنْ تجعلي بيني وبينكِ موْعِدا وأنْ تأمريني بالذي فيه أفعلُ

أما تذكرينَ العهدَ يومَ لقيتُكم بأسفلِ وادي الدّومِ والثّوبُ يُغسلُ

فعلمت بثينة ما أراد فصاحت اخسأ اخسأ فقال عمها ما دهاك يا بثينة ، قالت ان كلباً يأتينا

يأتيا من وراء هذا التل فيأ كل مايجد ثم يرجع فرجع كثير: وقال لجميل قد وعدتك التل فدونك فخرج جميل وكثير حتى انتهيا الى الدومات وقد جاءت بثينة فلم تزل معه حتى برق الصبح وكان كثير يقول مارأيت مجلساً قط أحسن منه عمر بن شبة عن اسحاق بن ابراهيم الموصلي: قال حدثني شيخ من خزاعة قال ذكرنا ذا الرمة وعندنا عصمة بن مالك الفزارى وهو يومئذ ابن عشرين ومائة سنة فقال اياي فاسألوا عنه كان من أظرف الناس خفيف العارضين آدم حلو المضحك اذا أنشد اختصر وأتاني يوما فقال ان مية منقرية وان بني منقر أخبث حيّ وأعلمه بأثر فهل عندك من ناقة نزورها عليها قلت أي والله عندي ثنتان قال فسرنا فخرجنا حتى أشرفنا على الحيّ وهم خلوف فعرف النساء ذا الرمة فعدلن بنا الى بيت ميّ وأنخنا عندهن فقلن لذي الرمة أنشدنا يا أبا الحارث فقال أنشدهن فأنشدتهن قوله

نظرتُ إلى أظعانِ ميّ كأنَّها ... ذُرَى النخلِ أو أثْلٌ تميدُ ذوائبُه

فأسْبلتِ العينانُ والصدْرُ كاتمٌ ... بمغرورقٍ نمَّتْ عليهِ سواكبُه

بَكَى وامِقٌ جاءَ الفراقُ ولم تُجِلْ ... جَوائلُها أسرارَهُ ومعاتبُه

فقالت ظريفة منهن إبكِ اليوم فمررت فيها حتى انتهيت الى قوله

إذا سرَحتْ منْ حُبِّ ميّ سوارِحٌ ... على القلبِ آبتْهُ جميعاً عوازبُه

فقالت الظريفة قتلته قتلك الله فقالت ما أصحه وهنيئاً له فتنفس ذو الرمة تنفسة كادت حرارته تساقط لحيي ثم مررت فيها حتى انتهيت الى قوله

وقدْ حلفتْ باللهِ ميّةُ ماالذي ... أقولُ لها إلاَّ الذي أنا كاذبُهْ

إذاً فرَمانيَ اللهُ منْ حيثُ لا أرى ... ولا زالَ في أرضي عدوٌّ أحاربُهْ

فالتفتت ميّ الى ذي الرمة فقالت ويحك خف عواقب الله ثم أنشدت الى أن انتهيت الى قوله

إذا نازعتك القولَ ميّةُ أو بدا | لكَ الوجهُ منها أو نضا الدِّرعَ سالبُه
فيالكَ من خدٍّ أسيلٍ ومنطقٍ | رخيمٍ ومن خلقٍ يعلّلُ جاذبُه

فقالت تلك الظريفة أما القول فقد نازعتك والوجه فقد بدا لك فمن لنا بأن ينضو الدرع سالبه فقالت لها ميّ قاتلك الله ما أنكر ما تجيئين به اليوم فتحادثنا ساعة ثم قالت تلك الظريفة ما أحوج هذين الى الخلوة فنهضت وسائر النساء فصرت الى بيت قريب منهما حيث أراهما فما ارتبت بشيء ولا رأيت أمراً كرهته فلبث ساعة ثم أتاني ومعه قارورة وثلاث قلائد فقال هذا طيب زودتناه ميّ وقلائد أتحفتك بها ابنة الجودي فكنا نختلف اليها حتى انقضى المربع ودعانا الصيف فرحلوا فلما وأتاني ذو الرمة فقال قد ظعنت ميّ فلم يبق الا الديار والنظر الى الآثار فأخرج بنا الى دارها فخرجت معه حتى اذا وقفنا عليها أنشأ يقول

ألا فاسلمي يا دارَ ميٍّ على البلى | ولا زالَ منهلاًّ بجرعائكِ القطرُ

حتى أتى على آخرها ثم انهملت عيناه بعبرة فقلت له ماهذا فقال إني لجليد وان كان مني ما ترى فما رأيت أحداً أحسن شوقاً وصبابة وعزاء منه وعن سليمان راوية أبي نواس قال كنت مع أبي نواس أسير حتى انتهينا الى درب القراطيس فخرج من الدرب شيخ نصرانيّ وخلفه غلام كأنه غصن بان يتثنى كأحسن ما رأيت فقال ياسليمان أما ترى الدرة خلف البعرة ثم قال هل لك أن تأخذ مني رقعة فتوصلها اليه قلت بلى فكتبها ودفعها اليّ فأوصلتها اليه فاذا أملح غلام وأخفه روحاً فقال من صاحب الرقعة قلت أبو نواس قال أين هو قلت على باب درب القراطيس قال فليقف مكانه حتى أروح وكان في الرقعة

تمرُّ فنستحييكَ أنْ أتكلّما | ويثنيكَ زهوُ الحسنِ عن أنْ تُسلّما
ويهتزُّ في ثوبيكَ كلَّ عشيةٍ | قضيبٌ من الريحانِ أضحى منعّما
فحسبكَ أنَّ الجسمَ قد شفّهُ الهوى | وأنَّ جفوني فيكَ قد ذرفتْ دما

أليسَ عجيبٌ عندَ كلِّ مُوحِّدٍ غزالٌ مسيحيٌّ يعذِّبُ مُسلِما

فلولا دخولُ النّارِ بعدَ تنصُّرٍ عبدتُ مكانَ اللهِ عيسى بن مريما

وحدثنا الخراز: قال كنت يوماً على باب عدي الدرّاع فمر بي أبو نواس شيباً بالمحون فاذا خلفه غلام كأنه مهر عربي فقلت له مالك فقال

إنّ الرّزِيّةَ لا رَزِيّةَ مثلُها عوزُ المكانِ وقد تهيّأ المَركبُ

فعدلت به وبالغلام فأقاما سائر يومهما قال وكان عبيد الله بن يحيي يتعشق غلاماً من دار المتوكل يقال له رشيق فلا يصل اليه حتي طال ذلك عليه . وكان أبو الأخطل يجامه في المركب ويبسط اليه فقال له عبيد الله يوماً يا أبا الأخطل من لي برشيق فقال السمر الصغار والبيض الصحاح وجعل عبيد الله يأتي رشيقاً في الدار فيخلو به ويساره ويعطيه مائة دينار في كل لقية الى أن علم رشيق بما في نفس عبيد الله وكان يتعذر عليهما الاجتماع لقضاء الوطر واللذة وركب أمير المؤمنين يوماً ومعه أبو الأخطل فطلب عبيد الله وبعد أبو الأخطل رشيقاً فرده اليه فلما ظفر به في منزله خاليا قضى حاجته منه وركب بريد أمير المؤمنين مسرعا فوصل الى الموكب وقد تصبب عرقا فقال أبو الأخطل

لا خيرَ عندِي في الخليـــــلِ ينامُ عن سهرِ الخليلِ

قولوا لأكفر من رأيـــــتُ لكلِّ معروفٍ جليلِ

هل تشكُرَنَّ لي العدَا ةَ تلطُّفي لكَ في الرّسولِ

إذ نحنُ في صيدِ الجبا لِ وأنتَ في صيدِ السّهولِ

(ماقيل فيه من الشعر)

وتمشّيْتَ في الجميلِ فأسرَعــــتَ وإن كنتَ لستَ تأتي جميلا

إنّ مَن مَدَّ للقيادَةِ رِحلاً لحَرِيٌّ أنْ يكونَ نبيلا

آخر

لَهواهُ لِإِئتلافٍ ومِلاهُ لِاختلافِ
ليس يقرا من كتابِ اللهِ إلاّ لإِيلافِ

وقال آخر

إنّ الرّواشيّ من تكرّمهِ بلّغه اللهُ منتهى هممه
يبلغُ من برّهِ ورأفتهِ حملانُ أصيافهِ على حرمه

(ومن محاسن ذلك) حدثنا عليّ بن الحسين بن عليّ بن عثمان بن عليّ بن الحسن قال كانت صفير جارية مولدة لميمونة بنت الحسن بن عليّ بن زيد فأدبتها وعلمتها الغناء فبرعت فيه وكانت من أحسن الناس وجهاً وبدناً وأبرعهم غناء وضرباً فأعطيت بها مولاتها عشرة آلاف دينار فلما أرادت أن تبيعها وأحضر المال بكت وقالت ياسيدتي ربيتني وانحذتني ولداً ثم تريدين بيعي فأبعد عنك ولا أرى وجهك قالت أشهد الله ومن حضر أنك حرة لوجه الله فلما ماتت ميمونة خطبها آل أبي طالب وغيرهم فغلب عليها جعفر بن حسن بن حسين فتزوجها وأحبها حباً شديداً فقدم بها البصرة فقال عليّ بن الحسين وكان يجالسها ويسمع غناءها فأردت الخروج الى الرضى بخراسان فودعت جعفراً وخرجت فأقمت بالأهواز أياماً أتهيأ للخروج على طريق فارس فورد عليّ كتاب جعفر أنه قد وقع بينه وبين صفير شر وأنها قد أغاظته له حتى تناولها ضرباً وانها على مفارقته وسألني القدوم لأصلح بينهما فقال عليّ بن الحسين وكانت لي حاجة بالرضى وكنت أرجو ابلاك في وجهي ... ومن ... العي فلما قرأت كتابه لم أعط صبراً حتى انصرفت راجعاً الى البصرة فنزلت في جعفر فوقعت به ... و ... ثم أرسلت اليها أقسمت عليك بحقي لا رجعت فخرجت مرهاء شعثة وسخة الثياب حتى جلست بينهما فأقبل جعفر ... من ... لها ... وهي ساكتة ثم قالت ... هات العود فأخذته ... حتى ... وهي تبكي ودموعها ...

أزتحي خالقي وأعلمُ حقا   أنّهُ ما يشاء ربي كفاني
لاتلُمني وازفُقْ خليلي بشاني   إنّهُ ما عناكَ يوماً عناني

قال عليّ بن الحسين فوالله مارأيت أحسن منها ولا أرق من غنائها بهذا الصوت فما برحت حتى اصطلحا وألهتني والله عن الغنى وأقمت بالبصرة ** وعن الكلبي قال بينا عمر ابن أبي ربيعة يطوف بالبيت في حال نسكه فاذا هو بشاب قد دنا من شابة ظاهرة الجمال فألقى اليها كلاماً فقال له عمر ياعدو الله في بلد الله الحرام وعند بيته تصنع هذا فقال ياعماه انها ابنة عمي وأحب الناس اليّ واني عندها لكذلك وماكان بيني وبينها من سوء قط أكثر مما رأيت قال ومن أنت قال أنا فلان بن فلان قال أفلا تتزوجها قال أبى عليّ أبوها قال ولم قال يقول ليس لك مال فقال انصرف والقني فلقيه بعد ذلك فدعى بغلته فركبها ثم أتى عم الفتى في منزله فخرج اليه فرحا بمجيئه ورحب وقرب فقال ما حاجتك ياأبا الخطاب قال لم أرك منذ أيام فاشتقت اليك قال فانزل فأنزله وأطعمه فقال له عمر في بعض حديثه إني رأيت ابن أخيك فأعجبني تحركه وما رأيت من حاله وشمائله قال له أجل مايعيب عنك أفضل مما رأيت قال فهل لك من ولد قال لا لا فلانه قال فما يمنعك أن تزوجه إياها قال إنه لامال له قال فان لم يكن له مال فلك مال قال فاني أضن به عنه قال لكني لاأضن به عنه فزوجه واحتكم فاحتكم بألف دينار فدفعها اليه فدفعها اليه وتزوجها الفتى وانصرف عمر الى منزله فقامت اليه جارية من جواريه فوجدت رداءه وألقى نفسه على فراشها وجعل يعبث وأتته بطعام فلم يعرض له فقالت أصلحك والله قدوجدت بعض ماكان يعرض لك من حكم النساء فلا تكتمها فقال هاتي الدواة فكتب

تقولُ وليدتي لمّا رأتني   طربتُ وكنتُ قدأقصرتُ حينا
أراكَ اليوم قد أحدثتَ شوقاً   وهاجَ لكَ الهوى داءً دفينا
وكنتَ زعمتَ أنّكَ ذو عزاءٍ   إذا ما شئتَ فارقتَ القرينا
بعيشكَ هل أتاكَ لها رسولٌ   يسرّكَ أم لقيتَ لها خدينا

فقلتُ شكا إليّ أخٌ محبٌّ ... كبعضِ زمانِنا إذْ تعلمينا

وذُوالقلبِ المُصابِ ولوْ تعرّى ... مشوقٌ حينَ يلقي العاشقينا

فقصّ علَيّ ما يلقى بهندٍ ... وأشبَهَ ذاكَ ما كُنَّا لقينا

فكَمْ مِنْ خلّةٍ أعرَضْتُ عنها ... وكنتُ بودِّها دَهراً ضنينا

أردْتُ فِراقَها فصَبَرْتُ عنها ... ولوْ جُنَّ الفُؤادُ بها جُنونا

قال ٠٠ وقال عمر بن أبى ربيعة بينا أنا خارج محرما اذ أتتنى جارية كأنها دمية فى صفاء اللجين فى ثوب قصب كقضيب على كثيب فسلمت علىّ وقالت أنت عمر بن أبى ربيعة فتى قريش وشاعرها قلت أنا والله ذاك قالت وهل لك أن أريك أحسن الناس وجهاً قلت ومن لى بذلك قالت أنا والله لك بذلك على شريطة قلت وما هي قالت أعصبك وأربط عينيك وأقودك ليلا قلت لك ذاك قال فاستخرجت معجراً من قصب محرتنى به وقادتني حتى أتت بي مضرباً فلما توسطته فتحت العصابة عن عينى فاذا أنا بمضرب ديباج أبيض مزرر بحمرة مفروش بوشي كوفىّ وفى المضرب ستارة مضروبة من الديباج الأحمر عليها تماثيل ذهب ومن ورائها وجه : أحسب أن الشمس وقعت على مثله حسناً وجمالا فقامت كالنخلة وقعدت قبالتي وسلمت علىّ فخيل لي أن الشمس تطلع من جبينها وتغرب في شقائق خدها قالت أنت عمر بن أبى ربيعة فتى قريش وشاعرها قلت أنا ذلك يامنتهى الجمال قالت أنت القائل

بينما ينعتنَني أبصرْنَني ... دونَ قيدِ الميلِ يعدُو بي الأغرّ

قالتِ الكبرى أما تعرفْنَ ذا ... قالتِ الوسطى بَلى هذا عُمَرْ

قالتِ الصغرى وقد تيّمتُها ... قد عرفْناهُ وهل يخفى القمرْ

قلت أنا والله قائله ياسيدتى قلت ومن هؤلاء قالت ياسيدتى والله ماهو عن قصد منى ولا فى حال ذهنى ولكني رجل شاعر أحب الغزل وأقول فى النساء قالت

ياعدو الله يافاضح الحرائر أنت قد فشا شعرك بالحجاز وأنشده الخليفة والامراء ولم يكن
في جارية بعينها ياجواري أخرجنه فخرجت الوصائف فأخرجني ودفعني الى الجارية
فحجرتني وقادتني الى مضربي فبت بليلة كانت أطول من سنة فلما أصبحت بقيت هائماً
لاأعقل ماأصنع فما زلت أرقب الوقت فلما كان وقت المساء جاءتني الجارية وسلمت عليّ
وقالت ياعمر هل رأيت ذلك الوجه قلت أي والله قالت فتحب أن أريكه ثانية قلت اذا
تكرمت فتكونين أعظم الناس عليّ منة فقالت على الشريطة فاستخرجت المعجر وحجرتني
وقادتني فلما توسطت المضرب فتحت العصابة عن وجهي فاذا أنا بمضرب ديباج أحمر
مدبّر ببياض مفروش بفرش أرمني فقعدت على نمرقة من تلك النمارق فاذا أنا بالشمس الضاحية
قد أقبلت من وراء الستر تمايل من غير سكر فقعدت كالجحلة فسلمت عليّ وقالت أنت
عمر بن أبي ربيعة فتى قريش وشاعرها قلت أنا ذاك قالت أنت القائل

وناهدة الثديين قلت لها اتكي ... على الرمل في ديمومة لم توسد
فقالت على اسم الله أمرك طاعة ... وإن كنت قد كلفت مالم أعود
فما زلت في ليل طويل ملثماً ... لذيذ رضاب المسك كالمتشهد
فلما دنا الإصباح قالت فضحتني ... فقم غير مطرود وإن شئت فازدد
فما ازددت منها واتشحت بمرطها ... وقلت لعيني اسفحا الدمع من غد
فقامت تعفي بالرداء مكانها ... وتطلب شذرا من جمان مبدد

قلت أنا قائلها قالت فمن الناهدة الثديين قلت ياسيدتي قد سبق في الليلة الأولى والله
ماهو من قصد ولا في جارية بعينها ولكني رجل شاعر أحب الغزل وأقول في النساء
قالت ياعدو الله أنت قد فشا شعرك بالحجاز ورواه الخليفة وتزعم أنه لم يكن في جارية
بعينها ياجواري ادفعنه فوثبت الجواري فأخرجني ودفعني الى الجارية فحجرتني وقادتني
الى مضربي فبت في ليلة كانت أطول من الليلة الأولى فلما أصبحت أمرت بحلوق فضرب
لي وبقيت أرقب الوقت هائماً فلما كان وقت المساء جاءتني الجارية فسلمت عليّ وقلت

ياعمر هل رأيت ذلك الوجه قلت أي والله قالت أفتحب أن أريكه الثالثة قلت إذاً تكوني
أعظم الناس عليّ منة قالت على الشريطة قلت نعم فاستخرجت المعجر وعجرتني به وقادتني
حتى أتت بي المضرب فلما توسطته فتحت العصابة عن عينيّ فإذا أنا في مضرب ديباج
أخضر مدنر بحمرة مفروش بخز أحمر وإذا أنا بالشمس الضاحيــة قد أقبلت من وراء
الستر كحور الجنان فسلمت عليّ وقالت أنت عمر بن أبي ربيعة فتى قريش وشاعرها
قلت أنا ذاك قال أنت القائل

نعبَ الغرابُ ببين ذاتِ الدُّملُجِ — ليتَ الغرابَ ببينها لمْ يشحجِ

ما زلتُ أتبعهمْ وأتبعُ عيسهمْ — حتّى دُفعتُ إلى ربيبةِ هودجِ

قالتْ وعيشِ أخي وحرمةِ والدي — لأُنبهنَّ الحيَّ إنْ لمْ تخرُجِ

فلثمتُ فاها آخذاً بقرونها — شُربَ النَّزيفِ ببردِ ماءِ الحشرجِ

فتناولتْ كفّي لتعرفَ مسَّها — بمخضّبِ الأطرافِ غيرِ مشنَّجِ

قال أنا قائلها، قالت يا عدو الله أنت الذي فضحتنا ونفسك وجهي من وجهك
حرام إن عدت إليّ يا جواري أخرجنه فوثب إليّ الوصائف وأخرجنني ودفعنني إلى
الجارية فعجرتني وقادتني وقد كنت عند خروجي من مضربي ضربت يدي بالخلوق
فأسدلت عليها ردائي فلما صرت إلى باب مضربها أخرجت يدي ووضعتها على جانب
المضرب وسعاً بها فلما أصبحت صحت بغلماني وعبيدي ولي ألف عبد من أتاني بخبر
مضرب [illegible] فيه كذا وكذا فهو حر لوجه الله فلما كان في وقت المساء أتاني
وليدة سوداء فقال قد عرفت المضرب وهو لرملة أخت عبد الملك بن مروان
فأعتقته وأمرت له بمائتي دينار وأمرت بمضربي فقلع وضرب بحذاء مضربها وكتبت بالخبر
إلى عبد الملك بن مروان فكتب إليها بالرحيل فركبت هودجها وركبت فرسي فزاحمتها
في بعض الطريق وأشرفت عليّ من هودجها، فقالت إليك عني أيها الرجل قال
[illegible] وأمرت بعض جواريها ألقي إليه قميصاً من قمصي فأخذته

وأنا أقول

فلا وأبيكَ ما صوتُ النواقي ولا شربُ التي هيَ كالفصوصِ

أَرَدْتُ برحلتي وأُريدُ حظًا ولا أكلَ الدجاجِ ولا الخبيصِ

قميصٌ ما يفارقني حياتي أنيسٌ في المقامِ وفي الشخوصِ

وجعلت أنزل بنزولها وأركب بركوبها حتى كنا من الشام على ثلاث مراحل فاستقبلها عبد الملك فى خاصته فدخل اليها ، ثم قال : يارملة ألم أنهك أن تطوفى بالبيت إلا ليلا يحفك الجواري ويحف الجوارى الخدم ويحف الخدم الوكلاء لئلا يراك عمر بن أبي ربيعة ، قالت والله وحياة أمير المؤمنين ما رآني ساعة قط خرج من عندها فمصر بمصرى ، فقال : لمن المضرب قيل لعمر بن أبى ربيعة ، قال . علىّ به فأتيته بلا رداء ولا حذاء فدخلت عليه وسلمت عليه فقال ياعمر ماحملك على الخروج من الحجاز من غير إذني ، قلت : شوقا اليك يا أمير المؤمنين وصبابة الى رؤيتك فاطرق مليا ينكت فى الأرض بيده ثم رفع رأسه فقال ياعمر هل لك فى واحدة ، قلت : وماهي ياأمير المؤمنين . رملة أزوجكها . قلت ياأمير المؤمنين وان هذا لكائن ، قال . أي ورب السماء ثم قد زوجتك فادخل اليها من غير أن تعلم فدخلت عليها فقالت من أنت هداك أمك قلت ياسيدتي أنا المعذب فى الثلاث فارتحلت وأنا عديلها فأنشأت أقول

يرى لقد نلتُ الذي كنتُ أرتجي وأصبحتُ لا أخشى الذي كنتُ أحذرُ

من كمثلي اليومَ كسرى وهرمزٌ ولا الملكُ النعمانُ مثلي وقيصرُ

ونزل معها بأحسن عيش وغبطة

* * *

محاسن الذيب

الأصمعي ، قال أخبرني رجل من بني أسد أنه خرج فى طلب إبل قد ضاعت

فبينا هو يسير في بلاء وتعب وقد أمسى في عشية باردة اذ رفعت له أعلام ، قال : فقصدت بيتا منها فاذا أنا بامرأة جميلة ذات جزالة فسلمت فردت عليّ السلام ، ثم قالت : ادخل فدخلت فبسطت لي ومهدت واذا في حجرها صبي أطيب ما يكون من الولدان فبينا هي تقبله اذ أقبل رجل أمام الابل دميم المنظر ضئيل الجسم كأنه بعرة دمامة واحتقاراً فلما بصر به الصبي هش اليه وعدا في تلقائه فاحتمله وجعل يقبله ويفديه ، فقلت : في نفسي أظنه عبداً لها فجاءني ووقف بباب الخيمة وسلم فرددت عليه السلام ، فقال : من ضيفكم هذا فأخبرته فجلس الى جانبها وجعل يداعبها فطفقت أنظر اليها تارة واليه أخرى أتعجب من اختلافهما كأنها الشمس حسنا وكأنه القرد قبحاً ففطن لنظرى ، وقال : يا أخا بني أسد أتري عجبا ، قل : تقول أحسن الناس وجهاً وأقبح الناس وجهاً فليت شعري كيف جمع بينهما أخبرك كيف كان ذلك ، قلت ما أحوجني الى ذلك ، قال . كنت سابع اخوتي كلهم لو رأيتني معهم ظننتني عبداً لهم وكان أبي واخوتي كلهم أصحاب ابل وخيل وكنت من بينهم مطروحا لكل عمل دنيّ للعبودية تارة ولرعي الابل أخرى فبينا أنا ذات يوم تعب مكتئب اذ ضلّت لنا عير بتوجه اخوتي كلهم في بغائه فلم يقدروا عليه فأتوا أبي وقالوا ابعث فلانا ينشد لنا هذا البعير فدعاني أبي وقال اخرج فانشد هذا البعير ، فقلت . والله ما أنصفتني ولا بنوك أما اذا الابل درت ألبانها وطاب ركوبها فأنتم جماعة أهل البيت أربابها واذا ندّت ضلالها فأنا باغيها ، فقال قم يالكع فاني أراه آخر يومك فعدوت مقهوراً حانق الثياب حتى أتيت بلاداً لا أنيس بها فطفقت يومي ذلك أجول القفر فلما أمسيت رفعت لي أبيات فقصدت أعظم بيت منها فاذا امرأة جميلة مخيلة للسؤدد والجزالة فبدأتني بالتحية وقالت انزل عن الفرس وأرح نفسك فأتتني بعشاء فتعيشت ونمت هذه تسحر مني وتقول ما رأيت كالعشية أطيب ريحاً منك ولا أنظف ثوبا ولا أجمل وجهاً . فقلت يا هذه دعيني وما أنا فيه فاني عنك في شغل شاغل فأبت عليّ ، فقال هل لك أن تنبح عليّ السحف اذا نام الناس فأعرابي والله الشيطان فلما شبعت من القرى وجاء أبوها واخوتها فجمعوا أمام الخيمة قب وذكرته برحلي ، قالت ومن أنت ، قلت اضيف . قال لا حياك الله حرج عليك لعنه الله فعلمت أني لست

في شيء من أمرها فوليت راجعا فوافيني كلب لهم كأنه السبع لا يطاق فأراد أكلي فأنشب أنيابه في مدرعة صوف كانت علي وجعل يمزقني فردني القهقرى وتعدو علي الخلاص فأهويت أنا والكلب من قبل عقبي في بئر فأحس الله الي أنه لاماء فيها فلما سمعت المرأة الواعية أتت بحبل فأدلته وقالت ارتق لمك الله فوالله لولا أنه يقتص أثري غداً لوددت أنها قبرك فاعتنقت الحبل فلما كدت أن أتناول يدها قصي أن تهور ما تحت قدميها فاذا أنا وهي والكلب في قرار البئر بئر أيما بئر انما هي حفرة لاطي لها ولا مرقاة كأشد بلية سا عصا الكلب ينبح من ناحية وهي تدعو بالويل والثبور من ناحية وأنا مقع قد برد جلدي على القتل من ناحية فلما أصبحت أمها فقدتها فلما لم ترها أتت أباها فقالت ياشيخ أتعلم أن ابنتك ليس لها أثر يحس وكان أبوها عالماً بالآثار تابعاً لها فلما وقف على شفير البئر ولى راجعاً فقال لولده يابني أتعلمون أن أختكم وضيفكم وكلبكم في البئر فبادروا كالسباع فمن بين آخذ حجراً وآخر سيفاً أوعصا وهم يومئذ يريدون أن يجعلوا البئر قبري وقبرها فلما وقفوا على شفير البئر قال أبوهم ان قتلتم هذا الرجل طولتم بدمه وان تركتموه افتضحتم وقد رأيت أن أزوجها اياه فوالله مايقدح لها في نسب ولا في حسب ثم قال لي أفيك خير فلما شممت روح الحياة وثاب الي عقلي . قلت وهل الخير كله الا في فهات اختكم . فقال مائة بكرة وبكرة وجارية وعبد . فقلت بك ذلك وان شئت فاردد فأخرجت أولا والكلب ثانياً وأخرجت ثالثاً فأين أنت . قلت لا . أفاخت فأين البعير . قلت أربع عليك أيها الشيخ فانه كان من القصة كيت وكيت . قال افعل والله ولا أخدلك فدعا بالابل فأعد منها مائة بكرة وبكرة وساقها مع جارية وعبد وأخذت منه هذه غرة نفسها . قال هي والله كذلك وجعلت تصدق عن حديث زوجها صدوق المهرة العربية سمعت لجامها وزعا قال لا أطلت بذكره.

*

ضرره مساوى الربيب

قال وقيل لحراش الاعرابي حدثنا ببعض هناتك ، قال : خرجت في بغاء ذود لي فدفعت في عشية شاتية الى أحية كثيرة فضافوا وحيوا ورحبوا فلما أردت النوم أقاموا فتاة لهم من موضع مبيتها وحملوني مكانها لئلا أتأذى بالغنم وانى لمضطجع اذا أنا بيد انسان يجامشني ويريد في الظلمة مؤاتاتي فقعدت فاذا أنا رجل يمد يده ومعه علبة فيها أرنب مشوية فأخذتها وحملتها في شيء كان معي ثم مد يده ثانياً فناولته يدي فأقعصي على عرمول كمثل الوتد فلم أهرمه ولم أره وحشة وجردت ماعدي وناولت يده فأقعصته على مثل ماأقعصى عليه ففطن ورمى بالجمة حركات عليه ووثب مذعوراً فنفرت الابل وهاجت الغنم وكدت أغشى لما بي من الضحك وأخفيت مابي وكتمته فلما أصبحت ركبت راحلتي ومعي الملحفة والعلبة والأرنب فلما امتد الضحى اذا أنا بابل فأخذت نحوها فاذا شاب حسن الهيئة فسلمت فرد السلام ثم قال ان كان معك ماأكل نصب من هذا الوطب فأخرجت العلبة فلما رآها عرفها وقال انك هو ، قلت وما هو ، قال صاحب البارحة ، قلت نعم ان كنت إياه ، قال الحمد لله الذي أتى بك لو لم تأت لطلبت الى أوسوس وذلك انى لصاحبة الستر عاشق ونعلم مافعلت وفعلت البارحة ولا نطيقت له حتى ابتلانى الله بك البارحة وجعلت أقول حين أقعصتني عليه أراها تحولت رجلا وانى لفي شك من أمرى حتى أتانى الله بك فأكلت أنا وهو الأرنب وشربنا من اللبن وصرنا أصدقاء. الاصمعى ، قال أتى خالد بن عبد الله اعرابى فأضافه وأحسن اليه وبذل له صحن الدار فلما كان فى بعض الليل أشرف عليه يتعاهد منه ما كان يتعاهد من ضيفه فاذا هو قد دب على جارية وهو على بطنها فأعرض عنه فلما لبث الاعرابى ان فرغ وقام يمسح فيشلته بالحائط فضربه عقرب فصاح واستغاث وأشرف خالد عليه وهو يقول

ودارى إذا نام سكّانها تقيمُ الحدُودَ بها العقربُ
إذا غفل النّاسُ عن دينهم فإنّ عقاربَنا تغضبُ

قال وكان أعرابي ضيفاً لقوم فنظر الى جارية جميلة فدب اليها فاذا عجوز في صحن الدار تصلي فعاد الى فراشه ثم عاودها فنبح الكلب ثم عاد اليها فاذا القمر قد طلع فأنشأ يقول

لمْ يخلقِ اللهُ خلقاً كنتُ أكرَهُهُ ... إلاّ العجوزَ وعينَ الكلبِ والقمرِ
هذا يَصيحُ وهذا يُستضاءُ بهِ ... وهذهِ شيخةٌ قوّامةُ السَّحَرِ

وقال وشرب سعيد بن حميد المصري عند راشد فدب على غلامه فكتب اليه سعيد

ما سمِعنا منْ قبلها بأديبٍ ... بارعِ الظَّرْفِ ماجدٍ قمقامِ
ضلَّ عنهُ وهوَ المهذَّبُ علماً ... فتكاتُ الكؤوسِ بالأحلامِ
أينَ ما جاءَ منْ حديثِ رسولِ الـ ... لَّهِ مولايَ سيِّدِ الحكّامِ
ما على مثقلٍ منَ النومِ والسكـ ... رانِ عيبٌ فيما أتى منْ أثامِ
ثمَّ أينَ الذي بهِ حكَمَ المأ ... مونُ في الظَّرْفِ منهُ والإسلامِ
أيما ماجدٍ أرادَ سُروراً ... باجتماعٍ منْ معشرِ النُّدّامِ
فعليهِ طيُّ البساطِ بما قدْ ... سنَّهُ السكرُ من قبيحٍ ودامِ
خلتَ بيني وبينَ عقلي بأرطا ... لكَ والمترعاتِ منْ كلِّ عامِ
ثمَّ وكَلْتَ في العُسوفِ رشيقاً ... فسقاني بطرفهِ والمُدامِ
ثمَّ باكرتني بعتبكَ واللوْ ... مِ لقدْ حدتَ عنْ سبيلِ الكرامِ
وتعصبْتَ أنّي قُدتُ عمراً ... ثمَّ ثنّيتُ بعدهُ بعرامِ
هلْ رأيتَ الإلهَ يأخذُ محتو ... ماً بسكرٍ أو حالماً في منامِ
لنْ تراني مُعاشراً لكَ ما عشـ ... تُ ولو دُمتَ عائشاً ألفَ عامِ

أو تَرَى تائباً وتستغفرَ اللـــهَ لِمَا كانَ مِنْ شنيعِ الكلام

فأجابه راشد فقال

يا أبا جعفرٍ سليلَ المعالي ونجيبَ الأخوالِ والأعمامِ
إنْ يكنْ قد أتاكَ عنِّيَ مزحٌ لم يكُنْ عن حقيقةٍ في الكلامِ
أو أكنْ فيهِ كالذي كانَ يعدُو علامِ عليكَ في اللُّوَّامِ
إنني عالمٌ بأنكَ لم تأ تِ قبيحاً ولا ارتكابَ الإثامِ
هوَ ذنبُ المُدامِ لا ذنبُ خِلٍّ لمْ يَزَلْ حافِظاً لعهدِ الذِّمامِ
ثمَّ ذنبُ العيونِ يا ابنَ حميدٍ فلهُ الذنبُ بعدَ إستِغرامِ
قعدَا في طريقِ أيرِكَ حتَّى عرَّضاهُ للظنِّ والإتِّهامِ
فتغمَّدْ أخاكَ بالصفحِ فالصفـــحُ دليلٌ على سجايا الكِرامِ
إنني تائبٌ وأستغفرُ اللـــهَ لِما كانَ مِنْ شنيعِ الكلامِ

ماقيل في ذلك من الشعر

فما أعينٌ عشرٌ على ساقِ نرجسٍ تُضاحكُ عينَ الشمسِ بالمُقَلِ الصُّفْرِ
بأحسنَ مِمَّنْ زارني بعدَ هجعةٍ يَميسُ هُوَيناً في الظلامِ على ذُعْرِ

قال ودب رجل على قينة في مجلس فغنت

ما ذا يُشوِّشُ طُرَّتي ياقومُ في وقتِ السَّحَرْ
ما ذا يُعالِجُ تِكَّتي وَيلاهُ عَدِّي السَّهَرْ

وقال علي بن حمزة

متوَرِّدُ الخدَّينِ مِنْ خجَلٍ متخاذلُ الأعضاءِ من كَسَلٍ

خاضَ الدُّجا والشَّوقُ يحملهُ وأتاكَ يمشي غيرَ متَّصلِ
ما راعني إلاَّ تدافعُـــهُ كالغصنِ بينَ الصدْرِ والكَفلِ

وقال عمر بن أبي ربيعة المخزومي

قالتْ وأبثثتُها سرِّي وبحتُ بهِ قدْ كُنتَ عندي تحبُّ السَّترَ فاستترِ
ألستَ تُبصِرُ مَنْ حولي فقلتُ لها غطَّى هواكِ وماألقى على بصري

***

محاسن الباه

حكى عن عالج حارية مكشوح أنها حدثت مولاتها أنها كانت تغتسل كل يوم فسألتها عن دلك ، فقالت ياهده أنه يجب على المرأة ما يجب على الرجل بعد احتلامه ، قالت أو تحتلمين ، قالت إنه لاتأتي عليّ ليلة لا أحامع فيها الا وأحتلم ، قلت فكيف يكون دلك قالت أرى كأن رحلا حامعي ولقدرأيت ليلة كأني مررت بدكان أبي مالك الطحان وبغل له واقف قد أدلى ورماني تحته وأولجه فاحتلمت ثم انتبهت وأنا أحد معكة في مراق بطني ولدة في سويداء قلبي وكان هدا البغل اذا أدلى حك الارض برأس أيره وصرب به في بطنه وترى الغبار يتطاير عن يمينه وشماله ، قال وكانت مهدية بنت حسير التغلبية تقول مافي بطن الرجل بضعة أحب الي المرأة من اصبعة نباط بعقد الحالبين ومصبح الرحليين حدثني جهم ، قال قلت لامرأة من كلب ماأحب الأشياء من الرحل لي النساء قال مايكثر الاعداد ويزيد في الاولاد حربة في علاف نياط يحتوي رحل حف اذا عافس أوهي واداحامع أحيى ، قال وقال أبو ثمامة لامرأة من رشيد وهي تبكي عند قبر ابن الميت قالت كان يجمع بين حاحبي والساق ويهري هن الصارة لا سو وويلة وولا م دكرته لك مااستهلت بالدموع عيناي وقد كدبتك امرأة تبكي على زوجها لغير ما علمتك ٠٠قال وركب الرشيد حمارا مصريا وطاف على حواريه فقالت له واحدة يامولاي ما أكثر

ماتركب هذا الحمار ، قال لانه يسب طيعور ، قالت فمن تسب طيعور يركب ، قال نعم
قالت فهي بحر أم طيعور ، قال فنزل وواقعها وأنشد في مثله

نَظَرَتْ إليها حين مَرَّتْ كأنَّها ... على ظَهْرِ عادِيٍّ فتاةٌ من الجِنِّ

ولي نَظَرٌ لو كان يُحْبِلُ ناظِرٌ ... بنظْرَتِهِ انثى لقد حبلت منّي

ضده في مساوى العنين

قال بعضهم تزوج العجاج امرأة يقال لها الدهناء بنت مسحل فلم يقدر عليها فشكت ذلك الى أهلها فسألوه فراقها فأبى وقال لأبيها تطلب لابنتك الباه ، قال نعم عسى أن ترزق ولداً فان مات كان فرطاً وان عاش كان قرة عين فقدموه الى السلطان فأجله شهراً ثم قال

قدْ ظنَّتِ الدَّهْنا وظَنَّ مِسْحَلْ ... أنَّ الأميرَ بالقضاء يُعْجِلْ

عَنْ كَسَلاتي والحِصانُ يَكْسَلُ ... عنِ السِّفادِ وهو طَرْفٌ هَيْكَلُ

ثم أقبل على امرأته وضمها الى صدره فقالت

تنحَّ لن تَمْلِكَني بضَمِّ ... ولا بتقبيلٍ ولا بشَمِّ

إلّا بزعزاعٍ يُسلّي هَمّي ... يَسْقُطُ منهُ فتخي في كُمّي

يَطيرُ منهُ حَزَني وغَمّي

ابن أبي الدنيا ان اعرابياً أخبره أن امرأة منهم زفت الى رجل فعجز عنها فتذاكر الحي أمر الضعفاء من الأزواج عن الباه وامرأة الاعرابي تسمع فتكلمت بكلام ليس في الأرض أعف منه ولا أدل على عجز الرجل عن النساء فقالت متمثلة

تَبيتُ المطايا حائداتٍ عن الهُدى ... إذا ما المطايا لم تَجِدْ مَنْ يُقيمُها

الرقاشي ،، قال حدثني أبو عبيدة قال سمعت ناساً من الحيلاز يقولون تزوج رجل منا امرأة فعجز عنها الا أنه اذا لامسها ابتأر فيها فقضى أن حملت وما مكثت الا أن رأى ولدها فجلس في المجلس فقال له قائل لقد جئت من بلل قليل . قال جئت من بلل لو أصاب مغيض أمك لكان كما قال الشاعر

رَطْبُ الطِّباعِ إذا حرَّكتَ جوهرَهُ ... وجدتَ أعضاءهُ غرقى من البللِ

ولم أُهجِنْهُ إلاَّ أنَّهُ رجلٌ ... قلَّتْ سلامتُهُ من جانبِ الكَمَلِ

الهلالي ،، قال رأيت داود بن عصام ساير المهدي فحدثه بحديث فضحك ، فقلت له حدثني ما حدثت به المهدي ، قال سألني ماعندك للنساء ، فقلت ماهي عندي الاحديث ابن حزم ، قال وما حديثه ، قال عُمّرَ حتى بلغ الثمانين فتزوج امرأة عم له فلما أهديت اليه قعد بين شقيها فأكسل وأراق على بطنها فأقبل عليها كالمعتذر ، فقال هـذا خير من الزناء ، قالت كل ذلك لاخير فيه . قال وشكت امرأة زوجها وأخبرت عن عجزه أنه اذا سقط عليها انطبق والنساء يكرهن وقوع الرجـل على صدورهن فقالت زوجي عياياء طباقاء وكل داء له داء وقيل في ذلك

جزاكَ اللهُ شرًّا من رفيقٍ ... إذا بلغت من ركبِ النساءِ

رماكَ اللهُ من عرقٍ بأفعى ... ولا عافاكَ من جهدِ البلاءِ

أجبنًا في الكريهةِ حينَ تلقى ... وبعظًا حينَ تفترُّ في الخلاءِ



محاسن النيروز والمهرجان

قال الكسروي كان أول من اتخذ النيروز وأمر ببناء المدن وسيد معها سلطان واستخرج الفضة والذهب والمعدن واتخذ من الحديد آلات وذلل الخيل وسائر الدواب

واستخرج الدر وجلب المسك والعنبر وسائر الطيب وبنى القصور واتخذ المصانع وأجرى الأنهار كياخسرو بن أبرويزجهان وتفسيره حافظ الدنيا ابن ارفخشذ بن سام بن نوح عليه السلام وكان الأصل فيه أنه في النيروز ملك الدنيا وعمر أقاليم إيران شهر وهي أرض بابل فيكون النيروز في أول ما اجتمع ملكه واستوت أسبابه فصارت سنة وكان في ملكه ألف سنة وخمسين سنة ثم قتله البيوراسف وملك بعده ألف سنة الى أفريدون ابن أثفيان وفيه يقول حبيب

وَكَأَنَّهُ الضَّحَّاكُ فِي فَتَكَاتِهِ بِالعَالَمِينَ وَأَنْتَ أَفْرِيدُونُ

فطلب البيوراسف وملك بعده ألف سنة وخمسين سنة وأسره بأرض المغرب وكبله وسجنه بجبل دنباوند واستوفى عدة ما كتب الله له من عمره واتفق لافريدون سجن البيوراسف يوم النصف من مهرماه ومهرروز فسمي ذلك اليوم المهرجان فالنيروز لجم والمهرجان لافريدون والنيروز أقدم من المهرجان بألفي وخمسين سنة وقسم جم أيام الشهر وجعل الخمسة الأيام الأولى للأشراف وبعدها خمسة أيام نيروز الملك يهب فيها ويصل ثم بعدها خمسة أيام لخدم الملك وخمسة أيام لخواص الملك وخمسة لجنده وبعدها خمسة أيام للرعاع فذلك ثلاثون يوماً وابتدع المهرجان أفريدون لما أسر البيوراسف روزمهر وكان الملك اذا لبس زينته ولزم مجلسه في هذين اليومين أتاه رجل رضي الاسم مختبر باليمن طلق الوجه ذلق اللسان فيقوم قبالة الملك ويقول أتأذن لي بالدخول فيسأله من أنت ومن أين جئت وأين تريد ومن سار بك ومع من قدمت وما الذي معك فيقول جئت من عند الأيمنين وأريد الأسعدين وسار بي كل منصور واسمي خجسته أقبلت معي السنة الجديدة وأوردت الى الملك بشارة وسلاماً ورسالة فيقول الملك ائذنوا له فيقول له ادخل ويضع بين يديه خواناً من فضة قد جمع في نواحيه أرغفة قد خبزت من أنواع الحبوب من البر والشعير والدخن والذرة والحمص والعدس والأرز والسمسم والباقلى واللوبيا وجمع من كل صنف من هذه الحبوب سبع حبات فجعل في جوانب الخوان ووضع في وسطه سبعة من قضبان الشجر التي يتفاءل بها وباسم

ويتبرك بالنظر اليها كالخلاف والزيتون والسفرجل والرمان منها ما يقطع على عقدة ومنها على عقدتين ومنها على ثلاثة ويجعل كل قضيب باسم كورة من الكور ويكتب في مواضع ابرود وابزائد وابرون وبروار وفراخي وفراهيه تأويله زاد ويزيد وزيادة ورزق وفرح وسعة ويوضع سبع سكرجات بيض ودراهم بيض من ضرب سنته ودينار جديد وضغث من أسپند ويتناول ذلك كله ويدعوا له بالخلود ودوام الملك والسعادة والعز ولا يؤامر يومه في شيء اشفاقاً من أن يبدو منه ما يكره فجرى على سنته وكان أول ما يقدم اليه صينية ذهب أو فضة عليها سكر أبيض وجوز هندي مقشر رطب وجامات فضة أو ذهب ويبتدئ باللبن الحليب الطري منه قد أنقع فيه تمر طري فيتناول بالنارجيل تميرات ويتحف من أحب منه ويذوق ما أحب من الحلوى وكان يرفع في كل يوم من أيام النيروز نار أبيض وكان ممن يتيمن بابتدائه في هذا اليوم لقمة من اللبن الصرف الطري والجبن الطري وكان جميع ملوك فارس يتبركون بذلك وكان يسرق له في كل يوم نيروز ماء في جرة من حديد أو فضة ويقول استرق هذا الأسعدين ويحمل الأيمين وجعل في عنق الجرة قلادة من يواقيت خضر منظمة في سلك الذهب ممدود فيها خرز من زبرجد أخضر ولم يكن يسرق ذلك الماء الا الأبكار من أسافل دارات الأرحاء وصنائع الماء وكان متى اجتمع النيروز في يوم سبت أمر الملك لرأس الجالوت بأربعة آلاف درهم ولا يعرف له سبب أكثر من أن السنة جرت منهم بذلك فصارت كالجزية فكان يبنى قبل النيروز بخمسة وعشرين يوماً في صحن دار الملك اثنتا عشرة اسطوانة من لبن تزرع اسطوانة منها براً واسطوانة شعيراً وأخرى أرزاً وأخرى عدساً وأخرى دقي وأخرى قرطماً وأخرى دخنا وأخرى ذرة وأخرى لوبيا وأخرى حمصاً وأخرى سمسما وأخرى ماشاً ولم تكن يحصد ذلك الا بغناء وترنم ولهو وكان يوم السادس من يوم النيروز وهو حصد ... في المجالس ولم يكنس الى روز مهر من ماه فروردين وانما كانوا يزرعون هذه الحبوب للتفاؤل بها ويقال أجودها نبتاً وأشدها استواء دليل على جودة نبت ... منها في تلك السنة وكان الملك يتبرك بالنظر الى نبت الشعير خاصة فكان ... أول ما يتناول الملك يوم النيروز قوساً وخمس نشاب ... الملك قمح ... ١٠٠ ...

فكان فيما يغني بين يدي الملك غناء المخاطبة وأغاني الربيع وأغاني يذكر فيها أبناء الجبابرة وتوصف الأنواء وأغاني أفرين والخسرواني والماذراستاني والفهلبد وكان أكثر ما يغني العجم الفهلبد مع أيام كسرى أبرويز وكان من أهل مرو وكان من أغانيه مديح الملك وذكر أيامه ومجالسه وفتوحه وذلك بمنزلة الشعر في كلام العرب يصوغ له الألحان ولا يمضي يوم الا وله فيه شعر جديد وضرب بديع وكان يذكر الأغاني التي يستعطف بها الملك ويستميحه لمرازبته وقواده ويستشفع لمذنب وان حدثت حادثة أو ورد خبر كرهوا انهاءه اليه قال فيه شعراً وصاغ له لحناً كما كان فعل حين نفق مركوبه شبديز ولم يجسروا على انهاء ذلك فغنى بها وذكر أنه ممدود في آريّه مادّ قوائمه لا يعتلف ولا يتحرك فقال الملك هذا قد نفق اذاً قال أنت قلت ذلك أيها الملك وكان يصطر بأشعاره أن يتكلم بالذي يكره عماله أن يستقبلوه به

﴿ العلة في صب الماء ﴾ ذكروا أن العلة في صب الماء أنه كان أول من تكلم في المهد قبل المسيح زو بن طهماسب وكان مات أبوه على قحط شديد قد شمل الأقاليم فتكلم ودعا الله تبارك وتعالى فسقى الناس الغيث وأخصبت أرضهم وعاشت مواشيهم فجعلوا صب الماء فيه سنة ،،وقد حكي أيضاً عن أبي جعفر محمد بن علي بن الحسين صلوات الله عليه أنه قال في ذلك أن ناساً من بني اسرائيل أصابهم الطاعون فخرجوا من مدينتهم هاربين الى أرض العراق فبلغ كسرى خبرهم فأمر أن يبنى لهم حظيرة يجعلون فيها لترجع أنفسهم اليهم فلما صاروا في الحظيرة ماتوا وكانوا أربعة آلاف نفس ثم ان الله تبارك وتعالى أوحى الى نبي في ذلك الزمان ان رأيت محاربة بلاد كذا فحاربهم بني فلان فقال يارب كيف أحاربهم بهم وقد ماتوا فأوحى الله اليه أني أحييهم لتحارب بهم وتظفر بعدوك فأمطر الله عز وجل ليلة صب الماء فأصبحوا أحياء فهم الذين قال الله تعالى فيهم ﴿ ألم تر الى الذين خرجوا من ديارهم وهم ألوف حذر الموت فقال لهم الله موتوا ثم أحياهم ﴾ قب هؤلاء قوم أصابهم محنة من الأزل فخطوا زمانا فهزلوا وأجدب بلدهم فعيثوا في هذا اليوم برشة من مطر فعاشوا وأخصبت بلادهم فجعله الفرس سنة

صفة الأيام﴾ قال كسرى يوم الريح للنوم ويوم الغيم للصيد ويوم المطر للهو والشرب، وقال

غيره يوم السبت يوم مكر وخديعة والأحد يوم غرس وبناء ويوم الاثنين يوم سفر وطلب رزق والثلاثاء يوم حجامة والأربعاء يوم ضنك ونحس والخميس يوم الحج والجمعة يوم مسجد ونساء وكساء

(في البرد) سئل بعض الحكماء عن البرد إنه أشد ،، فقال اذا أصبحت السماء نقية والأرض ندية والريح شامية

محاسن الهدايا

قال وكتب الناس فى الهدايا فأكثروا من الكلام المنثور والشعر الموزون وكل يكتب ويقول بمقدار عقله وعلمه حتى قالوا أنها قرابة وصلة كالرحم الماسة والقرابة القريبة وكلحمة النسب وأكثروا من التشبيع لقول رسول الله صلى الله عليه وسلم تهادوا وتحابوا ،، وقيل الهدية تفتح الباب المصمت وتسل سخيمة القلب وروي عن عائشة أنها قالت اللطفة عطفة وتزرع في القلوب المحبة ،، قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقبل الهدية ويثيب عليها ماهو خير منها وقال عليه الصلاة والسلام لو أهدي اليّ ذراع لقبلت ولودعيت الى كراع لأجبت وقال عليه الصلاة والسلام الهدية رزق من الله عز وجل فمن أهدي اليه شيء فليقبله وقال صلى الله عليه وسلم نعم الشيء الهدية أمام الحاجة ما أرضى العصيان ولا أستعطف ولا أستميل الهاجر ولا تُوُقي المحذور بمثل الهدية والبر وقال الله عز وجل ﴿ وإني مرسلة اليهم بهدية فناظرة بم يرجع المرسلون فلما جاء سليمان قال أتمدونني بمال فما آتانيَ اللهُ خيرٌ مما آتاكم بل أنتم بهديتكم تفرحون ﴾ وروي أن عاملا لعليّ رضي الله عنه قدم من بعض الأطراف فأهدي الى الحسن والحسين سلام الله عليهما ولم يهد الى ابن الحنفية فقال متمثلا

وَمَا شَرُّ الثلاثَةِ أُمَّ عمرٍو بصاحبِكِ الذي لاَ تَصحبينَ

وأهدى العامل اليه كما أهدى الى أخويه وروى من أمير المؤمنين عليّ عليه السلام أن قوماً من الدهاقين أهدوا اليه جامات فضة فيها الأخبصة فقال ماهذا قالوا يوم نيروز

فقال نيروزنا كل يوم فأكلوا الخبيص وأطعم جلساءه وقسم الجامات بين المسلمين وحسبها لهم في خراجهم .. وقيل ان جلساء المهدي اليه شركاؤه في الهدية،، والهدية تجلب المودة وتزرع المحبة وتنفي الضغينة وتركها يورث الوحشة ويدعو الى القطيعة والهدية تصير البعيد قريباً والعدو صديقاً والبغيض وليا والثقيل خفيفاً والعبد حراً والحر عبداً وفيها قول الشاعر

مَا مِنْ صَدِيقٍ وَإِنْ أَبْدَى مَوَدَّتَهُ ... يَوْماً بِأَنْجَحَ فِي الحَاجَاتِ مِنْ طَبَقِ

إِذَا تَقَنَّعَ بِالْمَنْدِيلِ مُنْطَلِقاً ... لَمْ يَخْشَ نَبْوَةَ بَوَّابٍ وَلاَ غَالِقِ

لاَ تُكْثِرَنَّ فَإِنَّ النَّاسَ مُذْ خُلِقُوا ... لِرَغْبَةٍ كُلَّمَا يُعْطُونَ أَوْ فَرَقِ

وقال آخر

إِذَا أَرَدْتَ قَضَاءَ الحَاجِ مِنْ أَحَدٍ ... قَدِّمْ لِنَجْوَاكَ مَا أَحْبَبْتَ مِنْ سَبَبِ

إِنَّ الهَدَايَا لَهَا حَظٌّ إِذَا وَرَدَتْ ... أَحْظَى مِنَ الإِبْنِ عِنْدَ الوَالِدِ الحَدِبِ

وقد قيل كل يهدي على قدره .. وذكروا أن سليمان بن داود عليهما السلام بينا يسير بالريح اذ أتى على عش قبرة فيها فراخ لها فأمر الريح فعدلت عن العش فلما نزل وافق يومه ذلك النيروز فجاءت تلك القبرة حتى رفرفت على رأس سليمان وألقت في حجره جرادة فقيل له في ذلك فقال كل يهدي على قدره .. وكان مما تهديه ملوك الأمم الى ملوك فارس طرائف ما في بلدهم فمن الهند الفيلة والسيوف والمسك والجلود ومن تبت والصين المسك والحرير والسك والاواني ومن السند الطواويس والببغا ومن الروم الديباج والبسط وكان القواد والمرازبة والأساورة يهدون النشاب والأعمدة المصمتة من الذهب والفضة و وزراء والكتاب والخاصة من قراباتهم جامات الذهب والفضة المرصعة بالجوهر وجامات الفضة الملوحة بالذهب والعظماء والأشراف البزاة والعقبان والصقور والشواهين والفهود والسروج وآلاتها وربما أهدى الرجل الشريف سوطا فقبله وكانت الحكماء يهدون الحكمة والشعراء الشعر وأصحاب الجوهر الجوهر وأصحاب نتاج الدواب الفرس

الفاره والشهري النادر والحمار المصري والبغال المماليح والطرفاء قرب الحرير الصيق مملوءة ماورد والمقاتلة القسي والرماح والنشاب والصيافلة والرادون نصول السيوف والدروع والجواشن والبيض والأسنة وكانت نسوة الملك تهدى احداهن الجارية الناهدة والوصيفة الرائقة والأخرى الدرة اليتيمة والجوهرة المثمنة وفص خاتم وما لطف وخف وأصحاب البز الثوب المرتفع من الخز والوشي والديباج وغير ذلك والصيارفة نقر الذهب والفضة وجامات الفضة مملوءة دنانير وأوساط الناس دنانير ودراهم من ضرب سنتهم مودعة أترجة أو سفرجلة أو تفاحة والكاتب واقف يكتب كل مهدٍ وجائزة كل من يجيزه الملك على هديته ليودع ذلك ديوان النيروز

ومن الهدايا التي لم يسمع السامعون بمثلها هدية ابرويز الى ملك الروم بعقب محاربة بهرام جوبين وقد شارف الروم فأنفذ رسولا يستنجده وبعث اليه مائة غلام من أبناء الأتراك مختارين في صورهم وشوفهم في آذانهم أقرطة الذهب معلق فيها حب الدر على مراكب سروج الذهب مرصعة باليواقيت والزمرد وبعث معه بمائدة من عنبر فتحها ثلاثة أذرع مكللة المستدار بالدر لها ثلاث قوائم من ذهب احداها ساعد أسد مع كفه والأخرى ساق وعل مع ظلفه والثالثة كف عقاب في كف الاسد ياقوتة حمراء وفي ظلفي الوعل ياقوتة حمراء وفي كف العقاب قطعة من اللازورد عيناه ياقوتتان حمراوان شوقدان حمرة وفي وسط المائدة جام من جزع يماني أحمر فتحه شبر في شبر مملوء ياقوت حمر وسمط ذهب فيه مائة درة كل درة مثقال ومائة لؤلؤة كل لؤلؤة مثقب ومائة خاتم من ذهب مرصع بالجوهر مشك الأعلى حشوه مسك وعنبر ووصل رسل ابرويز الى ملك الروم بهذه الهدية فأنجده وأرسل اليه عشرين ألف فارس بالسلاح والشحنة وبعث اليه بألفي ألف دينار لارزاق جنده وألف ثوب منسوج وعشرين جارية من بنات ملوك الصقالبة بأقبية الديباج المطير في آذانهن أقرطة الذهب مرصعة بالدر والياقوت وعلى رؤسهن أكلة الجوهر وأنفذ اليه عشرين مركباً على كل مركب صليب تحت كل صليب ألف فارس وألف برذون وألف شهري وألف بغلة وألف نجيب بسروج مذهبة وأكف مذهبة ولجم من ذهب مصوغ وبرادع مذهبة وجلال وبراقع ديباج منسوج

بالذهب واللؤلؤ وأوقر البغال من السندس والاستبرق والذهب واللؤلؤ وبعث اليه بساحة جريب أرض من ذهب فيه نخل من ذهب سعفه الزمرد وطلعه اللؤلؤ وشماريخه الياقوت الأحمر وكربه الجزع وبعث اليه ألف ألف لؤلؤة كل لؤلؤة بألف دينار وبعث اليه ألف ألف درهم مثاقيله ألف ألف دينار خسرواني وأتى به واعتذر اليه من التقصير فقابله ملك الروم عامه المقبل يوم النيروز بفارس من ذهب على شهرى من فضة عينا الشهرى جزع أبيض محدق بسواد وناصيته وعرفه وذنبه شعر أسود بيد الفارس صولجان من ذهب والى جانبه ميدان من فضة في وسط الميدان كرة عقيق أحمر يحمل الميدان ثوران من فضة والشهرى يبول الماء فاذا مال انحط الصولجان على الكرة فرمى بها الى أقصى الميدان فتحرك بحركتها الثوران والميدان ويركض الفارس على محل تحت حوافر الشهرى ،،فأما أهل الاسلام فلم يسمع بمثل هدية حسان النبطى الى هشام بن عبد الملك فانه أهدى اليه والى أمهات أولاده هدية كثيرة من الكساء والعطر والجوهر وغيرها فاستكثرها هشام وقال بيت المال أحق بهذا ثم أمر فنودي عليها فبلغت مائة ألف دينار فبعث حسان أثمانها وقال يا أمير المؤمنين قد طابت الآن هذه مائة ألف دينار تحمل الى بيت المال فأقبل هديتي فقبلها ونادى على ماديه حسان سيد موالي أمير المؤمنين قد طابت الآن هذه،، واستملح المأمون من أبى سلمة ذكر هدية لطيفة قال أهدى الى أمير المؤمنين خوانا من جزع ميلا فى ميل فقال المأمون أو قصت الهدية قيل نعم قال أهي فى داري أم داري فيها قال بل هي في منديل فدعا بهديته فاذا خوان من جزع عليه ميل من ذهب قد صيغ من مائة مثقال بطول الخوان وعرضه فاستملحه وقبله ،،وأهدت أسماء بنت داود الى أسماء بنت المنصور مائة مركن من فضة فيها أنوع الطحالج والريحان المضيب ومائة جمة مطيبة وأنواع من الأطعمة والأشربه وعشراً من الوصائف في قد واحد فقومت هديتها فبلغت خمسين ألف دينار ،، وبعث الحسن بن وهب الى المتوكل بجام من ذهب فيه ألفا مثقال من العنبر وكتب اليه

يا إمامَ الهُدَى سَعِدْتَ منَ الدَّهـــرِ بِرُكنٍ من الإِله عزيزِ

وبظلٍّ منَ النّعيم مَديدٍ | وبجزءٍ منَ اللّيالي حَريزِ
لا تَزَلْ ألفَ حِجّةِ مِهرَجانٍ | أنتَ تُفضي بهِ إلى النّيروزِ
ونعيمٍ ألذَّ منَ نظرِ المَشوقِ منْ بعدِ نبوةٍ ونُشوزِ

قال خالد المهلبي أهديت الى المتوكل في يوم نيروز ثوب وشي منسوج بالذهب ومشمة عنبر عليها فصوص جوهر مشبك بالذهب ودرعاً مضاعفة وحشية بجوز نحو القامة وثوبا بغداديا فأعجبه حسنه ثم دعا به فلبسه ، وقال يا مهلبي انما لبسته لأسرك به فقلت يا أمير المؤمنين لو كنت سوقة لوجب على الفتيان تعلم الفتوة منك فكيف وأنت سيد الناس ، وأحسن من جميع ما تقدم ذكره قول عبد الله العباسي والي الحرمين فانه قال هذا يوم يهدى فيه الى السادة والعظماء و لو احب أن أهدي الى سيدي لأكثر ثم دعا بعشرة آلاف دينار فقسمها على أهل الحرمين فكانت فكرته في هذا أحسن من فعله

(التلطف في الهدايا) كتب سعيد بن حميد الى بعضهم النفس لك والمال منك غير أني كرهت أن أخلي هذا اليوم من سنة فأكون من المقصرين أو أدعي أن في ملكي ما يفي بحقك فأكون من الكاذبين وقد وجهت اليك بالسكر لحلاوته والدرهم لنفاقه والدينار لعزه فلا زلت جليلا في العيون مهيباً في القلوب حلواً لاخوانك كحلاوة السكر عزيزاً عند الملوك لا تحسن أفنيتهم الا بك ولا زلت نافقاً كنفاق الدرهم ، ،وأهدى احمد بن يوسف الى ابراهيم بن المهدي وكتب اليه الامراء أعزك الله تسهل سبيل الملاطفة في البر فأهديت هدية من لا يحتشم الى من لا يغتنم مالا فلا أكثره تبجحاً ولا أقله ترفعا

(هدايا النيروز) قال كتب الحسن بن وهب الى المتوكل في يوم نيروز تهنئة نيروزية أسعدك الله يا أمير المؤمنين بكر الدهور وتكامل السرور وبارك لك في اقبال الزمان وبسط بيمن خلافتك الآمال وخصك بالمزيد وأبهجك بكل عيد وشد بك عرى التوحيد ووصل

لك بشاشة أزهار الربيع المونق بطيب أيام الخريف المغدق وقرب لك التمتع بالمهرجان والنيروز بدوام بهجة ايلول وتموز وبمواقع تمكين لايجاوره الأمل وغبطة اليها نهاية سارت المثل وعمر ببلائك الاسلام وفسح لك في القدرة والمدة وأمتع برأفتك وعدلك الأمة وسربلك العافية ورداك السلامة ودرعك العز والكرامة وحمل الشهور لك بالاقبال متصدية والأزمنة اليك راغبة متشوقة والقلوب نحوك سامية تلاحظك عشقا وترفرف نحوك طربا وشوقا وكتب في آخره

فدَاكَ الزَّمانُ وأهلُ الزَّمانِ ... إمامَ الهُدَى بكَ مُستبشِرينا

قدْ ألقوْا إليكَ مقَاليدَهمْ ... جميعاً مُطيعينَ مُستوْسِقينا

ولا زِلتَ زَيناً لأعيادِنا ... وللدِّينِ كَهفاً وحِصناً حَصينا

يَعِز بدَوْلتِكَ الصَّالحونَ ... ويَشقَى بكَ الشِّركُ والمُشرِكونا

فيا رُبَّ مشْكلةٍ أرَّقتْ ... فجلَّيْتَها السيفَ حقا يقينا

بصِدقِ عزِيمةِ مُستبْصِرٍ ... وضَرْبٍ يقُدُّ الطُّلى والمُتونا

وَسَمْتَ النَّصارَى بشيْطانِها ... ودَلَّتَ منها الأغَرَّ البَطينا

وكَمْ فِعلةٍ لكَ في المُشرِكينَ ... أقرَّتْ عيُوناً وأبكَتْ عيُونا

وكتب آخر

المِهرَجانُ لنا يومٌ نُسَرُّ بهِ ... يومٌ تُعظِّمُهُ الأشرَافُ والعجَمُ

وأنتَ فيهِ لنا تَدرِيهِ كما ... أنَّ السَّماءَ ببَدرِ اللَّيلِ تبتسِمُ

وكتب آخر

عيدٌ جديدٌ وأنتَ جدَّدْتهُ ... يا منْ بهِ للزَّمانِ تجديدُ

لازالَ طُولَ الزَّمانِ يَرجِعهُ ... وظِلُّ مُلكٍ عليكَ ممدُودُ

وقيل للمازنى أي هؤلاء أطرف فى شعره الذي يقول

جُعِلتُ فِداكَ للنيروزِ حقٌّ ... فأنتَ عليَّ أعظمُ منهُ حقا
ولو أهديتُ فيهِ جميعَ ملكي ... لكانَ جليلهُ لكَ مستدقا
فأهديتُ الثناءَ بنظمِ شعرٍ ... وكنتَ لذاكَ مني مستحقا

أم الذي يقول

دخلتُ السوقَ أبتاعُ ... وأستطرفُ ما أُهدِي
فما استطرفتُ للإهدا ... ءِ إلاَّ طرفَ الحمدِ
إذا نحنُ مدحناكَ ... رعينا حرمةَ المجدِ

أم الذي يقول

وكم من مرسلٍ لكَ قدْ أتاني ... بما يُهدِي الخليلُ إلى الخليلِ
فأظهرتُ السرورَ وقلتُ أهلاً ... وسهلاً بالهديةِ والرسولِ

فقال أشعرهم جميعهم وأظرفهم الذي يقول

فواللهِ لا أهديكَ أهدي شواردَ ... إليكَ يحملنَ الثناءَ المبجلا
ألذ منَ السلوى وأطيبَ نفحةً ... منَ المسكِ مفتوتاً وأيسرَ محملا

وبعث سعيد بن حميد الى احمد بن أبي طاهر قارورة مورد وكتب اليه

وزائرةٍ خوريةٍ فارسيةٍ ... كسرحيب حاديوماً عن العسدِ
تردُّ ربيعاً في مصيفٍ سمحةٍ ... إذا فقدت وردَ تنوبُ عن الورد
حكى نشرُها منهُ خلائقَ نشرهِ ... كأنفاس الروضِ في جنةِ الخلدِ
وشبهتُها في صفوِها بصفاتهِ ... لإخوانهِ في القربِ منهُ وفي البعدِ

وأهدت لنا منه النسيم نسيمه ‏ ‏ وإن كان إن حالت يدوم على عهد

وعن اسحاق بن ابراهيم الموصلي ، قال دار كلام بين الأمين وبين ابراهيم بن المهدي ، قال فوجد عليه الأمين فهجره فوجه اليه ابراهيم بوصيفة معه مع عبد هدي فأبى الأمين أن يقبلها فكتب اليه

هتكت الضمير برد اللطف ‏ ‏ وكشفت هجرك لي فانكشف

فإن كنت تحقد شيئاً مضى ‏ ‏ فهب للخلافة ما قد سلف

وجد لي بعفوك عن زلتي ‏ ‏ فبالفضل تأخذ أهل الشرف

فرضي عنه ودعاه للمنادمة

(هدايا الفصد) قال ابن حمدون النديم افتصد المأمون فأهدى اليه ابراهيم بن المهدي جارية معها عود ورقعة فيها

عفوت وكان العفو منك سجية ‏ ‏ كما كان معقوداً بمفرقك الملك

فإن أنت أتممت الرضى فهو المنى ‏ ‏ وإن أنت جاريت المسيء فذا الهلك

فقال المأمون حرف الشيخ يوم مثل هذا يذكر الثواب والآخرة فلم يقبل الوصيفة واغتم ابراهيم وكتب اليه مع الوصيفة

لا والذي تسجد الجباه له ‏ ‏ مالي بما دون ثوبها خبر

ولا بفيها ولا هممت بها ‏ ‏ ما كان إلا الحديث والنظر

فقال المأمون نعم الآن أقبلها فقبلها قال أبو القاسم بن أبي داود كنت عند احمد ابن محمد العلوي وقد افتصد فخرج بعض الخدم ومعه طبق من فضة عليه تفاح طيب مكتوب حواليه بالذهب

بنت المداة بوجهك اللعب ‏ ‏ وجرى بيمن فصادك الطرب

وتداعتِ العيدانُ فى زَجَلٍ ‏ وتناولتْ راحاتِها النُّجُبُ
فاشربْ بهذا الجامِ ياملكى ‏ شُرْبًا حثيثًا إنَّهُ عجَبُ
واجعلْ لِمَنْ قدْخفَّ في لطفٍ ‏ مِنْ زَوْرِهُ يخشى ويرتقبُ

فقال للخادم احرجها الى الستارة فخرجت وخلا ليلته بها ، وقيل افتصد المعتصم فاهدت اليه شمائل صينية عقيق عليها قدح أسل عليهمامنديل مطيب مكتوب عليه بالعنبر فى كل ربع منه بيت شعر

خضَبَ الخليفةُ كفَّهُ من فصدِهِ ‏ بدمٍ يحاكى عبرةَ المشتاقِ
تاهَ الفِصادُ فما يقامُ لتيهِهِ ‏ إذْ صارَ مفتصِدًا أبو إسحاقِ
وتوافتِ العيدانُ عندَ حضورِه ‏ قُبُّ البطونِ ذَوابِلَ الأعناقِ
ملكٌ إذا حطرَ الشرابُ ببالِهِ ‏ لبسَ السرورُ غلائلَ الإشراقِ

فلما قرأه أمر باحضار اسحاق بن ابراهيم الموصلي وأمره أن يجعل له لحنا وأمر مسرورا باخراجها من وراء الستارة ثم لم يزل اسحاق يردد هذه الأبيات حتى أحكمها شمائل وغنت فكأن سمط الدر يتنثر من فيها وأمر لاسحاق بمنزل ولجارية بخمس وخمسين وخمسة آلاف دينار ، المبرد قال أهدى اليزيدي الى الرشيد يوم فصد جام بلور وسماه عالية وكتب اليه ياأمير المؤمنين تفاءلت فى الشرب في الجام بحمام النفس ودوام الأنس والعالية للعلو في السرور والازدياد من الخير والحبور وقت

دَمُ الفصدِ من يدِكَ العاليَه ‏ يُداعي لجسمِكَ بالعافيه
كسا الدهرَ ثوبًا من الأرجوانِ ‏ بديعَ الطرازينِ والحاشيه
وعصفرَ صفحةَ وجهِ الربيعِ ‏ لصبغٍ مِنَ أسرارِهِ الجاريه
فكمْ روضةٍ نشرتْ وشيَها ‏ وزهرةَ روضٍ غدتْ زاهيه

إمامٌ أسال دمَ المكرُماتِ فشجّجَ أقنائها الحاميه
فلا زالَ في عيشةٍ راضيه ودامت لهُ النعمةُ الكافيه

قال اليزيدي افتصد المأمون فأهدت اليه رياح أترجة عنبر عليها مكتوب بماء الذهب

تمالَحَ مَنْ هَويتُ بفصدِ عرقٍ فأضحى السقمُ في خلعِ الخضوعِ
وجاءتْ تحفةُ الألبابِ تَسعى بوَرْدٍ فائضٍ فيضَ الدموعِ

فقال المأمون لليزيدي ويحك ما تقول فيمن كتب هذين البيتين قال يكافأ بالدنيا وما استدق منها فأمر لها بمال كثير ووصلني معه ، قال وافتصد عبدالله بن طاهر فأهدى له أبو دلف جميع ما أصاب في السوق من الورد وكتب اليه

تضاحكَ الوردُ في وَجهي فقلتُ لهُ لِمْ ذا فقالَ أبو العباسِ مُفتصدُ
فقمتُ أطلبُ ما أهديهِ من طَرَفٍ للفصدِ في السوقِ حتى خانني الجلَدُ
يومُ الفصادِ لهُ أَزْرٌ مطيبةٌ محجوبةٌ لا يَراها الجردُ والرَّدُ
فاشربْ على الوَرْدِ مسرُوراً بطلعتهِ يا ابنَ الكرامِ فأنتَ السيّدُ النجدُ

قال عمرو بن بانة اعتل المعتصم فأشار عليه بختيشوع بالفصد وأنا عنده فأخرجت اليه هدايا الفصد وكان فيما أخرج طبق صندل مكتوب عليه مخرع كما يدور عليه شمامات مسك وعنبر فأمر بقراءة ما عليه فاذا هو

فَصدَ الإمامُ لعلّةٍ في جسمهِ فشفى الإلهُ السقمَ بالفَصدِ
وجرى إلى الطَّستِ السقامُ مُبادِراً وجرى الشفاءُ إليهِ بالسعْدِ
يا مالكاً ملكَ العبادَ بجودِهِ إسلمْ سلمتَ بعيشةٍ رغْدِ

فقال يا عمرو من يلومني على حب هذه الجارية والله ما أراها الا تزايدت في عيني حاذقة أن تحب وتحظ هي بما ... علاما وكانت آثر جواريه عنده واحظاهن لديه

،،وأخبرنا ابراهيم القاري قال كنت عند المأمون فاحتاج الى الفصد فقال له الاطباء البلد مادر فقال لا بد لي منه فقصدوه فلما كان وقت الظهر حضروا فراموا فجر العرق فاذا هو قد التحم فشدوا الرباط وفيهم ميخايل فلما ظهر الدم فقال لهم المأمون عقر تموني حلوا الرباط وعلى رأسه بختيشوع وابن ماسويه فقال ماتقولون . قالوا ماندري مانقول . قال فأشاروا هناك أن حلالة الخليفة ربما أدهشت الحاذق بالصناعة والمتقدم في الرياسة فاعتزلوا ناحية وأبطؤا عليه فقال لاسود كان على رأسه ادن فقص الجرح فعمل فثار الدم فقال ادع هؤلاء الحاكة فجاؤا وشهدوا خروج الدم . قال أين كنتم . قال ابن ماسويه لو فعل جالينوس مازاد عليه ،، قال وافتصد احمد بن عيسى بالري وهو أميرها فكتب اليه جعفر الشيباني

فَصَدْتَ بأَرْضِ الرَّيِّ طابَ لكَ الفَصْدُ ... وفارَقَ نَجْمَ النَّحْسِ طالِعَكَ السَّعْدُ
فأَعقَبَكَ الحُسْنَى التي لا مَدَى لها ... ولا زالَ يُرْدِيكَ الجلالَةُ والحَمْدُ
تورَّدَتِ الدُّنيا بفَصْدِكَ مِثْلَ ما ... بفَصْدِكَ يا ابنَ المُصطفَى ضَحِكَ الوَرْدُ
فلا أبصَرَتْ عيناكَ ما عِشْتَ شانِياً ... ومِنْ كُلِّ ما تَهواهُ لا خانَكَ المَهْدُ

وفي مثله

يا فاصِدًا مِنْ يَدٍ جَلَّتْ أَيادِيها ... ونالَ منهُ الذي يَرْجوهُ راجِيها
يَدُ النَّدَى هي فارْفُقْ لا تُرِقْ دَمَها ... فإنَّ آمالَ طُلَّابِ النَّدَى فيها

قال وكتب الحمدوني الى الفضل بن جعفر وقد افتصد

أَلا يا طبيبَ الفَصْدِ هل أنتَ عالِمٌ ... بما صنعَتْ كفّاكَ في كفِّ ذي المَجْدِ
أَسلْتَ دَماً مِنْ ساعِدٍ يُنْسي بها ... حَياةَ نَدًى في قَصْدِ نَذْعاكَ في القَصْدِ
فداوَيتَ كَمَّا تعلمُ النّاسُ أَنَّها ... دَواءٌ مِنَ لأَمْحالِ في زَمَنِ النَّكْدِ
ولَمَّا أتانا المُخْبِرُونَ بفَصْدِهِ ... أَرَدْتُ بأَنْ أُهدِي على قَدْرِ ما عِندي

وشاورتُ فاستصحبتُ آلي وجيرتي ... فلم أرَ أمرى من ثناءٍ ومن حمدِ

وقال آخر

توثّق من ثنائك في الهدايا ... غداةَ أردتَ قصدَ الباسليقِ

فلم أرَ كالدعاء أتمّ نفعاً ... وأجملَ في مكافاةِ الصديقِ

وأكثرتُ الدعاءَ وقلتُ ربّي ... يقيكَ شرورَ آفاتِ العروقِ

وقال آخر

على طيبِ أيامِ التمتّعِ بالورْدِ ... قصدتَ فأصحبتَ السلامةَ في الفصدِ

ولا زلتَ لا زالتْ من اللهِ أنعمٌ ... عليكَ قريبَ العينِ مغتبطَ الجَدِّ

لقدْ رمتُ جهدي طرفةً وهديّةً ... إليكَ فكانَ الشكرُ أكثرَ ما عندي

وقال آخر

أيها الفاصدُ العليلُ الصحيحُ ... بأبي ذلكَ الجناحُ الجريحُ

إنّ من علقَ الذراعَ من الفصـ ... ـدِ إلى الجيدِ ذاكَ شيءٌ مليحُ

أيها الفاصدُ الهنا لكَ بالورْ ... دِ وفي وجنتيهِ وردٌ يلوحُ

وقال آخر

أيها السيّدُ الذي قصدَ العِرْ ... قَ وأرخى دوني ذيولَ السرورِ

كم تمنيتُ أن أكونَ طبيباً ... ومنى الصبّ ترّهاتُ الغرورِ

وقال آخر

أحسنْ جعلتُ فداكَ بالجلدِ ... وامننْ عليَّ بأجملِ الرِّدِّ

لو عاينتْ عيناكَ مضطربي ... وتفرّدي بالمدِّ والشدِّ

وتخشَّي عندَ الطبيبِ كأنَّهُ　　　مولًى يريدُ عقوبةَ العبدِ

كالنارِ مِبضعُهُ يُقلِّبُهُ　　　ويُديرُ مُقلةَ حازمٍ جَلْدِ

حتى اعتزمتُ على مُحاجزةٍ　　　وصددتُ عنهُ أيَّما صدِّ

ما كانَ من ألمٍ شعرتُ بهِ　　　إلَّا كموقعِ شرطةِ الجلدِ

إذْ سالَ مُنبعثاً سوابقُهُ　　　كالنارِ خارجةً منَ الزَّندِ

فسلمتُ والرحمنُ سلَّمني　　　ذو المنِّ والآلاءِ والحمدِ

ما بعدَ طبَّاخي لمُفتخرٍ　　　فخرٌ لمَنْ قبلي ومَنْ بعدي

نصبَ القدُورَ بنفسهِ كرَماً　　　لنُصيبَ شهوتَنا على عمْدِ

فأجادَ صنعتَها وعجَّلها　　　منْ غيرِ ما تعبٍ ولا جهْدِ

ونبيذُنا صافٍ ومجلسُنا　　　في الطيِّبِ يحكي جنَّةَ الخُلْدِ

فهلُمَّ واحضرْ غيرَ مُحتشمٍ　　　واجعلْ غداءَكَ سيِّدي عندي

لا تجمعَنَّ عليَّ مُحتسباً　　　ضعفَ العليلِ ووحشةَ الفرْدِ

محاسن الوصائف المغنيات

قال الأصمعي ،، بعث إليّ هرون الرشيد وهو بالرقة فحملت اليه فأنزلني الفضل بن الربيع ثم ادخلني عليه وقت الغروب فاستدناني وقال · يا عبد الملك وجهت اليك بسبب جاريتين اهديتا إليّ وقد أخذتا طرفا من الأدب احببت ان تبرز ما عندهما وتسير على الصواب فيهما ثم أمر باحضارهما فحضرت جاريتان ما رأيت مثلهما قط فقلت لاحداهما ماعندك من العلم ، قالت : ماأمر الله فى كتابه ثم مايسطر فيه الناس من الأشعار والأخبار فسألتها عن حروف القرآن فأجابتني كأنها تقرأ في كتاب الله ثم سألتها عن الأشعار والأخبار والنحو والعروض فما قصرت عن جوابي في كل من أحدت فيه فقلت لها : فانشدينا شيئاً ،، فأنشدت

يا غياثَ البلادِ في كلِّ محْلٍ ... ما يُرِيدُ العبادُ إلاَّ رِضاكَ

لاَ ومَنْ شرَّفَ الإمامَ وأعلى ... ما أطاعَ الإلهَ عبْدٌ عصاكَ

فقلت : يا أمير المؤمنين ما رأيت امرأة فى مسك رجل مثلها وحبرت الأخرى فوجدتها دونها فأمر أن تصنع تلك الجارية لتحمل اليه فى تلك الليلة ثم قال لي: ياعبد الملك انا ضجر واحب أن تسمعني حديثاً مما سمعت من أعاجيب الزمان فرح به . فقلت : يا أمير المؤمنين كان لي صاحب فى بدو بني فلان وكنت أغشاه وأتحدث معه وقد أتت عليه ست وتسعون سنة وهو أصحّ الناس ذهناً وأقواهم بدناً فغبت عنه ثم أتيته فوجدته ناحل البدن كاسف البال فسألته عن سبب تغيره فقال · قصدت بعض القرابة فالفيت عندهم جاريه قد طلت بالورس بدنها وفى عنقها طبل تنشد عليه

مَحَاسنُها سِهامٌ لِلمَنايا ... مُرَيَّشةٌ بأنواعِ الخُطُوبِ

تَرَى رَيبَ المَنونِ بِهِنَّ سَهماً ... تُصيبُ بِنَصلِهِ مُخَ القُلوبِ

وله ت

فِفي شَفَتي من مَوْضعِ الطَّبْلِ تَرْتَمي كما قد أبحتَ الطَّبلَ في جِيدِكَ الحَسَنْ
هَبيني عُوداً جَوفُهُ تَحتَ مَتْنِهِ يُغَنّي ما بينَ نَحْرِكِ والذَّقَنْ

فلما سمعت شعري رمت بالطبل فى وجهي ودخلت الخيمة فوقفت حتى حميت الشمس على مفرقى ولم تخرج فانصرف قريح القلب فهذا التغير من عشقها ، فضحك الرشيد حتى استلقى وقال : ويلك ياعبد الملك ابن ست وتسعين يعشق ، فقلت : قدكان هـذا ، فقال : يا عباس اعط عبد الملك مائة ألف درهم وردّه الى مدينة السلام ، فانصرفت ثم أتانى خادم فقال : انا رسول ابنتك ـ يعنى الجارية ـ تقول لك ان أمير المؤمنين قد أمر لها بمال وهذا نصيبك ، فدفع اليّ ألف دينار ولم تزل تواصلنى بالبر الواصل حتى كانت فتنة محمد وانقطع خبرها وامر الفضل لي بعشرة الآف درهم ،،

علىّ بن الجهم ، لما افضت الخلافة الى المتوكل أهدى اليه الناس على أقدارهم فاهدى اليه ابن طاهر جارية أديبة تسمي قبيحة تقول الشعر وتلحنه وتحسن من كل علم أحسنه فحلت من قلب المتوكل محلا جليلا فدخلت يوما للمنادمة وخرج المتوكل وهو يضحك وقال : يا على دخلت فرأيت قبيحة قد كتبت على خدها بالمسك جعفر فما رأيت أحسن منه فقل فيه شيئا ، فسبقتني محبوبة وأخذت عودها فغنت

وكاتبةٍ بالمِسْكِ في الخَدِّ جعفرا بنفسي خَطُّ المِسْكِ من حيثُ أثَّرا
لَئِنْ أودَعَتْ سَطراً من المِسْكِ خَدَّها لقد أوْدَعَتْ قلبي من الوَجدِ أسْطُرا
فيا مَنْ لمَمْلوكٍ يَظلُّ مليكُهُ مُطيعاً لهُ فيما أسرَّ وأجْهَرا
ويا مَنْ لعينيْ من رأى مثلَ جعفرٍ سَقى اللهُ صوبَ المُسكِراتِ لجعفرا

قال فبقلت خواطري حتى كأنى ما أحسن حرفا من الشعر وقامت للمتوكل . فقلت فقد والله عزب عنى ذهني فلم يزل يعيرني به ثم دخلت عليه للمنادمة بعد ذلك فقال : يا علىّ أعلمت انى قد غاضبت محبوبة وأمرتها بلزوم مقصورتها ومنعت أهل القصر من كلامها ، فقلت يا سيدي ان غاضبتها اليوم فصالحها غدا فدخلت عليه من الغد فقال :

ويحك يا علي رأيت البارحة في النوم كأني صالحت محبوبة . فقالت جاريته ، شاطر يا سيدي لقد سمعت الآن في مقصورتها هيمنة فقال . نظر ما هي . فقام حافيا حتى وصلا مقصورتها فإذا هي تغني

أدورُ في القصرِ كي أرَى أحدًا   أشكو اليهِ فلا يُكلّمُني

فمَنْ شفيعٌ لنا إلي مَلِكٍ   قد زارني في الكرا يُعاتبُني

حتّى إذا ما الصبّاحُ عادَ لنا   عادَ إلي هَجرِهِ فقارقني

فصعق المتوكل طربا فلما سمعته حرجت تقبل رحليه وتمرغ حدها في التراب حتى أحد بيدها راضيا عنها ،، حدث ابو علي بن الاسكري المصرى ــ واسكر هي القرية التي ولد فيها موسى عليه السلام ــ قال : كنت من جلاس تميم بن تميم وممن يخف عليه فأتي من بغداد بجارية رائعة فائقة الغناء فدعا بجلسائه وقدمت الستارة فغنت

وبدَا لهُ من بعدِ ما اندملَ الهوَى   بَرقٌ تألّقَ موهِناً لمعانُه

يبدُو كحاشيةِ الرِّداء ودونهُ   صعبُ الذُّرَى متمنّعٌ أركانُهُ

وبدَا لينظرَ كيفَ لاحَ ولمْ يطقْ   نظرًا إليهِ وردَّهُ هيجانُه

فالنّارُ ما اشتملتْ عليهِ ضلوعُهُ   والماءُ ما سحّتْ بهِ أجفانُه

قال . فأحسنت ما شاءت فطرب تميم ومن حضر ثم غنت

سيَسليكَ مِمّا دُونَ دَولَتِهِ مفصلٍ   أوائلُهُ محمودةٌ وأواخرُه

ثنى اللهُ عطفيهِ وألّفَ شخصهُ   على البرِّ مذْ شُدّتْ عليهِ مآزرُه

فطرب تميم ومن حضر ثم غنت

أستودِعُ اللهَ في بغدادَ لي قمرًا   بالكرخِ من فلكِ الأزرارِ مطلعهُ

فافرط تميم في الطرب حداً وقال لها تمنى ما شئت فلك مناك ، قالت . اتمنى أيها الأمير عافيته وسلامته ، فقال . والله لا بد ان تمني ، فقالت : على الوفاء أتمنى أن اغنى

هذه النوبة ببغداد فتغير وجه تميم وتكدر المجلس وقمنا فلحقني بعض خدمه فردني فلما وقفت بين يديه قال : ويحك ارأيت ما امتحنا به ولا بد لنا من الوفاء ولم أثق في هذا بغيرك فتأهب لحملها الى بغداد فاذا غنت هناك فاصرفها . فقلت : سمعا وطاعة ثم اصحبها جارية سوداء تخدمها وتعادلها وأمر بناقة لي تحمل عليها هودج وادخلت فيه وسرنا مع القافلة الى مكة فقضينا حجنا ثم لما وردنا القادسية أتتني السوداء فقالت : تقول لك سيدتي أين نحن . فقلت لها : نحن الآن بالقادسية فاخبرتها فسمعت صوتاقد ارتفع بانشاد

لمَّا رَأينا القادِسيّةَ حيثُ مُجتَمعُ الرِّفاقِ

وشَممتُ مِن أَرضِ الحجا زِ نَسيمَ أَنفاسِ العراقِ

أَيقَنتُ لي ولِمَنْ أُحِبُّ بجمعِ شَملٍ واتِّفاقِ

وضَحِكتُ مِن فَرَحِ اللِّقا ءِ كما بَكيتُ مِنَ الفِراقِ

فصاح الناس من أقطار القافلة . اعيدي بالله فلم يسمع لها كلمة فلما نزلنا الناصرية على خمس أميال من بغداد في بساتين متصلة تبيت الناس فيها ثم يبكرون ببغداد . فلما قرب الصباح اذ السوداء قد اتتني مذعورة فقالت : إن سيدتي ليست بحضرة فلم أجدها ولا وجدت لها ببغداد خبرا . فقضيت حوائجي وانصرفت الى تميم وخبرته خبرها فلم يزل واجما عليها .. واخبار القينات كثيرة فنقتصر منها على هذا القدر

محاسن الجواري مطلقا

قيل .. كان يقال : من أراد لذة المؤونة وخفة النفقة وحسن الخدمة ... الحشمة فعليه بالاماء دون الحرائر . وكان مسلمة بن مسلمة يقول : عجبت ... يستمتع بالسراري كيف يتزوج المهائر . وقال : السرور بحمد السراري . وكان أهل المدينة يكرهون اتخاذ الاماء امهات اولادهم حتى نشأ فيهم علي بن الحسين بن علي بن ...

وفاق أهل المدينة فقها وعلماً وورعا فرغب الناس فى اتخاذ السرارى ، قال : وليس من خلفاء بنى العباس من أبناء الحرائر الا ثلاثة السفاح والمنصور والامين والباقون كلهم أبناء الجواري وقد علقت الجوارى لأنهن يجمعن عز العرب ودهاء العجم

﴿ ضده ﴾

إذا لمْ يكُنْ فى مَنْزِلِ المرْءِ حرَّةٌ ... رأى خَلَلاً فيما توَلّى الوَلائد

فلا يتَّخِذْ منْهُنَّ حرٌّ قَعيدَةً ... فهُنَّ لعَمْرُ اللهِ شرُّ القعائد

وكان يقال : الجوارى كخبز السوق والحرائر كخبز الدور ، ومن أمثال العرب : لا تمازح امة ولا تبل على أكمة ،، وقال بعضهم لاتفترش من تداولتها ايدى النخاسين ووقع ثمنها فى الموازين ،، وقال • لا خير في بنات الكفر وقد نودى عليهن فى الأسواق ومرّت عليهن أيدى الفساق

محاسن الموت

فى الحديث المرفوع • الموت راحة ،، وقال بعض السلف : مامن مؤمن إلاوالموت خير له من الحياة لانه إن كان محسنا فالله يقول ﴿وما عِندَ اللهِ خَيرٌ لِلأَبرارِ ﴾ وان كان مسيئاً فالله تعالى جدّه يقول ايضا ﴿ ولا يَحْسَبَنَّ الَّذينَ كفرُوا أنما نُملِي لهمْ خَيرٌ لأَنفُسِهِمْ إنما نُملى لهمْ لِيزْدادوا إثماً ﴾ وقال ميمون بن مهران أتيت عمر بن عبد العزيز فكثر بكاؤه ومسئلته الله الموت فقلت : يا أمير المؤمنين تسأل ربك الموت وقد صنع الله على يدك خيراً كثيراً أحييت سننا وأمتّ بدعاوفعلت وصنعت ولبقائك رحمة للمؤمنين ، فقال : الا أكون كالعبد الصالح حين أقر الله عينه له أمره قال ﴿ رَبِّ قد آتيتني مِنَ المُلْك وعلَّمتنى مِنْ تأويلِ الأَحاديثِ ﴾ الى قوله ﴿ وألحقني بالصَّالحين ﴾ فما دار عليه

أسبوع حتى مات رحمه الله ،، قالت الفلاسفة : لا يستكمل الانسان حدّ الانسانية إلا بالموت لأن حدّ الانسانية إنه حي ناطق ميت ،، وقال بعض السلف ،، الصالح اذا مات استراح والطالح إذا مات استريح منه ،، قال الشاعر

وما الموتُ إلّا راحةٌ غيرَ أنهُ ... منَ المنزلِ الفانى إلى المنزلِ الباقي

وقال آخر

جزَا اللهُ عنّا الموتَ خيرًا فإنهُ ... أبرّ بنا من كلّ برٍّ وأرأفُ

يُعجّلُ تخليصَ النفوسِ منَ الأذي ... ويُدنى منَ الدّارِ التّى هي أشرفُ

وقال منصور الفقيه

قدْ قلتُ إنْ مدحوا الحياةَ فأسرفوا ... فى الموتِ ألفُ فضيلةٍ لا تُعرفُ

منها أمانُ بقائه بلقائهِ ... وفراقُ كلِّ معاشرٍ لا يُنصفُ

وقال أحمد بن أبى بكر الكاتب

منْ كانَ يرجو أنْ يعيشَ فإننى ... أصبحتُ أرجوا أنْ أموتَ فأعتقا

في الموتِ ألفُ فضيلةٍ لو أنّها ... عُرفتْ لكانَ سبيلهُ أنْ يُعشقَا

وقال لكك النصرى

نحنُ واللهِ فى زمانٍ غشومٍ ... لوْ رأيناهُ فى المنامِ فزعْنا

أصبحَ النّاسُ فيهِ منْ سوءِ حالٍ ... حقٌ منْ ماتَ منهمْ أنْ يُهنّا

﴿ ضده ﴾

في الحديث المرفوع أكثروا ذكر هادم اللذات يعنى الموت،، قال الشاعر

يا موتُ ما أجفاكَ منْ نازلٍ ... تنزلُ بالمرْءِ على رغمِهِ

تستلبُ العذراءَ من خِدرِها ... وتأخذ الواحدَ من بين التؤمِ

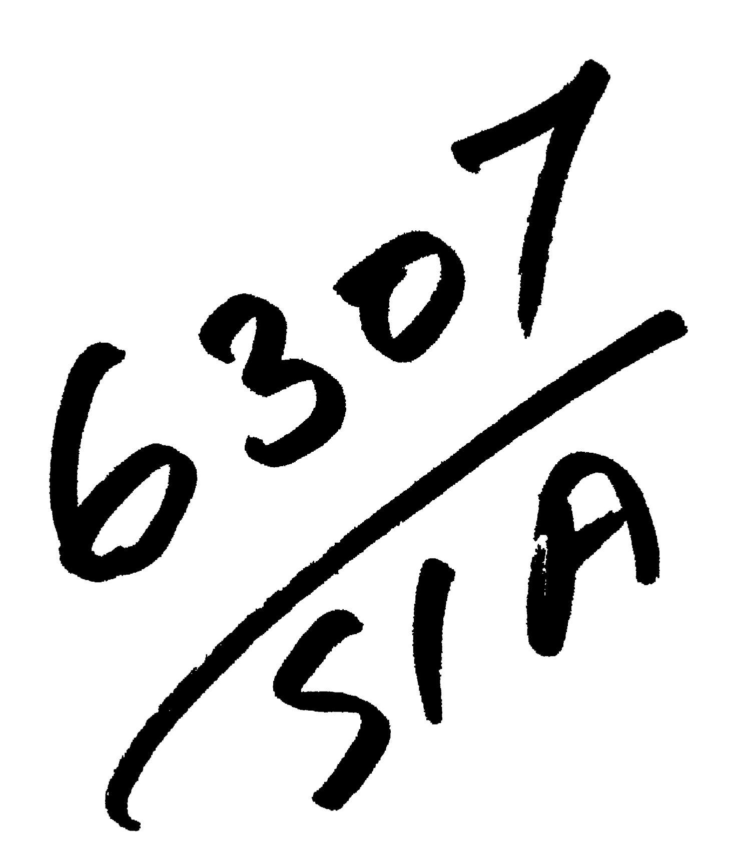
وقال

وكلُّ ذي غيبةٍ له إيابٌ ... وغائبُ الموتِ لا يؤوبُ

وقال بعضهم الناس فى الدنيا اعراض تنتضل فيها سهام المنايا . وقال ابن المعتز الموت كسهم مرسل اليك وعمرك بقدر سفره نحوك . وقال بعضهم الموت أشد مما قبله وأهون مما بعده .. ونظر الحسن رضى الله عنه الى ميت يدفن فقال ان شيئاً أوله هذا لحقيق أن يخاف آخره وان شيئاً هذا آخره لحقيق أن يزهد فى أوله .. وسئل بعض الفلاسفة عن الموت فقال مفارقة من ركبها ضل خبره وعمى أثره .. والله أعلم بالصواب واليه المرجع والمآب

بحمد المبره عن المساوى والانداد تم طبع كتاب المحاسن والاضداد وكان ذلك فى اليوم الاخير من جمادى الاولى من شهور سنة ١٣٢٤ هجريه وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم




6307
S1A